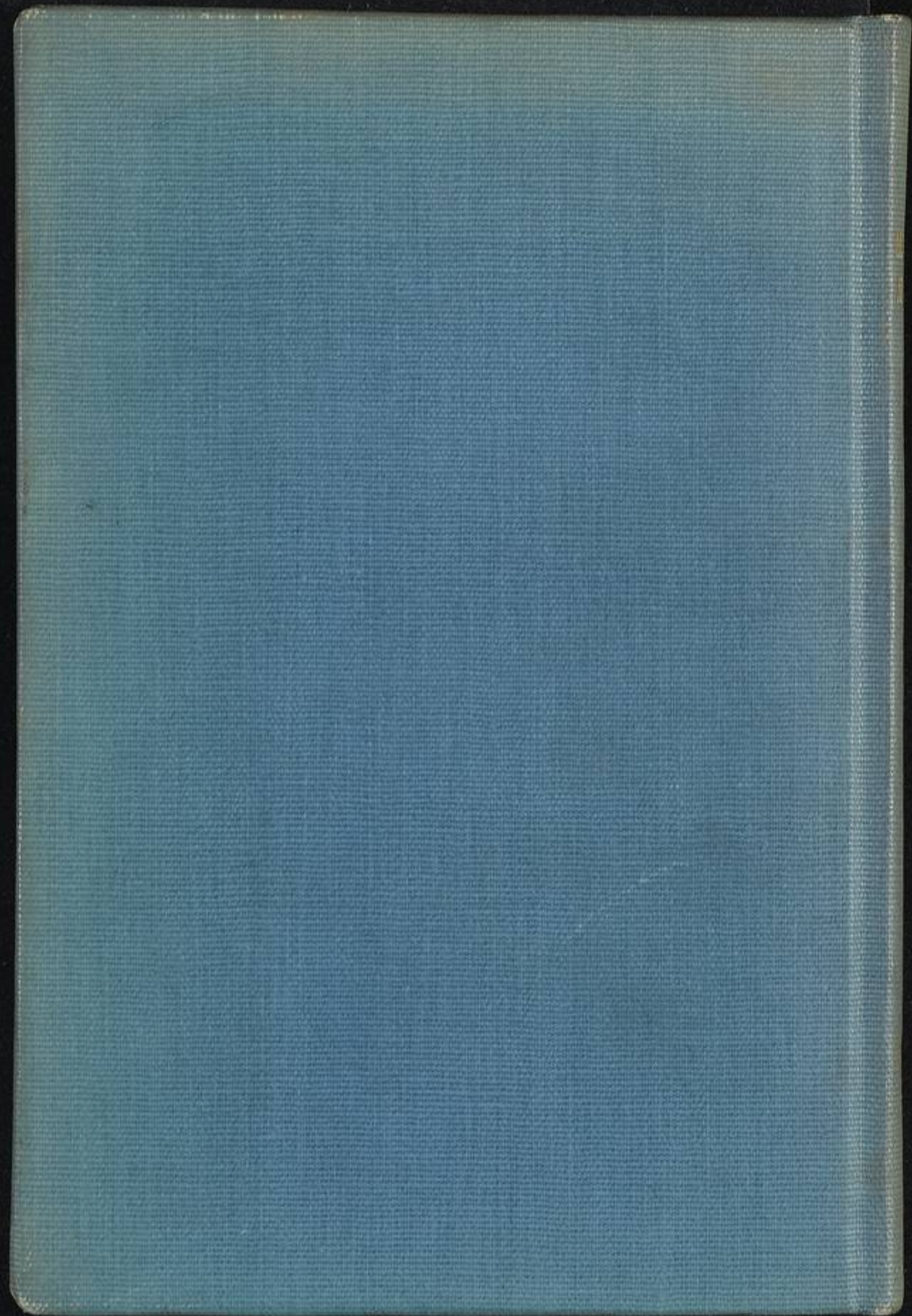
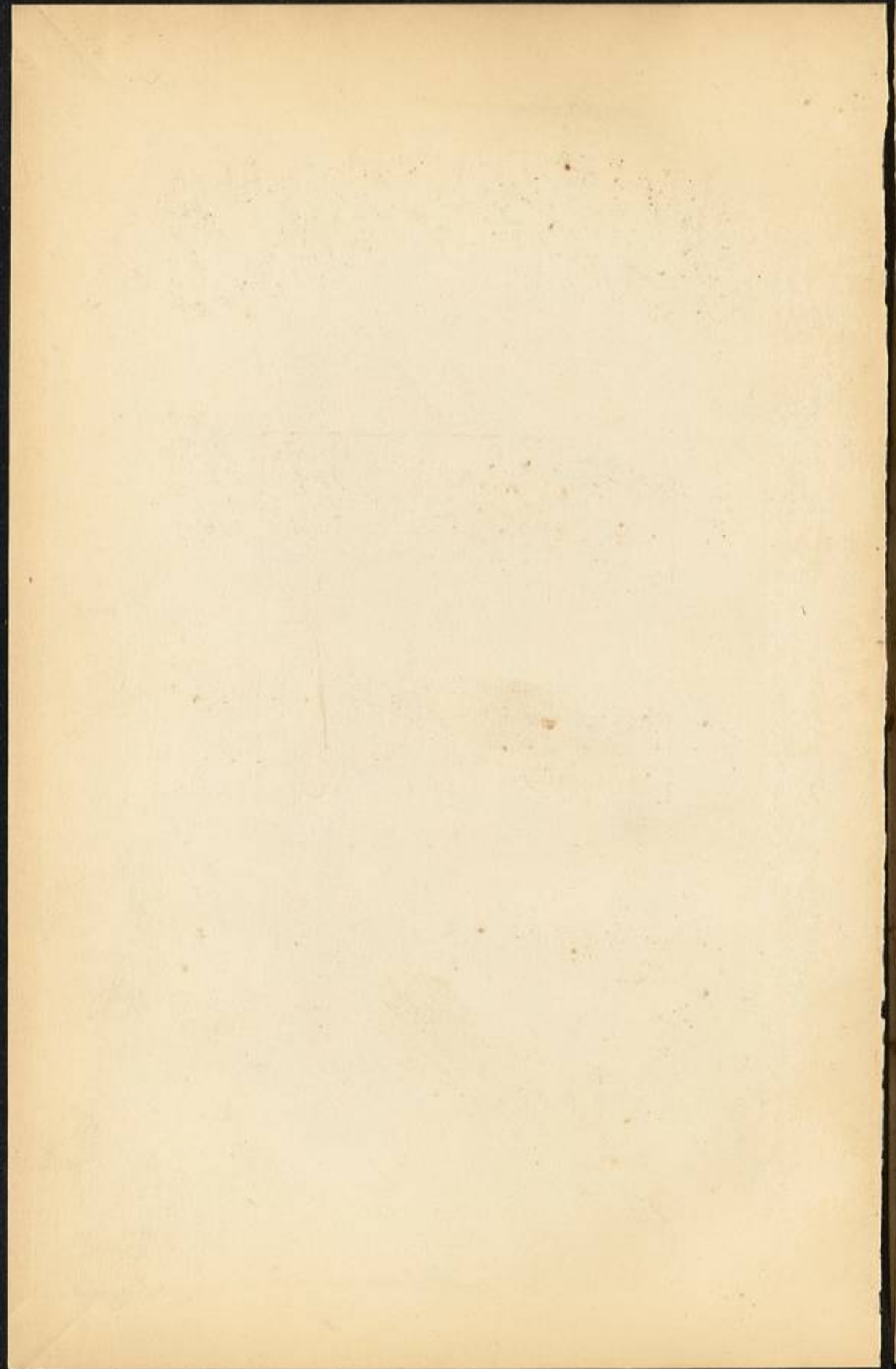


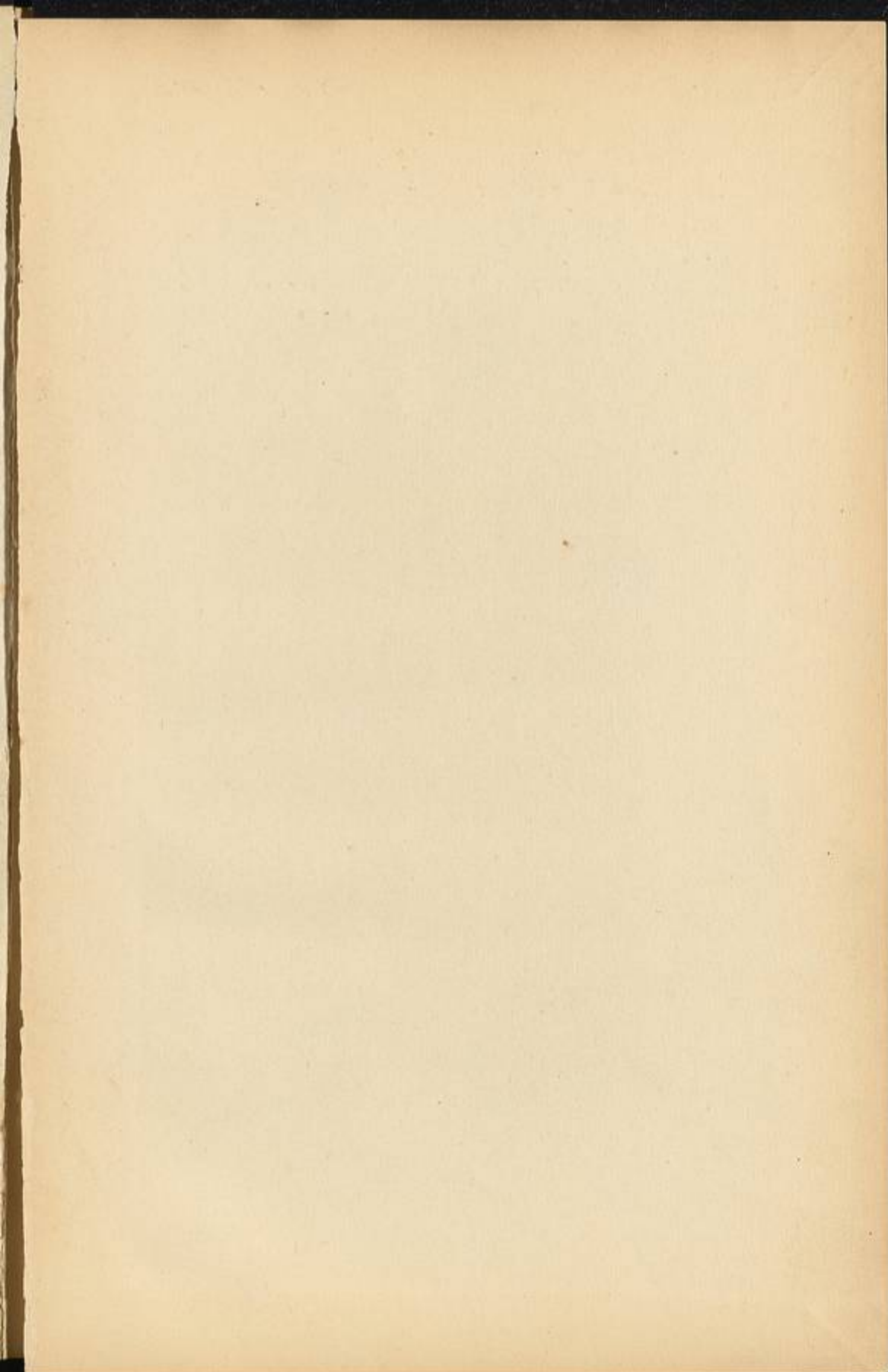


Columbia University
in the City of New York

LIBRARY







ارشاد النقاد

الى تيسير الاجتهاد

للسيد العلامة بدر الاسلام والمسلمين

محمد بن اسماعيل الامير الصنعاني صاحب سبل السلام شرح بلوغ المرام

المتوفى سنة ١١٨٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي ذلل صعاب علوم الاجتهاد لعلماء الامة * وحفظها بأساطين
الحفاظ وجهابذة الائمة * فتتبعوها من الافواه والصدور * وخلدوها للمتأخرين
من الامة في الاوراق والسطور * واستنبطوا من القواعد ما لا يزول بمرور
الدهور * وأطلعوا من أنوار علم الكتاب والسنة على أنوار البصائر نوراً
على نور

وأشهد أن لا إله إلا الله المتكفل بحفظ علوم الدين * وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله الذي يحمل علمه من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين
واتحال المبطلين * صلى الله عليه وعلى آله قرناء القرآن * صلاة وسلاماً يدومان
مادارت الافلاك واختاف الملوآن

وبعد فإن السيد قاسم بن محمد السكبي رحمه الله سأل عن المسائل العلمية
والابحاث العملية * نزلت علينا نزول الغيث على الرياض * بل العافية على

893.78

M282

v. 1

الاجسام المراض * وخلاصة ما اشتمل عليه انه هل يكون العمل من المتأخرين بتصحيح الاثمة من أهل الحديث للحديث أو تحسينه أو تضعيفه تقليداً لا وللك الحفاظ من الاثمة والاعيان من الامة فيما وصفوا به الحديث من تلك الصفات ويكون القائل لذلك والعامل به مقلداً أو يكون فيما قبله من كلامهم في ذلك وعمل به مجتهداً

فانه قال السيد الامام محمد بن ابراهيم في الروض الباسم ان قول الثقة العارف الذي ليس له قاعدة في التصحيح معلومة الفساد ان الحديث صحيح يجب قبول قوله بالادلة العقلية والسمعية الدالة على قبول خبر الواحد وليس ذلك بتقليد بل هو عمل بما أوجبه الله تعالى من قبول خبر الثقات هذا كلامه ولكنه خالف كلام القاضي العلامة الحسين بن محمد المغربي في شرح بلوغ المرام فانه قال من لم يكن أهلاً للنقد والتصحيح فله أن يقلد في ذلك من صحح أو حسن ممن هو أهله فان لم يكن أحد من الاثمة تكلم بذلك على الحديث وايس هو بأهل للنقد لم يحز له الاحتجاج بالحديث إذ لا يأن من أن يحتج بما لا يحل الاحتجاج به قال ولهذا أحال جماعة من المتأخرين الاجتهاد المطلق لتعسر التصحيح * والتقليد في التصحيح يخرجهم عن القصد وهو الاجتهاد قال ولم يتيسر في الاعصار المتأخرة الا ترجيح بعض المذاهب على بعض بالنظر الى قوة الدلالة أو الى كثرة من صحح أو جلالة والواجب الرجوع الى الظن القوي بحسب الامكان رأيت السائل دامت افادته جنح الى ترجيح كلام القاضي قائل انه قد يفرق بين التصحيح والتضعيف وبين الرواية فان تصحيح الحديث وتضعيفه مسألة اجتهادية ونظرية قد يختلف الامامان العظيمان في الحديث الواحد فأحدهما يذهب الى صحته أو حسنه والآخر الى ضعفه أو وضعه باعتبار ما حصل لهما من البحث والنظر وليس حال الرواية كذلك فان مدارها على الضبط والعدالة * ومدار التصحيح والتحسين ونحوهما على قوة اليد في معرفة الرجال والعال المتعلقة بالاسانيد والمتون ومعرفة الشواهد والمتابعات والقاضي قد جزم بان قول الحافظ

في التصحيح تقليد وإذا نظرتم الى تصرف العلامة الحسن بن احمد الجلال في ضوء النهار لم يجد الانسان في يده غير ما أشار اليه القاضي من الترجيح بقوة الدلالة أو كثرة من صحح أو جلالته ولم يكن ممن يعرف الاسانيد والعلل مثل المنذرى وابن حجر والنووي ومن في طبقتها من المتأخرين دع عنك الائمة الكبار مثل الحاكم والدارقطني مع تصريحه في غير موضع من كتبه بالاجتهاد المطلق وكذا العلامة المقبلي سلك هذا المسلك ولم يزل هذا السؤال يخطر بالبال فافضلوا بالجواب انتهى ما حرره السائل لازال مفيداً ولا يرح في أنظاره العلمية سديداً * وأقول : الجواب يظهر ان شاء الله تعالى بذكر فصول تشتمل على ايضاح المسئلة بمشيئة الله تعالى وهدايته .

فصل

رسم الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه نخبة الفكر الحديث الصحيح بأنه ما نقله عدل تام الضبط متصل السند غير معلل ولا شاذ وقال وهو الصحيح لذاته وقريب منه رسم ابن الصلاح وزين الدين بأنه ما اتصل اسناده بنقل عدل ضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة قاذحة اذا عرفت هذا فهذه خمسة قيود ثلاثة وجودية واثنان عدميان وكلها اخبار : كأنه قال الثقة حين قال حديث صحيح هذا الحديث رواه عدول مأمون الضبط متصل اسنادهم بخلاف فيه الثقة مارواه الناس وليس فيه أسباب خفية طرأت عليه تقدح في صحته وحينئذ فقول الثقة صحيح يتضمن الاخبار بهذه الجمل الخمس وقد تقرر بالبرهان الصحيح ان الواجب أو الراجح العمل بخبر العدل والقبول له وتقرر ان قبوله ليس من التقليد لقيام الدليل على قبول خبره فالتصحيح مثلاً والرواية للخبر قد اتفقا انهما اخبار إما بالدلالة المطابقة أو التضمنية أو الالتزامية * أما قبول خبره الدال بالمطابقة فلا كلام فيه كقبوله زيد قائم وأما قبول خبره الدال بالتضمن أو الالتزام فيدل على قبوله انهم جعلوا من طرق التعديل حكم مشروط العدالة

بالشهادة وعمل العالم المشتراط لها رواية من لا يروى الا عن عدل فانهم صرحوا في الاصول وعلوم الحديث ان هذه طرق التعديل ومعلوم ان دلالة هذه الصور على عدالة الراوى والشاهد التزامية فقول الثقة حديث صحيح يتضمن الاخبار بالقيود الخمسة والرواية لها ولا يقال ان اخباره بانه صحيح اخبار على ظنه بحصول شرائط الصحة عند ظنه كما يدل له انه صرح زين الدين وغيره بان قول المحدثين هذا حديث صحيح اى فيما يظهر لنا عملاً بظاهر الاسناد لا انه مقطوع بصحته في نفس الامر لانا نقول اخبار الثقة بان زيدا عدل اخبار عن ظنه بانه آت بالواجبات محتنب للمقبحات بحسب مآراه من ذلك وأخبر مع جواز انه في نفس الامر غير مسلم لكن هذه التجويزات لا يخاطب بها المكلف فان قلت من شروط الصحيح السلامة من الشذوذ والعلة وليس مدرك هذين الامرين الاخبار بل تتبع الطرق والاسانيد والمتون كما أشار اليه السائل هـ قلت أما أولاً فالشذوذ والاعلال نادران والحكم للغالب لا للتأندر ألا ترى ان الراجح العمل بالنص وان جوز انه منسوخ عملاً بالأغلب وهو عدم النسخ وبرهان ندورهما يعرف من تتبع كلام أئمة الحديث على طرق الاحاديث من مثل البدر المنير وتلخيصه فانهم يتكلمون على ما قيل في الحديث فتجد القدح بالشذوذ والاعلال نادراً جداً بل قال السيد محمد بن ابراهيم في التنقيح ظاهر الحديث المعلن السلامة من العلة حتى تثبت العلة بطريق مقبولة وأما ثانياً فقول الثقة هذا صحيح أى غير شاذ ولا معلل إخبار بأنه لم يقع في رواه راو ثقة خالف الناس فيه ولا وجدت فيه علة تقدح في صحته وهذا اخبار عن حال الراوى بصفة زائدة على مجرد عدالته وحفظه أو حال المتن بأن ألفاظه مصونة عن ذلك وليس هذا خبراً عن اجتهاد بل عن صفات الرواة والمتون فانه اخبار بانه تتبع أحوال الرواة حتى علم من أحوالهم صفات زائدة على مجرد العدالة وفي التحقيق هي عائدة الى تمام الضميمة وتتبع مروياتهم حتى أحاط بالفاظها فالكل عائد الى الاخبار عن الغير لاعن الاجتهاد الحاصل عن دليل ينقدح له منه رأى : وأنت

إذا نظرت الى الائمة النقاد من الحفاظ كالخاتم أبي عبد الله وأبي الحسن الدارقطني وابن خزيمة ونحوهم كالمندري وتصحيحهم لاحاديث وتضعيفهم لاحاديث واحتجاجهم على الامرين مستنداً الى كلام من تقدمهم كيعقوب بن معين واحمد بن حنبل وأبي عبد الله البخاري ومسلم وغيرهم من أئمة هذا الشأن وانه ثبت له عنهم أو عن أحدهم انه قال فلان حجة أو ثبت أو عدل أو نحوها من عبارات التعديل وأنهم قالوا في غيره انه ضعيف أو كذاب أو لاشيء أو نحوها ثم فرعوا على هذه الروايات صحة الحديث أو ضعفه باعتبار ما قاله من قبلهم فانه تجنب ابن اسحاق من نجنبه من أهل الصحاح بقول مالك فيه مع ابن اسحاق أمام أهل المغازي وقدحوا أيضاً في الحارث الاعور بكلام الشعبي فيه ولم يلقوا ابن اسحاق ولا الحارث بل قبلوا كلام من تقدم فيهم من الائمة وإذا حققت علمت ان تصحيح البخاري ومسلم وغيرهما مبنى على ذلك وكذلك تضعيفهما فانهما لم يلتقيا إلا شيوخيها من الرواة وبين الصحابة وسائط كثيرون اعتمدوا في ثقتهم وعدمها على الرواة من الائمة قبلهم فلم يعرفوا عدالتهم وضبطهم الا من أخبار أو تلك الائمة فاذا كان الواقع من مثل البخاري في التصحيح تقليداً لانه بناء على اخبار غيره عن أحوال من صحيح أحاديثهم كان كل قابل اخبر من تقدمه من الثقات مقلداً وان كان الواقع من البخاري من التصحيح اجتهداً مع ابتناؤه على خبر الثقات فليكن قولنا بالصحة اخبر البخاري المتفرع عن اخبار الثقات اجتهداً فانه لا فرق بين الاخبار بان هؤلاء الرواة ثقات حفاظ وبين الاخبار بان الحديث صحيح الا بالاجمال والتفصيل وكأنهم عدلوا عن التفصيل الى الاجمال اختصاراً وتقريباً لانهم لو أعقبوا كل حديث بقولهم رواه عدول حافظون روه متصلاً ولاشذوذ فيه ولا علة لطالت مسافة الكلام وضاق نطاق الكتاب الذي يؤلفونه عن استيفاء أحاديث الاحكام فضلاً عما سواها من الاخبار على ان هذا التفصيل لا يخلو عن الاجمال إذ لم يذكر فيه كل راو على انفراده بصفاته بل في التحقيق ان قولهم عدل

معدول به عن آت بالواجبات مجتنب لامتنبحات محافظ على خصال المروءة متباعد عن أفعال الخسة فعدلوا عن هذه الاطالة الى قواهم عدل فقواهم عدل خبر انطوت تحته عدة أخبار كما انطوت تحت قواهم صحيح * اذا عرفت هذا تبين لك صحة قول صاحب الروض الباسم وانه الصواب فيما نقله السائل عنه ومثله قوله في التنقيح انه ان نص على صحة الحديث أحد الحفاظ المرضيين المأمونين فيقبل منهم ذلك للاجماع وغيره من الادلة الدالة على قبول خبر الآحاد ذلك مبين في موضعه ولا يجوز ترك ذلك متى تعلق الحديث بحكم شرعي

فصل

اذا عرفت ماقررناه فاعلم انه لا مانع لمن وجد في هذه الاعصار حديثاً لم يسبق عليه كلام امام من الائمة بتصحيح ولا غيره فتتبع كلام أئمة الرجال في أحوال رواته حتى حصل له من كلامهم ثقة روايته أو عدمها فجزم بإيهما على الحديث كما جزم من قبله من أئمة التصحيح والتضعيف من مثل البخاري وغيره ومستنده في ذلك مستند من قبله كما أوضحناه * غاية الفرق انه كثر الوسائط في حقه لتأخر عصره فكانوا أكثر من الوسائط في حق من تقدمه لقرب عصرهم وهذا موجب لمشقة البحث عليه لكثرة الرواة الذين يبحث عن أحوالهم ولكن ربما كان ثوابهم أكثر لزيادة مشقة البحث هذا إن كانت طريق المتأخر هي الرواية وأراد معرفة أحوال شيوخه وتحققها حتى يبلغ الى مؤلف الكتاب الذي قرأه وأما اذا كانت طريقه الاجارة أو الوجادة فانه لا كثرة للوسائط أصلاً بل هو كالقدمات في ذلك وحينئذ فيكون مجتهداً فيما حكم بصحته مثلاً فانه كما انه لا محيص عن القول بان تصحيح الائمة الاولين اجتهاد فانه إنما بنوه على ما بلغ اليهم من أحوال الرواة ففرعوا عليه التصحيح وجعلوه عبارة عن ثقة الرواة وضبطهم كذلك لا محيص عن القول بان ما صححه من بعدهم الى يومنا هذا أو ضعفوه أو حسنوه حكمه ما قاله الاولون من الائمة اذ الاصل في

الكل واحد وهو قبول اخبار من سلف عن احوال الرواة وصفاتهم والا كان القول بخلاف هذا تحكما لا يقول به عالم واذا عرفت هذا عرفت ضعف ما قاله ابن الصلاح بل بطلانه من انه ليس لنا الجزم بالتصحيح في هذه الاعصار وقد خالفه النووي ورجح زين الدين كلام النووي وهو الحق ولعل القاضي شرف الدين اغتر بكلام ابن الصلاح في هذا الطرف: واما قول القاضي ان القول بتصحيح الائمة الماضين والعمل عليه تقليد لهم فلا اعلم فيه سلفا بل الحق ما قررناه لك من قول الامام صاحب العواصم رحمه الله :

فصل

واما قول القاضي رحمه الله انه احال جماعة من المتأخرين الاجتهاد المطابق لتعسير التصحيح والاهلية لذلك فكلام لا يليق صدوره عن مثله فانه علل الاحالة بالتعسير وغير خاف على ناظرانه لو سلم التعسير لبعض طرق لا يصير محالا غاية انه يصير متعسرا لا محالا ولكن قد اطبقت عامة اهل المذاهب الاربعة في هذه الاعصار وما قبلها على ما قاله القاضي شرف الدين واشتد منهم النكير على مدعى الاجتهاد من علمائهم قائلين انه قد تعذر ذلك من بعد الائمة الاربعة وضاق مجال الاجتهاد ولم يبق فيه لمن بعدهم سعة واطالوا ذلك بما لا طائل تحته فانه غير خاف على من له نباهة ان هذا منهم تهويل ليس عليه تعويل ومجرد استبعاد لا نهول قعاقة الاذكياء النقاد وكان اولئك المستبعدين لما رأوا كثرة اتباع الائمة المتقدمين وعظمتهم لما وهب الله لهم من العلم والدين في صدور الاعيان من المتأخرين ظنوا انهم غير مخلوقين من سلالة من طين ولو نظروا بعين الانصاف وتنبهوا احوال الاسلاف والاختلاف لعلموا يقيناً ان في المتأخرين عن اولئك الائمة من هو اطول منهم في المعارف باعا واكثر في علوم الاجتهاد اتساعا قد قيضهم الله لحفظ علوم الاجتهاد من كل ذى همة صادقة ونية صالحة

من العباد قد قربوا المتأخرين منها كل بعيد ومهدوها لهم كل تمهيد فمنهم من
قيضه الله لتتبع علم اللغة من افواه الرجال ومن السنة النساء والصبيان في بطون
الاولدية ورؤوس الجبال فرحل الى بواديهم ونزل معهم في موارد مياههم
ومراعي مواشيهم وتتبعهم في البوادي والقفار وواصلهم تحت الاشجار والاحجار
ولازمهم في الليل والنهار وصاحبهم في الاوطان ورافقهم في الاسفار وقام
باقامتهم في المضارب والخيام وبيوت الشعر والتلول والاكام يعرف ذلك من
نظر في رحلة الاصمعي والازهرى وغيرهما من كل ذى همة سري حتى جمعوا
فنونها واناطوا معانيها واجروا عيونها واظهروا مخزونها حتى اصبحت بحارا
ذاخرة ورياضا ناضرة وانواعا متكاثرة ومؤلفات فاخرة قد فاق من عرفها من
لاقى قس بن ساعدة وسحبان وصار دونه من اختلط بالعرب العرباء في كل مكان :
وعلم اللغة بانواعه هو عمدة علوم الاجتهاد والتبحر فيه وعدمه تتفاوت النقاد والقي
الله في قلوب اقوام محبة السنة النبوية والاثار السلفية ورزقهم هما تناطح السماك
وتطاول الاطلس من الافلاك فارتحلوا لطلبها من الاقطار وفارقوا الاوطان
والاوطار وطووا في حبها الفيا في القفار وقنعوا من الدنيا بالكفاف وتركوا
لغيرهم اللذات والاتراف واتخذوا الزهد شعارا والبقعة دثارا فسهرا الاجفان
الذ اليهم واطيب من المنام والجوع اشهى من الامتلاء من نفيس الطعام يرتحلون
لسماع الحديث الواحد من الاقطار الشاسعة ويطلبون من الاقاليم المتباعدة
الواسعة ففي مثلهم يقال

طورا تراه في الصعيد وتارة في أرض آمد
فيبتغون من العلوم بكل أرض كل شارد
يدعون أصحاب الحديث بهم تجملت المشاهد

فهذا ابو عبد الله البخارى رحل بعد احاطته بحديث شيوخ بلده الى الشام
والكوفة والبصرة وبلخ وعسقلان وحمص ودمشق وكتب عن الف شيخ وثمانين
شيخا وجمع للمسلمين هذه الاحاديث التي تتبعها من الآفاق وصحب في تطلبها

الرفاق بعد الرفاق في كتابه الجامع الصحيح بقراءة المحدث قراءة تحقيق واثقان في أشهر شهرة الزمان (١) وغيره من أئمة هذا الشأن لهم أكل منة على أهل الإيمان فانهم تعبوا في جمع الاحاديث للمتأخرين ووزعوا أوقاتهم في تحصيل ما فيه نفع المسلمين حتى لم يبق لهم وقت لغير نسخ الحديث أو السماع ففي النبلاء في ترجمة الامام الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم صاحب التفسير والشرح والتعديل والمسند الذي ألفه في ألف جزء قال كنا في مصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرققة كل نهارنا نقيم بمجالس الشيوخ وبالليل النسخ والمقابلة قال فاتينا يوما أنا ورفيق لي شيخنا فقالوا انه غليل فرأينا في طريقنا سمكة اعجبتنا فاشتريناها فلما وصلنا الى البيت حضر وقت المجلس فلم يمكننا اصلاحه ومضينا الى المجلس ولم نزل حتى مضى عليه ثلاثة أيام وكاد ان يتغير فاكلناه نيا لم يكن لنا فراغ ان نعطيه من يشويه ثم قال لا يستطيع العلم براحة الجسم وفي مثاهم يقال :

ان علم الحديث علم رجال تركوا الابتداع للاتباع

فاذا جن ليهم كتبوه واذا أصبحوا غدوا للسمع

فأئمة الحديث جعل الله غذاهم ولذتهم قراءة الحديث وكتابته ودراسته وروايته ورزقهم حفظا يبهر العقول ويكاد ان لا يصدقه من يسمع ما حكى عنهم في ذلك من المنقول حفظ الله تعالى بهم السنة وبهم يتم على عباده كل منة قد حفظوا الفاظ الاحاديث كحفظ القرآن واحرزوا كل لفظ منه بتحقيق واثقان والنفوا فيها الجوامع النافعة والمسانيد الواسعة ثم تعبوا في احوال الرواة وصفاتهم ورحلتهم ومواليدهم وبلدانهم ووفائهم حتى صار من عرف تراجمهم واحوالهم كأنه شاهدهم وزاجهم بل صار أعرف باحوالهم من المشاهد لهم والمعاصر لانه قد يخفى على من عاصرهم بعض احوال من عارضه وشاهده وأما من طالع تراجمهم وتلقى عن الثقات اخبارهم فانه يراهم قد جمعوا من احوالهم وصنفوا من

(١) قوله بقراءة المحدث الخ هكذا الاصل ولعل صواب العبارة هكذا يقرأه المحدث قراءة تحقيق واثقان في أشهر من الزمان والله أعلم

تعيين آثارهم ورحلهم ويقتضهم ومنامهم وتتبعوا احوالهم من كل عارف موافق ومخالف حتى اجتمع لمن قرأ أخبارهم ما لم يجتمع لمن شاهدتهم من الاوصاف وهذا أمر لا ينكره الا من حرم الانصاف

الا ترى ان من عرف تراجم الائمة الستة أهل الامهات من كتب ائمة التاريخ عرف احوالهم واصفهم كأنه لاقاهم ورآهم لقاء خبرة وروية مخاللة وحصل له من الاطمئنان باقوالهم ويقر في قلبه من امامتهم في الدين وعظم نصيحهم للمسلمين ما لا يحوم حوله قدح قاذح ولا جرح جارح حتى لو جاءه من ينزعه في حفظ البخاري وتقوا ملافت ذلك في عضديقينه بحفظه وهداؤه وكذلك غيره من الائمة ومثلهم الرواة فان الله يسر أقواماً جعل همهم العالية وافكارهم الصافية مصروفة الى تتبع احوال رجال الحديث ورواته في القديم والحديث ثم الفوا في الرجال ما يطلع الناظر على كل ما يقال من جرح وتعديل . قال وقيل فذلوا للمتأخرين ما كان صعباً وصيروا بهمتهم ما كان ضيقاً واسعاً رجباً جمعوا ما كان متفرقاً ولفقوا ما كان ممزجاً قد قربوا العلوم الحديثية اتم تقريب باكمال وتقريب وتهذيب فاجتمع للامة اخريين من احوال المتقدمين اجتماع لم يتم للاولين فانها اجتمعت لهم معارف العارفين واقوال المتخالفين وكل من الائمة ما زال حريصاً على تقريب المعارف للمسلمين حتى الفوا الكتب على حروف المعجم في الرجال والمتون واتوا بما لم يأت به الا لولم يبق للمتأخرين الا الاقتطاف لثمرات المعارف والارتشاف بكنؤوس قد اترعها لهم كل امام عارف ابقاء لحجة الله على العباد وحفظاً لعلوم الدين الى يوم المعاد

فصل

اذا عرفت هذا فكيف يحال في حق المتأخرين الاجتهاد المطلق لتعسر بعده هذه الاشياء التي ساقها الله الى ائمة الاجتهاد على ايدي اهل الحفظ والورع والانتقاد الا ترى انك لو وجدت حديثاً في مسند ابن ابي شيبة أو عبد الرزاق أو غيرهما

ولم تجد فيه كلاما لاحدا ائمة الحديث باحدى الصفات الثلاث ورأيت من رواية الحجاج بن ارطاة مثلاً فانك تحكم بضعفه لكلام الائمة في الحجاج كما يحكم بذلك الدارقطني والمنذري مثلاً وما لاقاه الدارقطني ولا رآه بل وقف على ما وقفت عليه من كلام ائمة الجرح * غاية الفرق انها قد تكون طريق الدارقطني في ذلك السماع وطريقك الوجادة وهذا لا يخرجك عن جواز التكلم بما تكلم به أو وجدت حديثاً كذلك ثم نظرت لكلام ائمة التعديل في رجاله فوجدتهم موثقين فأى مانع لك عن تصحيحه مثلاً كما يفعله الحافظ المنذري وابن حجر فانهما يتكلمان على عدة من الاحاديث تصحيحاً وتحسيناً وتضعيفاً وطريقهما في ذلك تتبع اقوال ائمة الجرح والتعديل في رجاله كما انها طريقة الناظر في هذه الاعصار وهما لم يلقيا الا شيوخيها كما انك لم تاق الا من رويت عنه أو قرأت عليه ان كانت طريقك القراءة لا الوجادة أو الاجازة

فصل

قد علمت مما سبق انه ان الله وله الحمد والمنة قد قيض المتأخرين أئمة من المتقدمين جمعوا لهم العلوم اللغوية والحديثية من الافواه والصدور وحفظوها لهم في الارراق والسطور وذللوا لهم صعاب المعارف وقادوها الى كل ذكى عارف ودونوا الاصول واللغة بأنواعها مع انتشارها واتساعها وادخلوا علوم الاجتهاد لاهلها من كل باب تارة بإيجاز وتارة بأسهاب واطناب وهذا شيء لا شك فيه ولا ارتياب ولا يجهله الا من ليس من اولى الابواب الذين نحوم يساق هذا الخطاب

وبعد هذا فالحق الذي ليس عليه غبار الحكم بسهولة الاجتهاد في هذه الاعصار وانه اسهل منه في الاعصار الخالية لمن له في الدين همة عالية ورزقه الله

فهما صافيا وفكرا صحيحا ونباهة في علمي السنة والكتاب فان الاحاديث في الاعصار الخالية كانت متفرقة في صدور الرجال وعلوم اللغة في افواه سكان البوادي ورؤوس الجبال حتى جمعت متفرقاتها ولفقت ممزقاتها حتى لا يحتاج طاب العلم في هذه الاعصار الى الخروج من الوطن والى شد الرحل والظعن فياعجابه حين تفضل الله بجمعها من الاغوار والانجاد وسهل سياقتها للعباد حتى اينعت رياضها واترعت حياضها واجريت عيونها ونهدلت بشمراتها غصونها وفاض في ساحات تحقيقها معينها واشتد عضدها وجل ساعدها وكثر معينها تقول تعذر الاجتهاد ما هذا والله الا من كفران النعمة وجحودها والاخلاد الى ضعف الهمة وركودها الا انه لا بد مع ذلك اولا من غسل فكرته عن ادران العصبية وقطع مادة الوسوس المذهبية وسؤال للفتح من الفتح العليم وتعرض لفضل الله فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

فالعجب كل العجب ممن يقول بتعذر الاجتهاد في هذه الاعصار وانه محال ما هذا الا منع لما بسطه الله من فضله لفحول الرجال واستبعاد لما خرج من يديه واستصعاب لما لم يكن لديه وكم للائمة المتأخرين من استنباطات رائقة واستدلالات صادقة ما حام حولها الاولون ولا عرفها منهم الناظرون ولا دارت في بصائر المستبصرين ولا جالت في افكار المفكرين

فصل

ومن هذا تعرف انه لا فرق بين اجتهاد من ذكره السائل من العلامة الجلال والمقبلي واجتهاد من تقدمهما من الائمة الاربعة الذين اتفقت الامة على اجتهادهم وان مرجعهما في تصحيح الاحاديث ليس بتقليد لائمة التصحيح بل قبول رواية وهذا الشافعي رضي الله عنه اتفقت الامة على اجتهاده ومرجعه في صحة الاحاديث. وعدمها الى ائمة الحديث فانه يقول في مواضع اذا لم يعمل بالحديث انه لم يرتض

رواية هذا الحديث ونحو هذه العبارة في محلات من تلخيص ابن حجر وتيسير البيان وغيرها من الكتب المجموعة لسرد الأدلة والتفتيش عن احوال رجالها كقوله في حديث بهز بن حكيم في الزكاة وهذا الحديث لا يثبت اهل العلم بالحديث وهذا هو بعينه ما يقوله الجلال والمقبلي وكل من تقدمهما وقدمنا لك ان البخاري نفسه انما يعتمد ويضرع في التصحيح وغيره على أقوال من تقدمه من الرجال وانه لم يلق الا شيوخه والذين رواه عنهم وصحح لهم اضعاف اضعاف شيوخه وحينئذ يعرف الناظر انه لا فرق بين المتقدمين والمتأخرين الا بكثرة الوسائط وقلتها وسيلان الازهان وجمودها وحركات الهمم وركودها والفضل بيد الله لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع

وأما قول القاضي رحمه الله انه لم ييسر في الاعصار المتأخرة الا ترجيح بعض المذاهب على بعض باعتبار قوة الدلالة أو كثرة من صحح أو جلالة جوابه ان هذا الذي سماه ترجيحاً هو الاجتهاد المطلق انما ذنب المتأخر انه تأخر زمنه عن زمان من قال بالقول الراجح والمرجوح فنظر كنظر من قبله من المجتهدين وجزم باحد القولين نظرا الى الدليل فسميتهوه ترجيحاً لقول غيره وليس كذلك فافرضوا انه لم يتقدمه أحد فانه لو كان زمانه سابقاً ورأيت ما ادعاه وما اقامه من البراهين على دعواه لقلتم انه مجتهد مطلق ولا يخفى ان تقدم الزمان وتأخره لا اثر له في جميع الأدلة والاستنباط منها قطعاً بل قد أوضحنا لك ان الله قد جمع شمل الأدلة المتأخرين ولكنكم نظرت الى تأخر زمانه وانه قد قال بما جنح اليه قائل قبله فقلتم ان هذا المجتهد الآخر رجح ما قاله من قبله بقوة الدلالة أو نحوها قلنا هو عين الاجتهاد ولا يضرنا تسميتكم له ترجيحاً

فصل

وأما ما أشار اليه السائل دامت افادته من انه قد يختلف كلام امامين من أئمة الحديث فيضعف هذا حديثاً وهذا يصححه ويرمي هذا رجلاً من الرواة

بالجرح وآخر يعدله فهذا مما يشعر بان التصحيح ونحوه من مسائل الاجتهاد الذي اختلفت فيه الآراء فجوابه ان الامر كذلك أي انه قد تختلف أقوالهم فانه قال مالك في ابن اسحاق انه دجال من الدجاجة وقال فيه شعبة انه أمير المؤمنين في الحديث وشعبة أمام لا كلام في ذلك وامامة مالك في الدين معلومة لا تحتاج برهاناً فهذان امامان كبيران اختلفا في رجل واحد من رواة الاحاديث ويتفرع على هذا الاختلاف في صحة حديث من رواية ابن اسحاق وفي ضعفه فانه قد يجد العالم المتأخر عن زمان هذين الامامين كلام شعبة وتوثيقه لابن اسحاق فيصح حديثاً يكون من رواية ابن اسحاق قائلاً قد ثبتت الرواية عن امام من أئمة الدين وهو شعبة بان ابن اسحاق حجة في روايته وهذا خبر من شعبة يجب قبوله وقد يجد العالم الآخر كلام مالك وقده في ابن اسحاق القدر الذي ليس وراءه وراء ويرى حديثاً من رواية ابن اسحاق فيضعف الحديث لذلك قائلاً قد روى لي امام وهو مالك بان ابن اسحاق غير مرضى الرواية ولا يساوى فلساً فيجب رد خبر فيه ابن اسحاق فبسبب هذا الاختلاف حصل اختلاف الأئمة في التصحيح والتضعيف المنفرعين عن اختلاف ما بلغهم من حال بعض الرواة وكل ذلك راجع الى الرواية لا الى الدراية فهو ناشئ عن اختلاف الاخبار فمن صحح أو ضعف فليس عن رأي ولا استنباط كما لا يخفى بل عمل بالرواية وكل من المصحح والمضعف مجتهد عامل برواية عدل فعرفت ان الاختلاف في ذلك ليس مداره على الرأي ولا هو من ادلة ان مسألة التصحيح وضده اجتهاد نعم وقد يأتي من له فحولة ونقادة ودراية بحقائق الامور وحسن ذو وسعة اطلاع على كلام الأئمة فانه يرجع الى الترجيح بين التعديل والتجريح فينظر في مثل هذه المسألة الى كلام الجارح ومخرجه فيجده كلاماً خرج مخرج الغضب الذي لا يخلو عنه البشر ولا يحفظ لسانه حال حصوله الا من عصمه الله فانه لما قال ابن اسحاق اعرضوا على علم مالك فانا يبطاره فبلغ ما لكاف قال تلك

الكلمة الجافية التي لولا جلالة من قالها وما نرجوه من عفو الله من فلمات اللسان عند الغضب لكان القدح بها فيمن قالها أقرب الى القدح فيمن قيلت فيه فلما وجدناه خرج مخرج الغضب لم نره قادحا في ابن اسحاق فانه خرج مخرج جزاء السيئة بالسيئة على ان ابن اسحاق لم يقدح في مالك ولا في علمه غاية ما أفاد كلامه انه أعلم من مالك وانه يبطار علومه وليس في ذلك قدح على مالك : ونظرنا كلام شعبة في ابن اسحاق فقدمنا قوله لانه خرج مخرج النصيح للمسلمين ليس له حامل عليه الا ذلك وأما الجامد في ذهنه الابله في نظره فانه يقول قد تعارض هنا الجرح والتعديل فيقدم الجرح لان الجرح أولى وان كثر المعدل وهذه القاعدة لو أخذت كلية لم يبق لنا عدل الا الرسل فانه ما سلم فاضل من طاعن من ذلك لا من الخلفاء الراشدين ولا أحد من أئمة الدين كما قيل

فما سلم صديق من رافض ولا نجيها من ناصبي على

وما سلم الله من بريته ولا رسول الله فكيف انا

القاعدة ظاهرية يعمل بها فيما تعارض فيه الجرح والتعديل من المجاهيل على ان لك ان تقول كلام ما لك ليس بقادح في ابن اسحاق لما علمت انه خرج مخرج الغضب لا مخرج النصيح للمسلمين فلم يعارض في ابن اسحاق جرح وأعلم ان ذكرنا لابن اسحاق والكلام فيه مثال وطريق يسلك منه الى نظائره واذا عرفت هذا فهو الترجيح لا يخرج ما ذكرناه عن كونه من باب قبول اخبار العدول بل هو منه انما لما تعارض الخبران عندنا في حال هذا الراوي تتبعنا حقائق الخبرين ومحل صدورهما والباعث على التكلم بهما فظهر الاعتماد على احدهما دون الآخر فهو من باب قبول الاخبار فهكذا يلزم الناظر البحث عن حقائق الاحوال وعن الباعث عن صدورهما من افواه الرجال فانه يكون كلامه بعد ذلك اقوم قليلا واحسن دليلا ووافق نظراً واجل قدراً فن عمل برواية التعديل والتزكية ومن يعمل برواية القدح والتجريح وان كان السكك قابلين لاخبار العدول عاملين بما يجب عليهم من قبول خبر المنقول فالكل مجتهدون

ولكن تخالفت الآثار وتفاوتت الانظار ومن هنا ونحوه وقع اختلاف المجتهدين في عدة مسائل من امهات الدين والكل مأجورون بالنص الثابت منهم من له اجر ومنهم من له اجران

ومن هنا علمت ان اختلاف الائمة في تصحيح خبر من امام وتضعيفه من امام آخر ناشى عما تلقوه من اخبار العدول عن الرواة فهذا لامام لم يبلغه عن الرواة هذا الخبر الذى حكم بصحته الا العدالة والضبط فصحيح اخبارهم ولهذا تجد من يتعقب بعض الاحاديث التى صححها امام بقوله كيف تصحيحه وفيه فلان كذاب ونحو هذا ومعلوم ان من صحح هذا الحديث لم يبلغه ان في رجاله كذابا وهذا لامام بلغه من احوال رواة ذلك الخبر أو بعضهم عدم العدالة وسوء الحفظ أو انقطاع الخبر أو شذوذه حكم عليه بعدم الصحة وهذا معروف من جيلة العباد وطبايعهم فمن الناس من يغلب عليه حسن الظن في الناس وتلقي اقوالهم بالصدق ومن الناس من له نباهة وفطنة وطول خبرة لاحوال الناس فلا يكتفى بالظاهر بل يفتش عن الحقائق فيقع على الحق والصواب ولذا اطبق النقاد ان ما صححه الشيخان مقدم على ما صححه غيرهما في غير ما انتقد عليهما كما يأتى عند التعارض ثم ما انفرد البخارى بتصحيحه مقدم على ما انفرد به مسلم ما ذاك الا لخداقة البخارى ونقاده ومعرفة باحوال الرواة وغيره ممن صحح يقبلون تصحيحه ويجعلونه في رتبة اعلى من رتبة ما صححه البخارى (١) فهذا التفاضل نشأ من زيادة الاتقان لاحوال المخبرين الا ترى ان الشافعى رضى الله عنه مع امامته يروي عن ابن ابي يحيى ويعبر عنه بالثقة وغيره يقدحون فيه ويتجنبونه في الصحاح وذلك من الاختلاف في اخبار المخبرين عنه فالشافعى رضى الله عنه ثبت له عدالته وضبطه ويأتى فيه ما اسلفناه من انه لو عمل برواية احد الراويين لترجيح قوي عنده عضد ما يعرفه من حال الراوي جاز

(١) هكذا الاصل ولعل صوابه هكذا : وغيره أى البخارى ممن صحح يقبلون تصحيحه ويجعلون ما صححه البخارى في رتبة اعلا من رتبته فهذا الخ

ذلك فوثقه وغيره ثبت له غير ذلك فتجنبوه والسكل عائد الى اختلاف المخبرين

فصل

واذا تقرر لك ماحققناه من ان المصححين والمحسنين والمضـعفين رواة
أحوال رجال الاسناد يعبرون عن ثقتهم وضبطهم واتصال مارووه وسلامته من
الشدوذ والعلة بقولهم صحيح ويعبرون عن خلافه بضعيف : وعما بين الامرين
بحسن كما عرف ذلك من علم أصول الحديث فهم رواة مخبرون عن أحوال الرواة
للحديث فلا بد حينئذ من معرفة أحوالهم كمعرفة أحوال رجال المتن وقد اختلفوا
في ما يروونه كاختلاف رواة المتن فمنهم من يصحح الحديث فيأتي من يتبع
رجال ذلك الحديث فيجد في رجاله من ليس بصفة رواة الصحيح ولذا ترى
النقاد من أئمة هذا الشأن يقولون في الاعتراض على بعض المصححين كيف يحزم
بصحته وفي رواته فلان كذاب وكذا وكذا من التي لا يصح معها تصحيح
روايته وهذا كثير جداً فيما يصححه الحاكم ويوجد قليلاً فيما يصححه الترمذى
وحينئذ فلا بد من التفطن لأحوال المخبرين بالصحة ونحوها وأنه لا بد فيهم من
النباهة وعدم التغفيل وصدق الديانة والنصيحة للمسلمين فان كان المخبر بالصحة
مثل أبي عبد الله البخارى ومسلم ومن في طبقتهم ومن خرج على كتابيهما فخير
بالصحة مقبول قد تتبع أئمة هذا الشأن وفرسان هذا الميدان ما صححه الشيخان
فوجدوه مبنياً على أساس صحيح وخبرة بالرواة ومعرفة واتقان وان وجد
الشيء اليسير في رجالهما مما انتقده الحفاظ من بعدهما كانتقاد الحافظ أبي الحسن
الدارقطنى على الشيخين فان مجموع ما انتقده عليهما من الاحاديث مائة حديث
وعشرة انفرد البخارى منها بثلاثة وسبعين حديثاً واشترك هو ومسلم في اثنين
وثلاثين حديثاً وقد أجاب عنه غيره من الحفاظ بأجوبة فيها الغث والسمين
وجملة من قدح فيه من رجال البخارى ثلثمائة وثمانية وتسعون وقد دفع الحافظ
ابن حجر ما قدح به فيهم بعضه فيه تكلف وبعضه واضح لكن اذا عرفت عدة

ما اشتمل عليه الكتابان من الاحاديث الصحيحة والرجال الموثقين علمت ان صحة ما فيها الاغلب هي بالحكم له فيعمل بما فيها مالم يظن أو يعلم انه من المغلوب وذلك لان العمل بالظن والظن يحصل باخبار من غالب اخباره الصدق ولا يفت فيه بجوز انه غير صادق فيما اخبر به من الصحة مثلاً وقد صرح ائمة اصول الحديث بانه لا يترك الا من كثر خطأؤه ومعلوم ان خطأ صاحب الصحيحين في الاخبار بالصحة قليل جداً محصور كما ذكرناه فاما أهل اصول الفقه فانهم قالون انه لا يترك الا من كان خطأؤه اكثر من صوابه كما عرف

وبهذا التحقيق علمت مزية الصحيحين لا بما ادعاه ابن الصلاح من تلقي الامة لها بالقبول فانه قول غير مقبول قد حققنا في ثمرات النظر في علم الاثر بطلانه بما لا مزيد فيه ومثله في البطلان قول العلامة الجلال في ديباجة ضوء النهار انه يجب العمل بما حسنوه او صححوه كما يجب العمل بالقرآن فانه كلام باطل قد بينا وجه بطلانه في منحة الغفار حاشية ضوء النهار مع ان دعواه اعم من دعوى ابن الصلاح نعم وان كان الخبر بالصحة مثل ابى عبد الله الحاكم فقد تكلم الناس فيما اخبر به من الصحة واختلفوا فيه اختلافاً كثيراً ولهم في الاحاديث التي صححها في مستدركه ثلاثة اقوال افراط وتفریط وتوسط فافط أبو سعيد المالبقي وقال ليس فيه حديث على شرط الصحيح وفط الحافظ السيوطي فجعله مثل الصحيح وضمه اليهما في كتاب الجامع الكبير وجعل العزو اليه معلماً بالصحة كالعزو الى الصحيحين وتوسط الحافظ أبو عبد الله الذهبي فقال فيه نحو الثلث صحيح ونحو الربع حسن وبقية ما فيه من اكبر وعجائب واذا عرفت هذا عرفت ان الاحوط الوقف في قبول خبر الحاكم بالصحة لانه صار كتابه غير غالبية عليه الصحة بل الصحيح فيه مغلوب وان كان الخبر بالصحة مثل ابى عيسى الترمذي فقد اثبت عليه الاثمة وقالوا في كتابه ربع مقطوع (١) وربع على شرط ابى داود والنسائي وفيه غيرهما قد بين علمته في كتابه

وهذا ذكرناه لك معياراً ومقياساً وتمثيلاً لأحوال رواة الصحة وانهم كرواة المتون فيهم الحجة الامام وفيهم من فيه لين و مسارعة الى الاخبار بالضعف والوضع كابن الجوزي فانه يسارع الى الحكم بالوضع في احاديث عالية الرتبة عن صفة الوضع وانتقده الأئمة فابن الجوزي والحاكم أبو عبد الله في طرفي تقيص هذا يسارع الى الاخبار بالصحة وهذا يسارع الى الاخبار بالوضع فمن هنا يتعين على الناظر ذى الهمة الدينية البحث عن احوال الأئمة كالبحت عن احوال رواة المتون ويطيل مراجعة التاريخ فانه بذلك يطلع على حقائق احوال أئمة هذا للسان ويرى ما يوجب التوقف تارة والمضى أخرى والرد حيناً ما :

فصل

قد يصعب على من يريد درك الحقائق وتجنب المهاوى والمزالق معرفة الحق من اقوال أئمة الجرح والتعديل بعد ابتداء هذه المذاهب التي طال فيها القول والقليل وفرقت كلمة المسلمين وأنشأت بينهم العداوة والبغضاء الى يوم الدين وقدح بعضهم في بعض وانتهى الامر الى الطامة الكبرى العظمى من التفسيق والتكفير وشب على ذلك من اهل المذاهب الصغير وشاب عليه الكبير كل هذا من آثار هذه الاعتقادات المبتدعة في الاسلام والمجانبة لما جاء به سيد الانام عليه وعلى آله افضل الصلاة والسلام فترى اماماً من العلماء العالمين يقدح في راو من حفاظ علوم الدين بانه كان يقول بخلق القرآن وتجد اماماً آخر يقدح في راو آخر بانه كان يقول بقدم القرآن وكذلك يقدحون بامور ليست عمدة في الدين ولا يخرج المتصف بها عن زمرة المتقين ويقدحون بالقول بالقدر والارجاء والنهيب والتشيع ثم تراهم يصححون احاديث جماعة من الرواة قد رموهم بتلك القوادح الا ترى ان البخاري اخرج لجماعة رموهم بالقدر كهشام بن عبد الله الدستوائي اخرج له البخاري وقد قال فيه محمد بن سعيد كان حجة الا أنه كان يرى القدر واخرج مالك لجماعة يرون القدر كما قاله ابن عبد البر في أنه سئل

مالك كيف رويت عن داود بن الحصين وثور بن يزيد وذكر له جماعة كيف رويت لهم ولقد كانوا يرون القدر قال كانوا لان يخروا من السماء على الارض اسهل من أن يكذبوا وكم في الصحيحين من جماعة صححو احاديثهم وهم قدرية وخوارج ومرجئة.

اذا عرفت هذا فهو من صنيع أئمة الدين قد يعده الواقف عليه تناقضاً ويراها لما قرره معارضاً ويفت عنده في عضد عظمة أئمة هذا الشأن ويظن التصحيح صادراً عن مجازفة من غير اتقان وليس الامر كذلك فانه اذا حقق صنيع القوم وتبع طرائقهم وقواعدهم نفى عنهم اللوم وعلم انهم أجل من ذلك قدراً وأدق نظراً وأنصح لاهل الدين من جماعة الثغور المجاهدين وانهم لا يعتمدون بعد ايمان الراوى الا على صدق لهجته وضبط روايته وقد أقنأ برهان هذه الدعوى في رسالة ثمرات النظر في علم الاثر برهاناً لا يدفعه الا من ليس من الاذكياء ذوي النباهة والخطار

فصل

اذا عرفت هذا فاعلم ان هذه القوادح المذهبية والابتداعات الاعتقادية ينبغي للناظر أن لا يلتفت اليها ولا يعرج في القدح عليها فان القول بقدم القرآن مثلاً بدعة كما ان القول بخلقها بدعة وقد اختار الحافظ ابن حجر رحمه الله لنفسه وحكاه عن الجماهير غيره أن الابتداع بفسق لا يقدر به في الراوى الا أن يكون داعية وهذه مسألة قبول فساق التأويل وكفار التأويل وقد نقل في العواصم اجماع الصحابة على قبول فساق التأويل من عشر طرق ومثله في كفار التأويل من أربع طرق واذا عرفت ورأيت أئمة الجرح والتعديل يقولون فلان ثقة حجة الا انه قدرى أو يرى الارزاء أو يقول بخلق القرآن أو نحو ذلك أخذت بقولهم ثقة وعملت به واطرحت قولهم قدرى ولا يقدر به في الرواية غاية ذلك انه مبتدع ولا يضر الثقة بدعته من قبول روايته لما عرفت من كلام ابن حجر

ومن كلام مالك فان قولهم ثقة قد أفاد الاخبار بأنه صدوق : وقولهم يقول بخلق القرآن مثلاً اخبار بأنه مبتدع ولا نضرنا بدعته في قبول خبره

ومن هنا يتضح لك اختلال رسم العدالة الذي اتفق عليه الاصوليون والفروعيون وأئمة الحديث بأنها ملكة تحمل على ملازمة التقوى والمروءة وفسروا التقوى باجتناب الاعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة وقد أوضحنا اختلاله في ثمرات النظر وفي المسائل المهمة وفي منحة الغفار بما يعرف به انه رسم دارس وقول لا يعول عليه من هو لدقائق العلوم ممارس وان أطبق عليه الاكابر فكم ترك الاول والاخر وقد ناقضوه مناقضة ظاهرة بقبول فساق التأويل وكفاره والخوارج وغيرهم من أهل البدع المتكاثرة وبعد هذا فقد تقرر لك بما سقناه واتضح لك بما حققناه ان للناظر في هذه الاعصار أن يصحح ويضعف ويحسن كما فعله من قبله من الائمة الكبار فان عطاء ربك لم يكن محظوراً وافضاله الممدود ليس على السابق مقصوراً وان علوم الاجتهاد في هذه الاعصار أقرب تناولا منها فيما سلف من أزمنة الائمة النظار الا انه لا يخفى ان الاجتهاد موهبة من الله يهبه لمن يشاء من العباد فما كل من أحرز الفنون أجرى من قواعدها العيون ولا كل من عرف القواعد استحضرها عند ورود الحادثة التي يفترق الى تطبيقها على الادلة والشواهد

وما كل من قاد الجياد يسوسها ولا كل من أجرى يقال له مجري
نسكن على العبد طلب المعارف والتماسها من كل عارف وسهر الجفون في
أحرار دقائق الفنون وإخلاص النية وطلب الفتح من باري البرية فلخير كله
بيده ولا ياتمس الا من عنده وكل قد رأينا وسمعنا من زكي عارف أمام يضيق
عطن بحشه عند ورود حادثة من الاحكام فيتبع أقوال الرجال تقليداً ويعود
عندها مقلداً مبلداً كأنه ما عرف من بحار الفنون ولا عرف شيئاً من تلك الشئون
نسأل الله أن يعلمنا ما جهلناه ويذكرنا ما نسيناه ويرزقنا العمل بما علمنا ويهبنا
الى العلم بما جهلنا انه ولي كل خير واليه تعالى بالعالم والعمل القصد والسير وهو

المقصود في النهاية والابتداء وان الى ربك المنتهى ه ومنه نستمد الهداية والتوفيق في كل بداية ونهاية وقد طال المقال وخرج عن مطابقة مقتضى السؤال وان لم نخرج عن مطابقة مقتضى الحال فلمقام جدير بالاطالة والاسهاب حقيق بالزيادة على هذا الاطناب اذ الكلام في قواعد دينية ومباحث حديثة وخوض فيما هو من أساس الدين وعليه دوران فلك اجتهاد المجتهدين وكما قال

وقد أطال ثنائي طول لابنه ان البناء على التنبال تنبال

اذا عرفت ماقررناه فاعلم ان الذي سهل الاجتهاد والآن منه الصعاب الشداد هو ماقدمنا لك من سعي أئمة الدين في جميع علوم الاولين وجمعها بعد الشتات في نفائس المصنفات فلنكثر لهم الدعاء ولنحسن عليهم الثناء ولاننكس من كفار النعم وأشباه النعم : وانما يعرف الفضل لاولى الفضل من هو منهم واليه أشار من قال :

اذا أفادك انسان بفائدة من العلوم فأكثر شكره أبدا

وقل فلان جزاه الله صالحة أفادنيها وخل اللؤم والحسد

وبهذا يبطل تشيع الجهال بأن من خالف الاوائل في بعض المسائل قد ادعى الترفع عليهم وقال انه أعلم منهم وهذا خيال باطل وسوء ظن حاصل وإلا لزم ان التابعين قد ادعوا الفضل على السابقين الاولين من الانصار والمهاجرين وان الائمة المتأخرين قد ادعوا ان لهم الفضل على المتقدمين وهيئات مازال الفضل للمتقدم معروفاً ومابرح السابق بالترفضيل موصوفاً :

ولو قبل مبكها بكيت صباية بسعدى شفيت النفس بعد التندم

ولكن بكت قبلى فميجلى البكا بكها فقلت الفضل للمتقدم

ثم اعلم ان هنا زيادة افادة لطالب الرشاد الحقناها بارشاد النقاد وهو انه قد ظهر لك بما قررناه سهولة الاجتهاد وتيسره لاهل الهمة الامجاد فلنذكر شرائطه وكيفية تحصيله لاهل الذكاء من العباد فنقول قال الامام الكبير محمد بن ابراهيم الوزير صاحب كتاب العواصم والقواصم في الذب عن سنة ابي القاسم

في كتاب القواعد ما لفظه اعلم انه قد كثر استعظام الناس في هذا الزمان الاجتهاد واستبعادهم له حتى صار كالمستحيل فيما بينهم وما كان السلف يشددون هذا التشديد العظيم وليس هو بالهين ولكنه قريب مع الاجتهاد أي في تحصيله وصحة الذوق والسلامة من آفة البلادة ثم ذكر خمسة شروط بعد ان ابطال شرطية معرفته علم الكلام وانه علم مبتدع لم يعهد في عصر النبوة ولا عهد الصحابة ثم عد خمسة ولم يرتبها كما نسوقه

الاول معرفة علم العربية قال ويكفي فيه قراءة كتاب مثل مقدمة الشيخ ابن الحاجب قراءة فهم واتقان وهذا على الاحتياط لاعلى الاجاب وذلك لان في العربية مالا بد من معرفته وفيها مالا يحتاج الى معرفته مثال مالا يحتاج الى معرفته كلامهم في عامل المستثنى ما هو ولم يرتفع الفاعل وانتصب المفعول ونحو ذلك مما لم يعرفه العرب بل قد نقل عن ابي الحسين البصري انه قال ليس الشرط بعد معرفة الكتاب والسنة الا اصول الفقه وان اهل اصول الفقه قد نقلوا عن العربية والمعاني والبيان ما يحتاج اليه المجتهد انتهى كلام ابي الحسين

الشرط الثاني معرفة اصول الفقه وهو رأسها وعمودها بل اصلها واساسها بل سمعت عن ابي الحسين البصري صاحب كتاب المعتمد في اصول الفقه انه لا يشترط سواه بعد معرفة الكتاب والسنة

الشرط الثالث معرفة علم المعاني والبيان وقد اختلف فيه هل هو شرط أم لا قال السيد محمد والحق ان فيه ما هو شرط في بعض المسائل كالعربية وفيه ما ليس بشرط البتة وقد نقل اهل الاصول اكثر ما يحتاج اليه وقد تختلف عباراتهم والمعنى واحد

الشرط الرابع معرفة الآيات القرآنية الشرعية وقد قيل انها خمسمائة آية وما صح ذلك وانما هي مائتا آية أو قريب من ذلك ولا اعرف احداً من العلماء أوجب حفظها غيباً بل شرطوا ان يعرف مواضعها حتى يتمكن عند الحاجة من الرجوع اليها فمن نقلها الى كراسته وافردها كفاه ذلك

الخامس معرفه جملة من الاخبار النبوية ويكفى فيها معرفة كتاب جامع مثل الترمذى وسنن ابى داود والبخارى ومسلم وفيها ما لا يجب معرفته على مجتهد لانها جامعة لخبار النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه وبعوثه ولما ورد من تفسير القرآن الكريم من كلامه ولذكر الرقائق والجنة والنار واحوال القيامة والفن والاداب والفضائل وقصص الانبياء المتقدمين وغير ذلك مما لا يحتاج اليه المجتهد: والذي يدل على ان جملة من الاخبار تكفيه ولا يجب الاحاطة بها ان الصحابة قد صح اجتهدهم في احكامهم ولم يحيطوا بها علما وكذلك التابعون وائمة الاسلام ولم يعلم ان احدا احاط بها ولذا قال الشافعى رضى الله عنه علما لا يحيط بهما احد الحديث واللغة وهذا صحيح وهو قول الجاهير والخلاف فيه شاذ قال والاولى من مرید الاجتهاد ان يعرف كتاباً من كتب الاحكام التي اقتصر اهلها على ذكر احاديث التحليل والتحريم وجمعوا جميع ما في الكتب الصحاح من ذلك وبينوا الصحيح من السقيم وعد كتباً من ذلك ثم قال وانفعها كتاب تلخيص المختصر للحافظ ابن حجر فلا شك في كفايته للمجتهد وزيادة الكفاية انتهى كلامه رحمه الله: ويأتيك قريباً من اقوال الائمة الاربعة وغيرهم ما ينادى على انهم لم يحيطوا بالاحاديث النبوية وانهم صرحوا بان قولهم اذا خالف الحديث ردنا قولهم وعملنا بالحديث قلت وقد منع ائمة الدين معارضة سنة سيد المرسلين باقوال غيره من الائمة المجتهدين اولهم خير الامة وبحر علم الكتاب والسنة عبد الله بن عباس رضى الله عنه فانه روى الاعمش عن فضل ابن عمرو عن سعيد بن جبير قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عروة نهى ابو بكر وعمر عن المتعة قال ابن عباس اراهم سيهاكون: اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون قال ابو بكر وعمر رضي الله عنهما: وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن ايوب قال عروة لابن عباس رضى الله عنهما الا تتقى الله ترخص في المتعة فقال ابن عباس سل أمك يا عروة فقال عروة أما ابو بكر وعمر فلم يفعلوا قال ابن عباس رضى الله عنه ما والله اراكم متهمين حتى

يعذبكم الله احدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثونا عن ابى بكر وعمر: وفي صحيح مسلم عن ابن ابى مليكة ان عروة بن الزبير قال لرجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الناس بالعمرة في هؤلاء الاشهر وليس فيها عمرة فقال لا تسأل امك عن ذلك فقال عروة ان ابا بكر وعمر لم يفعل ذلك قال الرجل من ههنا هلكتم ما ارى الله الا يعذبكم احدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخبروني بابى بكر وعمر: ومراد ابن عباس ان عروة بن الزبير يسأل امه اسماء بنت ابى بكر فانها شهدت حجة الوداع وولدت في سفرها ومحل الاستدلال قول ابن عباس لا تقدم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام أحد من الناس كائنا من كان وناهيك بالشيخين رضى الله عنهما فانه لو جاز تقدم كلام أحد على سنته صلى الله عليه وسلم لكان احق الناس بذلك كلام صاحبيه رضى الله عنهما وليس كلامنا في المتعة اثباتاً ولا نفياً فالكلام على ذلك في غير هذا الموضع انما مرادنا ما ذكرنا واخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه سأل سائل عن متعة الحج هي حلال فقال له الرجل ان اباك قد نهى عنها فقال ارايت ان كان ابى نهى عنها وصنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ابى اتباع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم: وفي صحيح مسلم ان ابن عمر لما حدث انه صلى الله عليه وسلم امرنا بالاذن للنساء في الخروج الى المساجد قال بعض اولاده والله لا نأذن لمن وعلل كلامه بما يخشى من النساء اذا خرجن فاقسم ابن عمر ان لا يكلمه: ولما روى ابو هريرة حديث انه لا يدخل احدكم يده في الاناء اذا استيقظ حتى يغسلها ثلاثاً قال له قائل فكيف تصنع بالمهراس فقال لا تضربوا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الامثال: واخرج الترمذى انه قال ابو السائب كنا عند وكيع فقال رجل قدرى وعن ابراهيم النخعى ان الاشعار مثله قال فرأيت وكيعا غضب غضباً شديداً وقال اقول لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتمقول قال ابراهيم ما احقك بان تحبس ثم لا تخرج حتى تنزع عن قولك: هذا ولو تتبعنا اقوال الصحابة والتابعين

اطال المقال واتسع نطاق الاقوال على انه معلوم من آرائهم انهم لا يقدمون على سنته صلى الله عليه وسلم قول احد من الرجال كيف وهذا عمر رضى الله عنه لما اراد ابو بكر رضى الله عنه قتال مانعي الزكاة لم يساعده ولا على ذلك واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاستدل عليه ابو بكر بقوله صلى الله عليه وسلم الا بحقها يريد والزكاة من حقها فانشرح صدر عمر لما أمر به ابو بكر من قتال مانعي الزكاة فلم يقبل عمر قول ابي بكر حتى أقام الدليل من السنة

وأما الائمة الاربعة فان كلا منهم مصرح بأنه لا يقدم قوله على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ه أما أبو حنيفة رحمه الله فانه قال الشيخ العلامة محمد حياة السندي نزيل طيبة رحمه الله في رسالته المسماة تحفة الانام في العمل بحديث النبي عليه الصلاة والسلام ما لفظه في روضة العلماء في فضل الصحابة : سئل أبو حنيفة اذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه قال أتركوا قولي لحبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له اذا كان قول الصحابة يخالفه قال اتركوا قولي لقول الصحابة رضى الله عنهم وقال انه روى له البيهقي في المدخل باسناد صحيح الى عبد الله بن المبارك قال سمعت أبا حنيفة يقول اذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى العين والرأس واذا جاء عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختار من قولهم واذا جاء عن التابعين زاحمناهم انتهى

وأما الشافعي رحمه الله فقال الشيخ محمد بن حياة روى البيهقي في السنن عند الكلام على القراءة بسنده قال الشافعي اذا قلت قولاً وكان عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه فما يصح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى فلا تقلدوني ونقل امام الحرمين في نهايته عن الشافعي اذا صح خبر يخالف مذهبي فاتبعوه واعلموا انه مذهبي وقال مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه افعى تلدغه وهو لا يدري ذكره البيهقي أيضاً

وأما أحمد بن حنبل رحمه الله فقال أبو داود قلت لأحمد الأوزاعي هو أتبع أم مالك كأنه يريد أكثر اتباعاً من مالك فقال لا تقلد في دينك أحداً من هؤلاء، ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذ به ثم التابعين بعد الرجل فيه مخير وقال أحمد أيضاً لا تقلدني ولا تقلد مالك ولا الثوري ولا الأوزاعي وخذ من حيث أخذوا وقال من قلة فقه الرجل ان يقلد دينه الرجال (١) * وقال الشافعي أجمع الناس على أن من استبان له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد وقال إذا صح الحديث على خلاف قولي فاضربوا قولي بالحائط واعملوا بحديث الضابط نقل هذا الشيخ محمد بن حية في رسالته التي تقدم ذكرها وعند ما صح لنا هذا عن هؤلاء الأئمة جزاهم الله أفضل الجزاء عن الأئمة قلنا في أبيات

علام جعلتم أيها الناس ديننا لأربعة لا شك في فضلهم عندي
هم علماء الدين شرقاً ومغرباً ونور عيون الفضل والحق والزهد
ولكنهم كالناس ليس كلامهم دليلاً ولا تقليد في غدي مجدي
ولازعوا حاشاهم أن قولهم دليل فيستهدى به كل من يهدي
بلى صرحوا أنا نقابل قولهم إذا خالف المنصوص بالقدح والرد
وهذه نصوصهم رضى الله عنهم كما سمعته وأقوال أئمة العلم في هذه كثيرة
جداً على أنه معلوم من صفات العالم أنه لا يرتضي أن يقدم على قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد صحته أو حسنه قول نفسه ولا قول غيره والام لم يكن
علماً متبعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم قلت وإذا عرفت تصريح الأئمة بأنه
إذا صح الحديث بخلاف ما قاله فإنه لا يقلدهم أحد في قولهم المخالف للحديث
عرفت أن الأخذ بقولهم مع مخالفة الحديث غير مقلدهم لأن التقليد حقيقة هو
الأخذ بقول الغير من غير حجة وهذا القول الذي خالف الحديث ليس قولاً

(١) قال ابن القيم ولاجل هذا لم يؤلف الإمام أحمد كتاباً في الفقه وإنما دون أصحابه مذهبه من أقواله وأفعاله وأجوبته وغير ذلك

اهم لانهم صرحوا بانهم لا يتبعون فيما خالف الحديث وان قولهم هو الحديث ولقد كثرت جنائيات المقلدين على ائمتهم في تعصبهم لهم فمن تبين له شيء من ذلك أي من الاحاديث النبوية فلا يعذر في التقليد فان ابا حنيفة و ابا يوسف قالوا لا يحل لاحد من أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه وان كان الرجل متبعاً لاحد الائمة الاربعة ورأى في بعض المسائل أن قول غيره أقوى منه فاتبعه كان قد احسن في ذلك ولا يقدر ذلك في عدالته ولا دينه بلا نزاع وهذا اولى بالحق واحب الى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فمن تعصب لواحد معين غير الرسول صلى الله عليه وسلم ويرى ان قوله هو الصواب الذي يجب اتباعه دون الائمة الاخرين فهو ضال جاهل بل قد يكون كافراً يستتاب فان تاب والا قتل فانه متى اعتقد انه يجب على الناس اتباع واحد معين من هؤلاء الائمة رضى الله عنهم دون الاخرين فقد جعله بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك كفر انتهى نقله الشيخ محمد حياة رحمه الله قلت وقوله من هؤلاء الاربعة بيان للواقع اذ هم في نظره المتبعون والا قال بالاطلاق من غير تقييد بالاربعة ثم من هنا يعرف بطلان قولهم وبعد الالتزام يحرم الانتقال الا الى ترجيح نفسه فانا نقول بل يحرم الالتزام اذ معناه تقليد معين من العلماء وعدم الرجوع الى تقليد غيره فانا نقول هذا الالتزام للمعين هل كان ايثار التزام المقلد لمذهب من بين مذاهب العلماء عن نظر واجتهاد قضى له ارجحية مذهبه على غيره التزاماً أو كان عن غير نظر بل تقليداً في تعيين التزام مذهبه ان كان لاول فدل على انه مجتهد عارف بالنظر في الادلة راجحها و مرجوحها وهذا لا يحل له التقليد فضلاً عن الالتزام وان كان الثاني وان تبعه سهواً وخطأً فلا اعتبار بالتزامه فان شهوته ليس بدليل وما احسن قول ابن الجوزي في تلبيس ابليس اعلم ان المقلد على غير ثقة فيما قلد وفي التقليد ابطال منفعة العقل لانه خلق للتأمل والتدبر وقبيح بمن اعطى شمعة ان يطفئها ويمشي في الظلمة انتهى

فان قلت القائلون بجواز التقليد طائفة من العلماء ولهم ادلة على جوازه قلت القائلون بتحريمه طائفة أيضاً من الامة ولهم ادلة على ذلك ولا يهولك القائلون وكثرتهم من الفريقين بل ارجع الى الادلة فهي معيار الحق من الباطل وبها تبين الحالى جيده من العاطل واقدم لك مقدمة نافعة قبل سرد الادلة من الجانبين وهو ان لا شك ان لنا اصلاً متفقاً عليه وهو انه لا يثبت حكم من الاحكام الا بدليل يثمر علماً أو امارة تثمر ظناً وهذا امر متفق عليه بين العلماء قاطبة بل بين كافة العقلاء من أهل الايمان ومن أهل سائر الملل والاديان وان هذا عام لاحكام الدنيا والدين شامل للموحددين والملحددين فانه مغرور في العقول انه لا يقدم أحد على فعل من الافعال أو ترك من التروك الا بعد اعتقاده عن علم أو ظن ان هذا الفعل ترك أو فعل لما يترتب عليه فائدة دينية أو دنيوية من جلب نفع أو دفع ضرر وهذا الاعتقاد ملازم بعلم أو ظن عن دليل وامارة: وقال ملاعلى قاري رحمه الله تعالى وان اشتهر بين الخنفية ان الخنفي اذا انتقل الى مذهب الشافعي يعزز واذا كان بالعكس فانه يخلع عليه فهو قول مبتدع ومخترع وقال ملاعلى قاري في رسالته في اشارة المسبحة وقد اغرب السكيداني حيث قال والعاشر من المحرمات الاشارة بالسبابة كأهل الحديث أى مثل جماعة يجمعهم العلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا منه خطأ عظيم وجرم جسيم منشؤه الجهل بقواعد الاصول ومراتب الفروع من المنقول ولولا حسن الظن به وتأويل كلامه حينئذ لكان كفره صريحاً وارتداده صحيحاً فهل لمؤمن أن يحرم ما ثبت فعله عنه صلى الله عليه وسلم مما كاد نقله أن يكون متواتراً وينبغي ما عليه عامة العلماء كابراً عن كابر مكابراً^(١) فكل عاقل لا يقدم على فعل أو

(١) الى هنا هو من كلام ملا على القاري وتمامه كما هو في غير موضع: والحال ان الامام الاعظم والهمام قال لا يجل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يلم مأخذه من الكتاب والسنة واجماع الامة والقياس الجلي في المسألة فاذا عرفت هذا فاعلم انه لو لم يكن نص للامام على المرام لكان من الممتنعين على أتباعه من العلماء الكرام فضلاً عن العوام أن يعملوا بما صرح عنه عليه وعلى آله الصلاة والسلام وكذا لو صرح عن الامام فرضاً نقي الاشارة وصح اثباتها عن

يحمجهم عنه الا لاعتقاده نفعا أو دفعاً والاعتقاد لا يكون الا عن علم أو ظن والعلم لا يكون الا عن دليل والظن لا يكون الا عن أمانة ثم ان العقول مجبولة على أن لا تقبل قولاً من الاقوال الا لظن صدقه أو العلم به ولا ترده الا لظن كذبه أو العلم بكذبه وظنها صدق القول أو كذبه أو علمها بهما يتوقفان على الدليل والأمانة واذا تقرر هذا فالعقلاء قاطبة وأهل الملل والنحل المختلفة متفقون على انه لا يجب تصديق أحد واتباع قوله حتى يأتي ببرهان على ما قاله من دعواه أو اخباره عن أى أمر * ألا ترى ان موسى عليه السلام لما قال لفرعون (أي رسول رب العالمين) الى قوله (قد جئكم ببينة) الى قوله (قال فرعون فانت بها ان كنت من الصادقين) وفي سياق قصصه في القرآن كلها نحو هذا وقال صالح (قد جئكم ببينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية) بعد قولهم (فانت به ان كنت من الصادقين) وسائر قصص الانبياء كذلك * وأما قوم هود (ما جئنا ببينة وما نحن بتاركي أهلتنا عن قولك) فمن تعنتهم في كفرهم وجعلهم البيينة غير بيينة واذا عرفت هذا عرفت ان كل عاقل لا يقبل قول قائل مدعياً ومخبراً ولا يصدقه حتى يقيم البيينة على ما قاله فان هذا فرعون مع غلوه في كفره وكبريائه طلب من موسى البيينة على دعواه انه رسول من رب العالمين ولم يقابله بالرد لدعواه بصد واعراض عن ما قاله وادعاه ولم يقل له صدقت ولا كذبت بل طلب

صاحب البشارة فلا شك في ترجيح المذهب المسند اليه صلى الله عليه وآله وسلم وكيف وقد وجد نقله الصريح بما ثبت بالاسناد الصحيح فمن أنصف ولم يتعسف عرف ان هذا سبيل اهل التدين من السلف والخلف ومن عدل عن ذلك فهو هالك يوصف بالجاهل المعاند المكابر ولو كان عند الناس من الاكابر : اه أقول وردت الإشارة بالسبابة في الصلاة من حديث وائل بن حجر عند أبي داود والنسائي والامام احمد بن حنبل وابن خزيمة والبيهقي : قال اصحاب الشافعي تكون الإشارة بالاصبع عند قوله الا الله من الشهادة : قال النووي والسنة أن لا يجاوز بهرمة اشارته : وفيه حديث صحيح في سنن أبي داود « ويشير بها موجهة الى القبلة » وينوي بالإشارة التوحيد والاخلاص : قال ابن رسلان والحكمة في الإشارة بها الى ان المعبود سبحانه وتعالى واحد لا يجمع في توحيده بين القول والفعل والاعتقاد : وروي عن ابن عباس في الإشارة انه قال هي الاخلاص : وقال مجاهد مقعمة للشيطان : والله أعلم .

منه البرهان كقوم صالح وكل أهل ملة من الملل الكفرية تطالب رسولها بالبينة على دعواه النبوة والرسول جميعاً لا تنكر عليهم طلبها بل منهم من يعرف دعواه بأن عنده البرهان عليها قبل أن يطالبوه به * ألا ترى أن موسى عليه السلام قال لفرعون في بعض محاورته (حقيق أن لأقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم) الآية وإذا أقام النبي عليه السلام البينة على دعوى النبوة فمن قومه من يصدقه وينقاد له كما كان من سحرة فرعون فأنهم لما شاهدوا تلقف عصاه لما أتوا به من سحر عظيم كلوصفه الله (خروا سجداً وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) وتنادى فرعون ومن تبعه على كفرهم وتكذيبهم بعد علمه وعلم من بقى معه على كفره بصدق موسى كما قال تعالى فيهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) فأخبر الصادق في اخباره المطلع على إضمار القلب وأسارره بأنهم جحدوا بآيانه المبصرة وأنفسهم بها متيقنة وقال موسى عليه السلام لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض) واعلم أن سر هذه الاخبار منه تعالى بأنهم جحدوا بها عن يقين أن الله تعالى كما جبل العقول على أن لا تميل دعوى ولا تصدق خبراً إلا عن بينة تقام عليهما كذلك جبالها على قبولها وانقيادها وإذعانها لقبول القول إذا أقيمت البينة عليه والبرهان وتصديقها للدعوى والخبر في أى شأن كما جعل الشيع عند الكل فإن لم يقبل بعد اقامته فليس إلا مكابرة وظلماً وعلواً وعدواناً ولو بسطنا الاستدلال لطال المقال إلا أن المسئلة معلومة بالضرورة عند العقلاء مبسوطه في دواوين الاسلام فلا حاجة الى الاطالة ويدل لذلك (وما كنا معذيين حتى نبعث رسولاً) وقوله (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقوله (ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير) ومعلوم انه تعالى لم يبعث الرسل الا لتقوم الحجة على العباد ولا تقوم الا ببرهان ينقاد اليه عقول من أرسل اليهم والا لم يكن ذلك برهاناً في حقهم والمفروض انه برهان فمن أنكره وجحد به فلا يجحد به الا عناداً وجهلاً ومكابرة ولذلك انه تعالى بعد إرساله رسوله وانبايهم

للأمم بالبراهين على صدقهم وهي المعجزات يهلك من لم يتبعهم ويرسل عليهم
المصائب السماوية والارضية كما قال تعالى (فمنهم من أرسلنا اليه حاصباً ومنهم
من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون) فصرح بانه تعالى لم يظلمهم باهلاكم بانواع العقوبات لانه
قد أقام عليهم براهين خفية رسله وعلّموا صدقهم ولكنهم عاندوا وجحدوا بآياته
ورسله وقد كانت قريش تعلم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
أتى به من البينات ولكنهم جحدوا بآياته وتعتوا في طلب معجزات اقترحوها
باهوائهم (كقولهم ان نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً أو يكون لك
جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تَفْجيراً أو تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى
في السماء وإن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأ) فهذا تعنت وتشدد في
الكفر مع ان لو جاءهم بكتاب من السماء لزادوا طغياناً كما قال تعالى (ولو
نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر
مبين) فاقترحوا ما تراه من اهوائهم وعنادهم وجهلهم ولا يجب على الرسل
الا الاتيان بالبرهان الدال على صدقهم من المعجزات التي يعجز عنها قدرهم
وقواهم لانه يجب عليهم ان يأتوا بمعجزة يقترحونها بتعتهم ولو اتوا بها لتعتوا
ثانية وثالثة بل لو ادخلوا النار وردوا لعادوا لما نهوا عنه ولذا قال تعالى (ولو
اتبع الحق اهوائكم لفسدت السموات والارض ومن فيهن) بل حكى الله عن
عنادهم فقال (ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما
سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون) فليس على رسول الله بعد دعواهم
الرسالة الا اقامة البرهان على صدقهم كما حكى الله تعالى في كتابه عن كل نبي
مع امة ورسوله مع قومه ولو تأمل الناظرون والمناظرون تأديبات القرآن وكيفية
اقامة البرهان الذي هو في غاية البيان لاستغنوا به عن تأليف اليونان وتعلم اداب
البحث لفلان ولفلان والمقصود ان من اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد اقامة

البرهان زادهم هدى وآتاهم تقواهم ومن عانده وكابره وجحد ما آتى الله به عاقبه الله بتقليب فؤاده وبصره كما قال تعالى (ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) وكما قال تعالى (وما يأتيتهم من رسول الا كانوا به يستهزئون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين) أي سلكنا الذكر ادخلناه في قلوب المجرمين الذين قد اجرموا بتكذيب ما عملوه حقاً من النبوة والكتاب أي ادخلناه مكذباً به مستهزئاً به: وقوله «لا يؤمنون به» بيان لذلك أو حال وهو اخبار انه عاقبهم بتكذيبهم الذكر فجعلهم مجرمين لانها قامت عليهم حجة الله ورسوله فكذبوها بغيا وحسداً وعدواناً فعاقبهم الله بان لا يهتدوا للامان بعد ذلك ولا يزيدهم آياته الا طغياناً كبيراً — كما قال تعالى في القرآن (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرأ وهو عليهم عى) ومراده بالذين لا يؤمنون هم من أنكر وجحد وكابر الرسول صلى الله عليه فيما آتى به في اول دعواه من البرهان * فالمنى والذين لا يصدقون بما ينجب عليهم تصديقه * وكما قال تعالى (أو نزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً) فالظالمون هم الذين ردوا آيات الرسل بعد علمهم بصدقها فعوقبوا بأن لا يهتدوا بكلام الله الذي هو شفاء ورحمة ولا يزدادون الا خساراً بخساراً من قبل ما جاءت به الرسل أول مرة زادهم الله هدى (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً) فهولاء لما قابلوا براهين الرسل بالقبول والتصديق لهم والاذعان زادتهم آياته ايماناً وأولئك لما قابلوها بالجحود والتكذيب والمنكابة والعصيان زادتهم آيات الله خساراً: هذا ومقصودنا انما هو بيان ان الاصل الاصيل والاساس الذى يبنى عليه التأصيل انه لا يقبل كلام أحد من دعوى يدعيها . أو قصة برويها إلا بافاضة الدليل على دعواه والبرهان على صدق ما رواه فاذا قام البرهان وبينه بما تقبله العقول والاذهان وجب قبول قوله وتصديق منقلبه

واذا عرفت هذا الاصل الجليل عرفت ان المقلد قبل قول من قلده من غير

امارة ولادليل فان حقيقة التقليد قبول قول الغير من دون حجة: مثاله أن يقول لك العالم مثلاً المنى طاهر ويقول لك عالم آخر بل هو نجس فان قبلت قوله فهذا قول صدر من العالم ولم يأت لك بدليل عليه * وما قبولك لقول من قال انه نجس بأولى من قبولك لمن قال انه طاهر لان القائلين عالمان وكلاهما قال لك قولاً لازماً ما لم يتبين لك دليله وكون القائل بأنه طاهر من ديار الشافعية وعلمائهم لا يصير احد القولين أرجح من الآخر عقلاً وشرعاً فان الديار والانتساب والاعتزاء الى أى عالم من علماء الامة لا يصير به أحد القائلين محقاً والآخر مبطلا: ضرورة عقلية وشرعية ان الاوطان لا اثر لها في ترجيح الاديان وان الانتساب والاعتزاء الى أى عالم من علماء الامة لا يصير كلام من انتسب اليه حقاً وكلام من لم ينسب اليه باطلاً

فان قلت العالم انما روى له معنى الاحاديث النبوية فالقائل انه نجس روى لنا معنى الاحاديث الواردة بغسله والقائل بأنه طاهر روى لى معنى الاحاديث الدالة على الاكتفاء بفركه * وقبول رواية الاخبار النبوية قد قام الدليل عليه واتفق الناس عليه وان اختلفوا في قدر نصاب ما يجب قبوله من الواحد أو الاثنين أو الاربعة

قلت نعم نحن قائلون بقيام الدليل على قبول خبر الآحاد بشروطه وانه تجوز الرواية بالمعنى ولكنك واهم في جعل قول العالم رواية لك بالمعنى فان القائل لك انه نجس انما أخبرك بالذي رجح عنده والقائل انه طاهر انما أخبرك بالذي رجح عنده اذ كل من العالمين قد عرف تعارض الادلة في المسألة ورجح عنده نظره احد الحكمين والآخر رجح عنده خلافة فهما مخبران لك عن رأيهما اذ الترجيح رأي محض يحصل لكل واحد من تعارض الادلة وكل منهما يجب عليه اتباع ما رجح له ولا يجب على غيره أن يتبعه في رأيه لا المجتهد ولا المقلد * أما الاول فبالاجماع وأما الثاني فمحل النزاع فانا الآن في البحث في جواز التقليد للعالم في قوله من غير ذكره لدليله

فان قلت قد قام الدليل على جواز التقليد قلت لمن قام هل للمقلد فالغرض انه مقلد لا يعرف الادلة ولا كيفية تطبيقها على المدعى ولا شرائط الاستنباط اذ لو كان كذلك لما كان مقلداً وهو خلاف المفروض أو قام دليل جواز التقليد للمجتهد فلا ينفع المقلد قيامه لغيره

فان قلت قام للمجتهد وقلده فيه المقلد قلت يمنع ذلك اتفاقهم ان مسألة جواز التقليد من مسائل الاصول ولا يجوز التقليد فيها وذلك لان المطلوب فيها العلم ولا يحصل الا بالدليل ولا يعرف الدليل الا المجتهد

فان قلت لانسلم انه لا بد في مسائل الاصول من أن يكون عن علم ولا يجوز أن يكون عن ظن قلت ان سلم هذا فالظن بالحكم الشرعي لا يكون الا عن أمانة شرعية ولا يعرفها الا المجتهد

فان قلت اذا أمليت أدلة جواز الاجتهاد على المقلد فهم المراد منها وعرفه واستند اليها وكان من املاها راوياً له قلت فانك اذا أمليت عليه قوله تعالى (فاستلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) فهم ان هذا أمر منه تعالى بسؤال أهل العلم عما لا يعلمه واخذ هذا الحكم من الآية فان هذا القدر يفهمه منها كل من له أهلية الفهم ولا يحتاج الى نحو ولا أصول ولا معاني ولا بيان ولا غيرها وصار مجتهداً في وجوب سؤال أهل العلم عما لا يعلم لان المفهوم عرفاً من الاوامر هو الوجوب * ومعلوم عقلاً ان الله تعالى اذا أمر بسؤالهم انه قد أذن بقبول قولهم والا لم يكن الامر بسؤالهم فائدة قلت اذا قلتم تكلفه هذا في الاجتهاد فما أحسن هذا المراد وهذا هو ما اراده من يقول بوجوب الاجتهاد على جميع الافراد مما له أهلية في فهم ما يراد وأحد الوجوه في الآية ان المراد فاستروهم الآيات والاحاديث ان كنتم لاتعلمون فالآية أمر سؤلهم عن الآيات والاحاديث والآية الى هذا المعنى اقرب لانه تعالى علق عدم علمهم بالبينات والزبر فالأظهر اسألهم عن البينات والزبر التي لاتعلمونها لاتسألهم عن آرائهم وماترجح لهم حتى تكون الآية دليلاً على جواز التقليد * واذا فهم المقلد من

هذه الآية هذا المعنى فأى مانع ان يفهم من غيرها ما يعمل به في غيرها من الاحكام ويجتهد

واعلم انه ليس مع المانعين لذلك الا مجرد الاستبعاد واستعظام من وارثه اللحدود من العلماء الامجاد وانه لا يكون الا لهم الاجتهاد وليس للمتأخرين الا جعل أقوال القدماء لادهانهم كالاصفاذ لا يخرجون عنها وان ناطحت علومهم الافلاك وجاوزت معارفهم أهل الكمال والادراك وما أرى هذا والله الا من كفران النعمة وجحود المنّة فان الله سبحانه كل عقول العباد ورزقهم فهم كلامه وما اراد * وفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ تعالى كتابه وسنة رسوله الى يوم التناد بأن كثيراً من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية لا يحتاج في معناها الى علم النحو والى علم الاصول بل في الافهام والطباع والعقول ما سارع به الى معرفة المراد منها عند قرعها الاسماع من دون نظر الى شيء من تلك القواعد الاصولية والاصول النحوية فان من قرع سمعه قوله تعالى (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) يفهم معناه من دون أن يعرف ان ما كلمة شرط وتقدموا مجزوم بها لانه شرطها وتجدوه مجزوم بها لانه جزاؤه ومثلها (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه أمداً بعيداً) ومثلها (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) يفهم من الكل ما أريد منها من غير أن يعرف أسرار العلوم العربية ودقائق القواعد الاصولية ولذا ترى العامة يستفتون العالم ويفهمون كلامه وجوابه وهو كلام غير معرب في الاغلب بل تراهم يسمعون القرآن فيفهمون معناه ويبكون لقوارعه وما حواه ولا يعرفون اعراباً ولا غيره مما سقناه بل ربما كان موقع ما يسمعون في قلوبهم أعظم من موقعه في قلوب من حقق قواعد الاجتهاد وبلغ غاية الذكاء والانتقاد وهؤلاء العامة يحضرون الخطب في الجمع والاعياد وينذوقون الوعظ ويفهمونه ويفتت منهم الاكباد وتدفع منهم العيون ويدركون من ذلك ما لا يدركه العلماء المحققون ويسمعون احاديث

الترغيب والترهيب فيكثر منهم البكاء والنحيب وأنت تراهم يقرؤون كتباً مؤلفة من الفروع الفقهية كالازهار للهدوية والمنهاج للشافعية والكبير للحنفية ومختصر خليل للمالكية ويفهمون مافيها ويعرفون معانيها ويعتمدون عليها ويرجعون في الفتوى والخصومات اليها فليت شعري مالذي خص الكتاب والسنة بالمنع عن معرفة معانيها وفهم تراكيبها ومبانيها والاعراض عن استخراج مافيها حتى جعلت معانيها كالمقصورات في الخيام قد ضربت دونها السجوف ولم يبق لنا اليها الا ترديد الفاظها والحروف وان استنباط معانيها قد صار حجباً محجوراً وحرماً محرماً محصوراً

وقال بعض العلماء المتأخرين في شرح بلوغ المرام في شرح حديث « ان الحاكم اذا اجتهد فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر » ما لفظه : انه اشتغل بالحديث عن اشتراط أن يكون الحاكم مجتهداً قال وهو المتمكن من أخذ الاحكام من الادلة الشرعية قال ولكنه يعز وجوده بل كاد يعدم بالكلية ومع تعذره فمن شرطه أى الحاكم أن يكون مقلداً مجتهداً في مذهب إمامه ومن شرطه أن يحقق أصول إمامه وأدلته وينزل أحكامه عليها فيما لا يجده منصوصاً في مذهب إمامه انتهى

وقد نقلناه في شرحنا سبل السلام وتعقبناه بقولنا : قلت ولا يخفى ما في هذا الكلام من البطالان وان تتابع عليه الاعيان وما أرى هذه الدعوى التي تطابق عليها الانظار الا من كفران نعمة الله عليهم فانهم أعنى المدعين لهذه الدعوى وهى دعوى عزة وجود المجتهدين في الاحكام بالكلية : أو كيدودة عدمه مجتهدون يعرف أحدهم من القواعد التي يمكنه بها الاستنباط واستخراج الاحكام الشرعية من الادلة النبوية ما لم يكن قد عرفه عتاب بن أسيد قاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة ولا ابو موسى الاشعري قاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليمن ولا معاذ بن جبل قاضيه فيها وعامله عليها ولا شريح قاضى عمر وعلى رضي الله عنهم في الكوفة شيئاً من هذه الشرائط التي أفادها قول ذلك الشارح

رحمه الله ان من شرط الحاكم أن يكون مجتهداً في مذهب إمامه وأنه يتحقق أصوله وأدلته إلى آخره هي شرائط المجتهد في الكتاب والسنة فإن هذا هو الاجتهاد الذي قال بعزّة وجوده أو كيدوده عدمه بالكلية هـ فلا جعل هذا المقلد المجتهد في كلام إمام إمامه كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم عوضاً عن كلام إمامه وتتبع نصوص الكتاب والسنة عوضاً عن تتبع نصوص إمامه والعبارات كلها ألفاظ دالة على معانيها فهـ لا استبدال بألفاظ إمامه ومعانيها ألفاظ الشارع ومعانيها ونزل الأحكام عليها إذا لم يجد نصاً شرعياً عوضاً عن تنزيلها على مذهب إمامه فيما لم يجده منصوصاً تالله لقد استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير من معرفة السنة والكتاب إلى معرفة كلام الشيوخ والأصحاب وتفهم مرامهم والتفتيش عن كلامهم

ومن المعلوم يقيناً أن كلام الله وكلام رسوله أقرب إلى الافهام وأدنى إلى أصابة بلوغ المرام فإنه أبلغ الكلام بالاجماع وأعذبه في الإفواه والاسماع وأقربه إلى الفهم والانتفاع ولا ينكر هذا إلا جملود الطباع ومن لاحظ له في النفع والانتفاع * والافهام التي فهم بها الصحابة الكلام الإلهي والخطاب النبوي هي كفهامنا واحلامهم كاحلامنا اذ لو كانت الافهام متفاوتة متفاوتاً يسقط معه فهم العبارات الإلهية والاحاديث النبوية لما كنا مكلفين ولا مأمورين ولا منتهين لا اجتهداً ولا تقليداً * أما الاول فلاحاته * وأما الثاني فلائنا لانقلد حتى نفهم جوازه وأدلته ولا يفهم ذلك إلا من ادلة الكتاب والسنة وقد تعذر ذلك كما قلتم وقد سبق بسط هذا * على انا لانشرط في هذا ماسلف من الشرائط في المجتهد التي ذكرناها عن مؤلف العواصم والقواصم انما نقول انه يستروى عن العالم الآية والحديث في الحكم الذي يتعلق به في الحالة الراهنة ثم يعمل به بعد فهمه انما يشترط ان تؤخذ الرواية عن من يوثق بصدقه ودينه وورعه وشهرته بالعلم النافع من الكتاب والسنة وألا يسأله عن مذهب فلان ولا فلان * كيف وفي كتب الاصول نقل الاجماع على تحريم تقليد الاموات ولقد عظمت جنايات

المقلدين على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أئمة مذاهبهم الذين تبرؤوا عن إثبات مقال لهم بخالف نصاً نبوياً فإنها اذا وردت بخلاف ماقرره من قلدوه حرفوها عن مواضعها وحملوها على غير ما اراده صلى الله عليه وسلم كما قال بعض المعتزلة في حديث «شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي» وقد اعتقد ذلك المعتزلي انه لا شفاعاة للعصاة فقال مراده صلى الله عليه وسلم بأهل الكبائر المؤمنون أهل الصلاة لان الصلاة كبيرة قال الله (وانها لكبيرة الا على الخاشعين) فانظر رأي تحريف أعجب من هذا الذي قاده اليه مذهبه واعتقاده ان لا شفاعاة لاهل الكبائر وكونه تحريفا لا يحتاج الى دليل: ومثل قول بعض من اعتقد نذب صوم يوم الشك لانه مذهب امامه في حديث عمار بن ياسر رضى الله عنه « من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم » انه مراده بأبي القاسم عمار نفسه قال قد عصاني وانما وضع الظاهر موضع المضمحل ولا يخفى ما في هذا الحمل من تحريف مع اتفاق الناس على كنية عمار أبو اليقظان: ومثله قول ابن القيم في الهدي النبوي أن مراد عمار بيوم الشك آخر يوم من شعبان ولفظه والمنقول عن عمر وعلى وعمار النهي عن صوم آخر يوم من شعبان تطوعا وهذا هو الذي قال فيه «عمار من صام اليوم الذي شك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم»

قلت وهذا من التحريف رعاية للمذهب لان احمد بن حنبل قائل بصوم يوم الشك فحمله رعاية المذهب على حمل حديث عمار على آخر يوم من شعبان تطوعا وهذا اليوم لا شك فيه قطعاً بل هو يوم يقين من شعبان: وكقدح بعض الحنفية في أبي هريرة رضى الله عنه كما ذكره الحافظ في فتح الباري لما روى حديث المصراة على خلاف ما يعتقدونه مذهبا

والحاصل ان من اعتقد مذهبا من المذاهب فانه يؤدي ذلك الى الحمالة عليه والى اخراج الآيات والأحاديث عن معانيها التي أرادها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فان من قال بتحريم أكل طعام أهل الذمة وتحريم ذبائحهم حمل

قوله تعالى (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم) على حل أخذ الجبوب منهم كالخنطة والشعير فليحذر المؤمن المؤثر للحق على الخلق عن هذه الاعتقادات ورد الاحاديث والآيات الى مثل تأويل الفرقة الباطنية وكل هذا من قبائح الاعتقادات المذهبية وأنى لاخاف ممن حرف الآيات والاحاديث ليوافق اعتقاده أن يقلب فؤاده وقلبه فلا يوفق لمعرفة الحق عقوبة كما فعله الله فيمن رد براهين النبوة وكذب بها كما أسلفناه في قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم) الآية ولو تتبع ما وقع لأهل التقليد من التحريف لجاء منه مجلد وسيع لكن مرادنا النصيحة لا التشنيع وهي تحصل بأقل مما سبقناه وأيسر مما رقمناه

فان قلت قد ذكر العلماء أدلة لجواز التقليد واسعة وطرائق نافعة قلت نعم وقد ردها أئمة الاعتقاد وأوضحوا ما فيها من الفساد ولذا ذكر خلاصة كلام الفريقين فالدليل الاول قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) قالوا فأمر سبحانه من لا يعلم أن يسأل من هو أعلم منه فالجواب انا نقول أولا ان التزام مذهب امام معين في جميع أقواله بحيث أن لا يحل الخروج عنه بحال بدعة وكل بدعة ضلالة فما معنى الاستدلال على البدعة

أما كونه بدعة فلانكم يا أسراء التقليد وغيركم لا يمكنكم أن تدعوا أنه كان في عصر الصحابة رجل واحد اتخذ رجلا من الصحابة يقلده في كل أقواله ولم يترك منها شيئا وأسقط أقوال غيره البتة فلم يأخذ منها شيئا ويتأول ما ورد من الآيات والاحاديث ليوافق مذهب من قلده هذا معلوم بالضرورة انه لم يكن في الصحابة ولا في تابعيهم ولا تابع التابعين وهذه هي القرون الثلاثة التي خیرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « خير القرن قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يغشوا الكذب » الحديث وما حدثت بدعة التقليد الا في القرن الرابع الذي ذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأما الآية التي ذكرتم فإن الله تعالى أمر فيها من لا يعلم أن يسأل أهل الذكر والذكر هو القرآن والسنة كما ذكره الله في قوله مخاطباً للنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة » وآياته القرآن والحكمة السنة وكما قال تعالى (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته) الى قوله (والحكمة) فالامر في الآية للجاهل أن يسأل أهل القرآن والحديث عنهما ليخبروه فإذا أخبروه وجب عليه اتساع ما أخبروه به وهذا على أظهر الوجوه في تفسير الآية لمن له أدنى المام بالتفسير فكيف يستدل على أعظم قواعد الاصول بوجه مجروح : ويؤيد هذا الوجه الراجح معنا أن هذا كان شأن أهل العلم في الصحابة والتابعين يسأل الجاهل العالم أي عالم عن الآيات والسنة وليس لهم مقلد معين يتبعونه في أقواله فكان ابن عباس رضي الله عنه يسأل الصحابة عن ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فعله لا يسأله عن غير ذلك وكذلك الصحابة كانوا يسألون نساءه صلى الله عليه وسلم عن ما يخفى عليهم من سنته سيما عائشة رضي الله عنها : وكذلك التابعون كانوا يسألون الصحابة عن أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وسنته وكذلك أئمة الفقه قال الشافعي رضي الله عنه لأحمد بن حنبل يا أبا عبد الله أنت أعلم بالحديث مني فإذا صح الحديث فأعلمني حتى أذهب اليه شامياً كان أو كوفياً أو بصرباً ولم يكن أحد قط من أهل العلم يسأل الرجل عن رأي رجل بعينه فيأخذ به ويطرح ما سواه

الثاني من أدلة جواز التقليد أنه صلى الله عليه وسلم قال في قصة صاحب الشجة « الا تسألوا اذا لم تعلموا انما شفاء العي السؤال » فارشدهم الى السؤال والجواب انه صلى الله عليه وسلم انما أرشد المفتين لصاحب الشجة الى السؤال عن حكمه صلى الله عليه وسلم وسنته فقال قتلوه قتلهم الله يدعو عليهم لما أفتوا بغير علم وفي هذا تحريم الافتاء بالتقليد فان الافتاء به ليس علماً باتفاق الامة وما دعا رسول

الله صلى الله عليه وسلم على فاعله فإنه حرام وهو أحد أدلة التحريم فالحديث حجة على تحريم التقليد لا على جوازه

الثالث من أدلتهم قالوا قال أبو العسيف الذي زنى بامرأة مستأجره « واني سألت أهل العلم فأخبروني أنما على ابني جلد مائة وتغريب عام وان على امرأة هذا الرجم » أخرجه البخاري قالوا فلم ينكر صلى الله عليه وسلم تقليد من هو أعلم منه والجواب أن هذا سأل أهل العلم فأفتوه بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنها سأل فهو يصلح عاضداً للآية وان المراد سؤال أهل الذكر عن الكتاب والسنة لا عن رأيهم

الرابع من أدلتهم قوله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) ومقلدهم تابع لهم فهو ممن رضى الله عنه : والجواب صدق المقدمة الاولى وكذب الثانية فإن الاولى ضرورية الصدق وأما كذب الثانية فان تفسير اتباعهم بالتقليد من تحريف الكلم عن مواضعه كيف وهذا التقليد الذي يريدونه بدعة حادثة لا يفسر بها كلام الله : واتباعهم انما هو سلوك طريقهم ومنهجهم وقد نهوا عن التقليد فلم يكن في السابقين الاولين من المهاجرين والانصار مقلد بالاتفاق فكيف يقال من اتباعهم تلميذهم بل التابعون لهم باحسان هم أهل العلم أئمة الكتاب والسنة الذين لا يقدمون على كتاب الله رأياً ولا قياساً ولا يجعلون كلام أحد عياراً على القرآن والسنة فالذي اتبعهم هو من تبع الحجة وانقاد بالدليل ولم يتخذ رجلاً بعينه اماماً يقتدى باقواله وسننه سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء) فامر تعالى باتباع المنزل خاصة والمنزل هو الكتاب والسنة قال الله (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فالقليد لا يكون اتباعاً فان الاتباع سلوك طريقة المتبع والآيتان

بمثل ما أتى به : وقد عقد أبو عمر بن عبد البر باباً في الفرق بين الاتباع والتقليد وقال قال عبد الله بن خويزمنداد البصرى المالكي التقليد معناه في الشرع الرجوع الى قول لا حجة لقائله عليه وذلك ممنوع عنه في الشريعة والاتباع ما ثبت عليه حجة

والخامس من أدلة المقلدين الحديث المشهور « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم » والجواب ان الحديث قد روى عن عمر من طرق لا يصح منها شيء قال البزار وأما ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » فهذا الكلام لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وإن صح فالافتداء غير التقليد فإن الافتداء فعلك مثل فعل الغير على الوجه الذي فعله بالدليل الذي فعله فلذلك قلنا من آيات

وشتان ما بين المقلد في الهدى ومن يقتدي فالضد يعرف بالضد
فمن قلد النعمان أصبح شاربا نبيذاً وفيه القول للبعض بالحد
ومن يقتدي اضحى امام معارف وكان اويسا في العبادة والزهد
فمقتدياً في الحق كن لا مقلدا وخل اخل التقليد في الاسر بالقد

فالمقلد لا يحنيفة وهو المراد بالنعمان يجوز عنده شرب النبيذ وابو حنيفة
لن يشربه فالافتداء به ان لا يشربه بل المقتدى به يكون اماما في العلم والزهد
كأبي حنيفة ومثله قول الامام الكبير محمد بن ابراهيم الوزير مؤلف العواصم
والقواصم في الذب عن ابي القاسم من آيات :

هم قلدوهم فافتديت بهم وكم بين المقلد في الهدى والمقتدى
من قلد النعمان أصبح شاربا لمثلث رجس خبيث مزبد
ولو اقتدى بأبي حنيفة لم يكن الا اماما راکعاً في المسجد

وقال الله تعالى مخاطباً لرسوله صلى الله عليه وسلم بعد ان عد من الأنبياء

عليهم السلام نحواً من بضعة عشر نبياً) فبهذا هم اقتده) قال في الكشف المراد بهداهم طريقهم في الايمان بالله وتوحيده واصول الدين انتهى . ومعلوم يقينا ان الله تعالى لم يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بتقليد رسوله في اديانهم فعرفت أن الاقتداء والاتباع ليسا من التقليد في ورود ولا صدر

السادس من ادلة المقلدين قالوا حديث عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ابو بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بهدي ابن ام عبد: والجواب ان الاهتداء بهم اتباع السنة والكتاب والقبول لما فيهما والدعاء اليهما وتحريم التقليد اذ لم يؤثر عنهم وقد صح عن ابن مسعود وهو ابن ام عبد النهي عن التقليد وقال لا يكون الرجل امعة لا بصيرة له ثم من المعلوم ان احدا منهما لم يكن يدع السنة بقول اي قائل ثم ان سنة الخلفاء الراشدين وطريقهم اتباع السنة والكتاب فالأخذ بسنتهما اتباع السنة النبوية والقرآن ثم يقال لكم أيها المقلدون انكم لا تقلدون ابا بكر وعمر ولا تبعون قولهما حجة بل قلتم أئمة من اتباع لا ئمة وحرمت تقليد غيرهم فأين انتم من العمل بهذا الحديث لو كان مسوقاً للتقليد فاتم اول تارك له

السابع من ادلة التقليد ان في كتاب عمر رضى الله عنه الى شريح أنه يقضي بما قضى به الصالحون ان لم يجد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يقضى به: والجواب ان كتاب عمر رضى الله عنه فيه دليل على عدم التقليد بل امره باتباع الكتاب والسنة والمقلدون لا يقولون بذلك بل لا ينظرون في كتاب الله ولا سنة انما ينظرون في كتب شيوخهم واقوالهم ثم انه قال اذا لم يجد فيها قضاء بما قضى به الصالحون فاباح له عند تعذر وجد ان الدليل من الأمرين الرجوع الى ما قضى به الصالحون الذين لا يقضون الا عن دليل من كتاب او سنة او قياس جلي فاجاز له هنا الاخذ في القضاء برأى الصالحين في الحالة الراهنة لا انه يجعل رأيهم مقدماً على الكتاب والسنة كما جعل المقلدون ثم هذا كلام عمر رضى الله عنه وليس بحجة

الثامن قالوا كان الصحابة يفتون في عصره صلى الله عليه وسلم باطلاعه وهذا تقليد للمفتين * والجواب ان فتواهم كان تبليغاً عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يكن افتاءً بآرائهم ولذلك لما أفتوا صاحب الشجة بخلاف سنته قال قتلهم الله كما عرفت

التاسع من أدلتهم قالوا قال الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) فأوجب قبول انذارهم وذلك تقليد لهم * والجواب ان هذا جهل للفظ الانذار انما يقوم بالحجة فمن لم تقم عليه الحجة لم يكن قد أُنذِر كما ان النذير من أقام الحجة فمن لم يأت بالحجة لم يكن نذيراً وحينئذ فالمراد لينذروا قومهم باخبارهم إياهم بالحجج والبراهين على مايفقهونهم به من الاحكام الاترى ان خزنة النار من الملائكة يقولون لمن فيها (ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء) الى قوله (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) قال الله تعالى (فاعترفوا بذنوبهم) فانهم أقروا انه أتاهم النذير ولا يكون الا حجة فكذبوا ضللاً وعناداً وقالوا متأسفين (لو كنا نسمع) أي نعمل بما سمعناه (أو نعقل) أي نعمل بما عقلناه والافس المعلوم انهم سمعوا وعقلوا لكن ماعملوا فكأنهم لاسمع لهم ولاعقل فهم الذين يقولون سمعنا وعصينا ولو انهم قالوا سمعنا وأطعنا لكان خيراً لهم وأقوم فعرفت انه لا دليل في الآية للمقلدين

العاشر من أدلتهم قالوا قد أمر الله بقبول شهادة الشاهد وذلك تقليد له * والجواب ان هذا من أبطل الأدلة فاننا ما قبلنا قولهم الا بنص ربنا وقول نبينا واجماع أمة فلم يقبل قول الشاهد بمجرد كونه شهد به بل قبلناه لان الله أمرنا بقبول شهادته كما أمرنا باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فان سميت ذلك تقليداً فلا يضرنا وأما أنتم فقبلتم قول من قلتموه وتركتم قول من عداه ولو كان آية من الله وحديثاً نبوياً لتأولتموها وأرجعتموها ناكضين على أعقابكم الى قول امامكم وكذلك قبولنا اقرار من أقر على نفسه بشيء وحكمنا به عليه لايسمى تقليداً

بل اتباعاً لقول الله تعالى (بل الانسان على نفسه بصيرة) واجماع الامة وعمله
صلى الله عليه وسلم في قبول اقرار ماعز والغامدية ورجعهما باقرارهما ولا يقول
أحد انه صلى الله عليه وسلم قلدهما

الحادي عشر من أدلتهم قلوا قد جعل الله في فطر العباد تقليد المتعلمين
للعالمين والاستاذين في العلوم والصنائع ولا تقوم مصالح الخلق الا بهذا وذلك
عام في كل علم وصناعة وقد فاوت الله بين الازهان كما فاوت بين القوى في
الابدان فلا يحسن في حكمته وعدله ورحمته ان يفرض على جميع خلقه معرفة الحق
بدليله * والجواب ان هذا حق لا ينكر ولا ينكر أخذ العلم عن العلماء وينكر
أخذه من الصحف والقراطيس بغير تعلم ولكننا نفتدى بالعالم ونهتدي بتعليمه
ونستعين بفهمه ونستضيء بانوار علومه وفرق بين تقليد العالم في جميع ما قاله
وبين الاستعانة بفهمه فان الاول يأخذ بقوله من غير نظر في دليل من كتاب
ولا سنة والاستعانة بفهمه وهو الثاني بمنزلة الدليل في الطريق والخريت الماهر
لابن السبيل فهو دليل الى دليل فاذا وصل اليه استغنى بدلالته عن الاستدلال
بغيره ونظيره من استدلل بالنجم على القبلة فاذا شاهد القبلة لم يبق لاستدلاله
بالنجم معنى وأما قوله تعالى انه فاوت بين الازهان فهذا مسلم وكلامنا فيمن
له أهلية الخطاب وفهم ادلة ما يحتاجه من أدلة السنة والكتاب وهو بحمد الله
الواحد الوهاب أمر ليس بالخفى ولا بالانغاز الذى لا يعرفه الا الذكى بل
قدمنا لك ان الفاظهما أقرب تناولا وأسهل أخذاً وأوضح معنى ولا بد للمكاف
من تفهم معانى ما كلف به اما من كلام شيوخه أو من كلام ربه ورسوله صلى
الله عليه وسلم ضرورة انه لا يتم له التكليف الا بالفهم والا كان معذوراً غير
مخاطب بشيء من الشرعيات فالفهم الذى يصرفه في حل عبارات شيوخه وبيان
معانيها يصرفه في تفهم كلام ربه ورسوله صلى الله عليه وسلم والقدر الذى كلف

الله به عباده وقد سهله وما جعل في الدين من حرج لافي فهم المراد ولا في الافعال التي خاطب العباد: وقد قدمنا ان الواجب على كل عبد ما يخصه من الاحكام وما يدعوه اليه حاجة وهو امر سهل يسير فان أكثر العلوم فضول كما قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه العلم نقطة كثيرها الجهال

فهذه زبدة أدلة مجوزي التقليد وأجوبتها ومن له فهم أو القى السمع وهو شهيد لا يخفاه بعد ذلك اذا كان له مطلبها وإياه يريد وقد ذكرنا أدلة سماعها شغل الاسماع بغير فائدة تعود على سماعها ولا انتفاع تركناها لا نشغل بها الاوقات ويستغنى بها عن ما هو أولى بالنظر بالاتفاق والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وعليه تعالى في كل فعل التعويل ومنه نستمد الهداية في البكرة والاصيل الى ما يقر بنا الى جانبه وينزلنا في ظل رحمته الظليل وصلى الله على سيدنا محمد وآله خير آل وصحابته خير صحاب وقبيل

تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين

رفع الريب

« عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة »

تأليف

« شيخ الاسلام قاضي القضاة الامام العلامة »

« محمد الشوكاني البجلي »

« المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله وآله فانه قد اتفق أهل العلم
تجمع على تحريم الغيبة للمسلم وذلك لنص الكتاب العزيز والسنة المطهرة أما
الكتاب فقوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضاً) يجب بعضكم أن يأكل لحم أخيه
ميتاً فكرهتموه) فهذا نهى قرأني عن الغيبة مع إيراد مثل بذلك يزيده شدة
وتعليظاً ويوقع في النفوس من الكراهة له والاستقذار لما فيه ما لا يقدر قدره
فإن أكل لحم الإنسان من أعظم ما يستقذره بنو آدم جبلة وطبعاً ولو كان
كافراً أو عدواً مكافحاً فكيف إذا كان أخاً في النسب أو في الدين فإن الكراهة
تضاعف بذلك ويزداد الاستقذار فكيف إذا كان ميتاً فإن لحم ما يستطاب
ويحل أكله يصير مستقذراً بالموت لا يشتهي الطبع ولا تقبله النفس : وبهذا
يعرف ما في هذه الآية من المبالغة في تحريم الغيبة بعد النهي الصريح عن ذلك
وأما السنة فأحاديث النهي عن الغيبة وهي ثابتة في الصحيحين وفي غيرها
من دواوين الاسلام وما يلحق بها مع اشتغالها على بيان ماهية الغيبة وايضاح

فانه لما سألہ صلى الله عليه وسلم سائل عن الغيبة فقال «الغيبة ذكرك أخاك بما يكره قيل أرايت اذا كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فقد بهته» وهذا ثابت في الصحيح فعرفت تحريم الغيبة كتاباً وسنة واجماعاً ولكنه قد وقع في كلام جماعة من العلماء الاستثناء لصور صرحوا بأنه يجوز فيها الغيبة وكلماتهم في ذلك متفاوتة وما ذكره من الاعداد المستثناة مختلف فلنقتصر هنا على ذكر ما أورده النووي في شرح مسلم له ثم نذكر بعد ذلك تصحيح ما هو صحيح من كلامه وتتعقب ما هو محل التعقيب ونستدل على ما لم يذكر الدليل عليه حتى يكون هذا البحث تاماً شاملاً كاملاً فانه من المهملات الدينية لعظم خطر الوقوع فيه مع تساهل كثير من الناس في شأنه ووقوعهم في خطره الا من عصمه الله من عباده

قال النووي في شرح مسلم عند ذكر ما ورد في تحريم الغيبة ما لفظه تباح الغيبة لغرض شرعي وذلك ستة اسباب : أحدها التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم الى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية وقدرة على انصافه من ظالمه ويقول ظلمي فلان أو فعل بي فلان كذا : الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى الصواب فيقول لمن يرجو قدرته فلان يعمل كذا فازجره أونحو ذلك : الثالث الاستفتاء بان يقول للمفتي ظلمي فلان أو أبى أو أخى أو زوجي بكذا فهل له ذلك وما طريقى في الخلاص منه ورفع ظلمه عنى ونحو ذلك فهذا جائز للحاجة والاحوط أن يقول ما تقول في رجل أو زوج أو ولد أو والد كان من أمره كذا ولا يعين ذلك والتعيين جائز لحديث هند وقولها ان أبا سفيان رجل شحيح : الرابع تحذير المسلمين من الشر وذلك من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين وذلك جائز بالاجماع بل واجب صونا للشرعية : ومنها الاخبار بغيبة عند المشاورة في مواصلة : ومنها اذا رأيت من يشتري شيئاً معيياً أو عبداً سارقاً أو شارباً أو زانياً أو نحو ذلك تذكر المشتري اذا لم يعلمه نصيحة لالقصد الايذاء أو الفساد : ومنها اذا رأيت

متفقها يتردد الى فاسق أو مبتدع يأخذ عنه علما وخفت عليه ضرره فعليك نصيحته ببيان حاله قاصداً للنصيحة : ومنها أن يكون له ولاية ليستبدل به أو يعرف حاله ولا يغتر به أو يلزمه الاستقامة : الخامس أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالخمر والمصادرة للناس وجباية المكوس وتولى الامور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز بغيره الا بسبب آخر : السادس التعريف فان كان معروفا بلقب كالاعمش والاعرج والازرق والقصير والاعمى والاقطع ونحوها جاز تعريفه ويحرم ذكره بها منتقضا ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى انتهى كلامه بحروفه

وأقول مستعينا بالله ومتوكلا عليه قبل التكلم على هذه الصور اعلم انا قد قدمنا أن تحريم الغيبة ثابت بالكتاب والسنة والاجماع والصيغة الواردة في الكتاب والثابتة في السنة عامة عموما شموليا يقتضى تحريم الغيبة من كل فرد من أفراد المسلمين لكل فرد من أفرادهم فلا يجوز القول بتحليل ذلك في موضع من المواضع لفرد أو أفراد الا بدليل يخص هذا العموم فان قام الدليل على ذلك فيها ونعمت وان لم يقم فهو من التقول على الله بما لم يقل ومن تحليل ما حرم الله بغير برهان من الله عز وجل : اذا عرفت هذا فاعلم أن الصورة الاولى من الصور التي ذكرها وهي جواز اغتياب المظلوم لظالمه قد دل على جوازها قول الله عز وجل (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) فهذا الاستثناء قد أفاد جواز ذكر المظلوم للظالم بما يبين للناس وقوع الظلم له من ذلك الظالم ورفع صوته بذلك والجهر به في المواطن التي يجتمع الناس بها أما اذا كان يرجو منهم نصرته ودفع ظلامته ورفع ما نزل به من ذلك الظالم كمن له منهم قدرة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الولاة والقضاة وغيرهم فالامر ظاهر وأما اذا كان لا يرجو منهم ذلك وإنما أراد كشف مظلمته واشتهارها في الناس فظاهر الآيه الكريمة يدل على جوازه لانه لم يقيد بغيره يدل على أنه لا يجوز الجهر بالسوء من القول الا لمن يرجو منه النصرة ودفع المظلمة وان كان ما قدمنا

من كلام النووي يفيد قصر الجواز على من يقدر على دفع الظلم لكن الآية لا تدل على ذلك ولا تمنع مما عده

وهاهنا بحثان الاول لا يخفاك ان الادلة الدالة على تحريم الغيبة تشمل المظلوم وغيره والآية الدالة على جواز الجهر بالسوء لمن ظلم تفيد جواز ذلك في وجه الظالم وفي غيبته فأدلة تحريم الغيبة أعم من وجهه وهو شمولها لغير المظلوم وأخص من وجهه وهو عدم تناولها لما يقال في وجهه من يراد ذكره بشيء من قبيح فعله وآية جواز ذكر المظلوم للظالم أعم من وجهه وهو جواز ذكر ذلك في وجه الظالم وفي غيبته وأخص من وجهه وهو عدم تناولها لغير المظلوم وظالمة ولا تعارض في مادتين وهما دلالة أدلة تحريم الغيبة على عدم جوازها لغائب غير ظالم ودلالة آية جواز الجهر بالسوء على انه يجوز للمظلوم في وجه الظالم وإنما التعارض في مادة واحدة وهو ذكر المظلوم للظالم بظلمه له في غيبته فأدلة تحريم الغيبة قاضية بالمنع من ذلك والآية قاضية بالجواز للمظلوم ولا يخفاك ان أدلة تحريم الغيبة أقوى لصراحة دلالة الآية على تحريمها مع اعتضاها بالادلة من السنة واشتداد عضدها بوقوع الاجماع عليها: وآية ذكر المظلوم للظالم وان كانت قطعية المتن فهي ظنية الدلالة وقد عارضها ما هو مثلها من الكتاب العزيز في قطعية متنه وظنية دلالاته وانضم الى ذلك المعارض ما شد عضده وشال بصيغة من السنة والاجماع فتصير دلالة آية جواز ذكر المظلوم للظالم على ذكره بالسوء الذي فعله من الظلم الذي اوقعه على المظلوم في وجهه ولا يجوز له ذكره في غيبته ترجيحاً للدليل القوي ومشياً على الطريق السوي فلا تكون هذه الصورة التي جعلها النووي عنواناً للصورة المستثناة صحيحة لعدم قيام مخصص صحيح صالح للتخصيص يخرجها من ذلك العموم

البحث الثاني هل جهر المظلوم بالسوء الذي اصابه من ظلمه جائز فقط أم لرتبة أرفع من رتبة الجواز لان الاستثناء من قوله (لا يحب الله الجهر بالسوء) يدل على ان جهر المظلوم بالسوء الذي وقع عليه محبوب لله تعالى واذا كان محبوباً لله تعالى كان فعله من فاعله يزد تحريقه زائدة على الجواز ورتبة أرفع منه وهذا على تقدير ان الاستثناء متصل حتى

يثبت للمستثنى ما نفى عن المستثنى منه أما اذا كان منقطعا فلا دلالة في الآية على انه مما يحبه الله بل لا يدل على سوى جوازه لكن على تقدير الاتصال ههنا مانع من ان يكون لذكر المظلوم لظالمه بالسوء رتبة زائدة على رتبة الجواز وهو ان الله سبحانه قد رغب عباده بالعفو وندبهم الى ترك الانتصاف والتجاوز عن المسيء حتى ورد الارشاد للمظلوم الى ترك الدعاء على ظالمه وانه اذا فعل ذلك انحط عليه من اجر ظلامته ما هو مذكور في الاحاديث : وقد صرح الكتاب في غير موضع بالامر بالعفو والترغيب فيه وعظم اجر العافين عن الناس وهكذا وقع من السنة المطهرة ما هو الكثير الطيب من ذلك : ومجموع هذا يفيد ان الانتصاف وترك العفو غايته ان يكون جائزا وهكذا ما في الآية من جواز ذكر المظلوم للظالم بالسوء الذي ناله منه للقطع بان الله يحب العفو عن الناس وذلك معلوم بالكتاب والسنة والاجماع والادلة عليه من كليات الشريعة وجزئياتها تحتاج الى طول وبسط

وأما الصورة الثانية التي ذكرها النووي فيما قدمنا وهي الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى الصواب فاعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هما من اعظم عمد الدين لان بهما حصول مصالح الاولى والاخرى فان كانا قائمين قام بقيامهما سائر الاعمدة الدينية والمصالح الدنيوية وان كانا غير قائمين لم يكثر الانتفاع بقيام غيرهما من الامور الدينية والدنيوية : وبيان ذلك ان اهل الاسلام اذا كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم ثابت الاساس والقيام به هو شأن الكل أو الاكثر من الناس والمعروف بينهم معروف وهم يد واحدة على اقامة من زاغ عنه ورد غواية من فارقه والمنكر لديهم منكر وجماعتهم متعاضدة عليه متداعية اليه متناصره على الاخذ بيد فاعله وارجاعه الى الحق والحيولة بينه وبين ما فارقه من الامر بالمنكر فعند ذلك لا يبقى احد من العباد في ظاهر الامر تاركا لما هو معروف ولا فاعلا لما هو منكر لا في عبادة ولا في معاملة فتظهر أنوار الشرع وتستطلع شمس العدل وتهب رياح الدين وتستعلن كلمة الله في

عباده وترتفع أو امره ونواهيه وتقوم دواعي الحق وتسقط دواعي الباطل وتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو المرجوع اليه المعول عليه وكتابه الكريم وسنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم هما المعيار الذي توزن به اعمال العباد وترجع اليهما في دقيق الامور وجليلها وبذلك تنجلي ظلمات البدع وتنقسم ظهور أهل الظلم وتنكسر نفوس اهل معاصي الله وتخفق رايات الشرع في اقطار الارض ويضمحل جولان الباطل في جميع بلاد الله عز وجل

واما اذا كان هذان الركنان العظيمان غير قائمين او كانا قائمين قياما صوريا لا حقيقيا فيالك من بدع تظهر ومن منكرات تستبين ومن معروقات تستخفى ومن جولان العصاة واهل البدع تقوى وترتفع ومن ظلمات بعضها فوق بعض تظهر في الناس ومن هرج تمرج في العباد ويبرز للعيان وتقر به عين الشيطان وعند ذلك يكون المؤمن كالشاة العائرة والعاصي كالذئب المفترس وهذا بلا شك ولا ريب بمحور رسوم هذا الدين وذهاب نور الهدى وانطامس معالم الحق وعلى تقدير وجود افراد من العباد يقومون بفرائض الله ويدعون مناهيه ولا يقدرّون على امر بمعروف ولا نهى عن منكر فما أقل النفع بهم واحقر الفائدة العائدة على الدين منهم فانهم وان كانوا ناجين باعمالهم فائزين بتمسكهم بعروة الحق الوثقى لسكنهم في زمان غربة الدين وانطامس معالمه وظهور المنكر وذهاب المعروف بين أهل السواد الاعظم وفيما يتظاهر به الناس وحينئذ يصير المعروف منكرا والمنكر معروفا ويعود الدين غريبا كما بدا

واذا تقرر لك هذا وعرفت ما في قيام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الناس من مصالح المعاش والمعاد وفوائد الدنيا والدين فاعلم ان هذا الذي رأى منكراً ان كان قادراً على تغييره بنفسه او بالاستنصار بمن يمكن الاستنصار به بان يقول لجماعة من المسلمين في المكان الفلاني من يرتكب المنكر فهللوا اليّ وقوموا معي حتى نكّره ونغيره فليس به الا الغيبة التي هي جهد من لا له جهد حاجة الآن وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا كان موجوداً في عباد

الله فلا يحتاجون الى تعيين فاعل المنكر وبيان انه فلان ابن فلان وان لم يكن فيهم ذلك الوازع الديني والغيرة الاسلامية فهم لا ينشطون الى اجابته بمجرد التسمية والتعيين اذ لا فرق في مثل هذا بين الاجمال اللهم الا ان يكون سيف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كليلا وعضده ضعيفا عليلا ضئيلا فانهم قد ينظرون مع التسمية والتعيين في فاعل المنكر فان كان قويا جليلا يتركونه وان كان ضعيفا حقيرا قاموا اليه وغيروا ما هو عليه وهذا هو غربة الدين العظيمة ولكن في الشر خيار وبعضه أهون من بعض فاذا كانوا بمنزلة من ضعف العزيمة بحيث لا يقدر على الانكار على المستضعفين المستذلين فذلك فرضهم وليس عليهم سوء وحينئذ لا بأس بالتغيير والغيبة التي هي غاية ما يقدر عليه المستضعفون ونهاية ما يتمكن منه العاجزون والله ناصر دينه ولو بعد حين : وجواز الغيبة في مثل هذا المقام هو بادلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الثابتة بالضرورة الدينية التي لا يقوم بحجبها دليل لا صحيح ولا عليل

فان قلت ههنا دليلان بينهما عموم وخصوص من وجه هما أدلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأدلة تحريم الغيبة فكيف لم تعمل ههنا كما عملت في الصورة الاولى ؟ قلت قد عملت ههنا كما عملت في الصورة الاولى فرجحت العمل بالراجح كما رجحت في الصورة الاولى العمل بالراجح وان اختلف موضعا الترجيح ففي الصورة الاولى رجحت أدلة الغيبة لما تقرر من ان العمومين الواردين على هذه الصورة ان رجح أحدهما على الآخر باعتبار ذاته وجب المصير اليه وان لم يرجح باعتبار ذلك وأمكن الترجيح باعتبار أمر خارج وجب الرجوع اليه وقد وجد المرجح هنالك باعتبار الامر الخارجي وهو أدلة السنة والاجماع فانها أوجبت ترجيح أدلة تحريم الغيبة في تلك الصورة التي وقع فيها التعارض على أدلة جواز الجهر بالسوء للمظلوم على طريقة الاعتبار وههنا كان الترجيح في صورة التعارض بكون أحد الدليلين ثابتا بالضرورة الدينية دون الآخر ولهذا قدمنا لك ما قدمنا في فوائد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وعرفناك انه لاشيء من الامور الدينية يقوم مقامهما ولا يغنى عنها
وأما الصورة الثالثة وهي جواز الغيبة للمستفتى فأقول لا يخفك ان أدلة تحريم
الغيبة ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع كما قدمنا فصار تحريمها من هذه الحيثية
من قطعيات الشريعة وليس في تسويةها للمستفتى الا سكوتة صلى الله عليه
وسلم عن الانكار على هند لما قالت له ان أباسفيان رجل شحيح وهذا السكوت
منه صلى الله عليه وآله وسلم عند سماع الغيبة من امرأة حديث عهد بجاهلية لرجل
حديث عهد بجاهلية مع كونه في تلك الحال لم يكن قد ظهر منه ما يدل على خلوص
اسلامه واستقامة طريقه وانما ظهر منه ذلك بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم
فهذا التقرير بالسكوت الكائن على هذه الصفة في مثل هذه الحالة بعد ثبوت
تحريم الغيبة في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة وعلم الصحابة واجماعهم عليه
لا ينبغي التمسك بمثله ولا يحل القول بصلاحيته للتخصيص لان السامعين من
المسلمين في تلك الحالة قد علموا تحريم الغيبة وتقرر عندهم حكمها فلو لم يكن السكوت
الا ليكون حكم الغيبة قد صار معلوماً واضحاً مشتهراً عندهم لكان ذلك بمجرد
قادحاً في الاستدلال به وتخصيص الأدلة القطعية بمثله وهذا على تقدير أن أباسفيان
لم يكن حاضراً في ذلك الموقف فان كان حاضراً كما قيل اندفع التعلق بسكوتة
صلى الله عليه وآله وسلم من الاصل ومع هذا فلا ضرورة ملجئة للمستفتى الى
التعيين حتى يقال انه لا يتم مطلوبه من الاستفتاء الا بالتعيين فانه يحصل مطلوبه
بالاجمال لان المقصود استفتاء الحكم الشرعي وهي حاصلة بمعرفة ما يقوله المفتي
مع الاجمال كما يحصل معرفته بما يقول مع التفصيل والتعيين وهذا مما لا شك فيه
ولاشبهة : وبهذا تعرف ان هذه الصورة ليست من صور تخصيص تحريم الغيبة
لعدم انتهاض دليلها يعرف ذلك كل عارف بكيفية الاستدلال

وأما الصورة الرابعة قد جعلها النووي رحمه الله في كلامه السابق على
أقسام خمسة : القسم الاول الجرح والتعديل للرواة والمصنفين والشهود واستدل
على جواز ذلك بل على وجوبه بالاجماع وكلامه صحيح واستدلاله بالاجماع

واضح فانه مازال سلف هذه الامة وخلفها يجرحون من يستحق الجرح من رواة الشريعة ومن الشهود على دماء العباد وأموالهم وأعراضهم ويعدلون من يستحق التعديل ولولا هذا التلاعب بالسنة المطهرة لكثير الكذابون واختلط المعروف بالمنكرو ولم يتبين ماهو صحيح مما هو باطل وماهو ثابت مما هو موضوع وماهو قوى مما هو ضعيف للقطع بأنه مازال الكذابون يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حذر من ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال « انه سيكذب على » فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وثبت عنه في الصحيح أيضاً انه قال « ان كذباً على ليس ككذب على احدم » الحديث: وثبت عنه في الصحيح انه قال « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب » ففيه دليل على ان الكذب قد كان قبل انقراض القرن الثالث ولكن من غير فشو ثم فشا بعده وبهذا يعرف ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخبر بانه سيكذب عليه خصوصاً ويفشو الكذب عموماً ثم وقع في الخارج ما اخبر به الصادق المصدوق فانه لم يزل في كل قرن من القرون كذابون يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضعون الاكاذيب المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثون بها فلولاً تعرض جماعة من حملة الحجة لجرح المجروحين وتعديل العدول وذهبهم عن السنة المطهرة وتنبههم للكذب الكذابين لبقيت تلك الاحاديث المكذوبة من جملة الشريعة وعمت بها البلوى فكان قيام الائمة بهذه العهدة من اعظم ما أوجبه الله على العباد ومن أهم واجبات الدين ومن الحماية للسنة المطهرة فجزاهم الله خيراً وضاعف لهم المثوبة فلقد قاموا قياماً مرضياً وخلصوا عباد الله من التكاليف بالكذب وصفوا الشريعة المطهرة وأماطوا عنها الكدر والقذر وأخرسوا الكذابين وقطعوا ألسنتهم وغلغلو رقابهم والحمد لله على ذلك * وهكذا جرح الشهود وتعديهم فانه لو لم يقع ذلك لاريقت الدماء وهتكت الحرم واستبيحت الاموال بشهادات الزور التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكبر الكبائر وحذر عنها *

والحاصل ان كليات الشريعة وجزئياتها وقواعدها واجماع أهلها تدل أوضح دلالة على ان هذا القسم لاشك ولا ريب في جوازه بل في وجوب بعض صورته صوتاً للشريعة وذنباً عنها ودفعاً لما ليس منها وحفظاً لاموال العباد ودمائهم واعراضهم وهذا كله داخل في الضروريات الخمس المذكورة في علم الاصول * ومما يدل على ذلك دلالة بيّنة ماورد في النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وخاصتهم فان بيان كذب الكذابين من اعظم النصيحة الواجبة لله ولرسوله ولجميع المسلمين وأدلة وجوب النصيحة متواترة وكذلك جرح من شهد في مال أو دم أو عرض بشهادة زور فانها من النصيحة التي أوجبها الله على عباده واخذهم بتأديتها وأوجب عليهم القيام بها

القسم الثاني الاخبار بالغيبة عند المشاورة ثم مشروعية المناصحة الثابتة بالتواتر وهو من جملة حقوق المسلم على المسلم كما ثبت في الصحيح وفيه « واذا استنصحتك فانصحه » ولكن ليس في هذا القسم من الضرورة الملجئة الى التعيين مافي القسم الاول فانه يمكن القيام بواجب النصيحة بأن يقول الناصح لأشير عليك بهذا أو لا تفعل كذا أو نحو ذلك وليس عليه من النصيحة زيادة على هذا فالتعيين والدخول فيما هو من الغيبة فضول من الناصح لم يوجب الله عليه ولا تعبد به ولا ضرورة تلجئته اليه كما في القسم الاول فليس هذا القسم من الاقسام المستثناة من أدلة تحريم الغيبة وبهذا تستريح عن الكلام في تعارض الدلائل الذين بينهما عموم وخصوص من وجه

القسم الثالث قوله ومنها اذا رأيت من يشتري شيئاً معيباً أو عبداً سارقاً الخ * أقول هذا القسم أيضاً كالقسم الذي قبله لا يصح جعله من الصور المستثناة من تحريم الغيبة لان القيام بواجب النصيحة يحصل بمجرد قوله لأشير عليك بشراء هذا أو نحو هذه العبارة فله عن الدخول في خطر الغيبة منه وجه وعن الوقوع في مضيقها سعة

القسم الرابع قوله ومنها اذا رأيت متفقها يتردد الى فاسق الخ * أقول وهذا

القسم أيضا كالذي قبله لا يصح جعله من الصور المستثناة من تحريم الغيبة لان القيام بواجب النصيحة يحصل بالاجمال ولم يتعبد الله بالتفصيل وذكر المعائب والمثالب بل يكفيه أن يقول لا أشير عليك بمواصلة هذا أو لأرى لك الاخذ عنه أو نحو هذه العبارة فالتصريح بما هو غيبة فضول لم يوجبه الله عليه ولا طلبه منه

القسم الخامس قوله ومنها أن يكون له ولاية الخ * وهذا القسم أيضا كالأقسام التي قبله لا يصح جعله من الصور المستثناة من تحريم الغيبة لانه اذا قال له لا نستعمل هذا أو لأرى لك الركوب عليه فقد فعل ما أوجبه الله عليه من النصيحة والزيادة على هذا المقدار فضول ليس لله فيه حاجة ولا للمنصوح ولا للناصح

وأما الصورة الخامسة وهي ذكر المجاهر بالفسق بما جاهر به * فأقول ان كان المقصود بجواز ذكره بما جاهر به هو التحذير للناس فقد دخل ذلك في الصورة الرابعة وقد اوضحنا ما فيها فلا نعيده ومع هذا فحصول المطلوب من التحذير يمكن من دون ذكر ما جاهر به بان يقول لمن ينصحه لا تعاشر فلاناً أو لا تدخله أو لا تذهب اليه فان هذا الناصح المشير يقوم بواجب النصيحة بهذا المقدار من دون أن يذكر نفس المعصية التي صار العاصي يجاهر بها وما أقل فائدة التعرض بذلك وأحصره فانه لم يأت دليل يدل على جواز ذكره بما جاهر به بل ذلك غيبة محضة وأما ما يروى من حديث « اذكروا الفاسق بما فيه كما يحذره الناس » فلم يصح ذلك بوجه من الوجوه على انه إنما يسمى مجاهرًا بمجاهرته بتلك المعصية والاستظهار بها بين الناس وإيقاعها علانية وعند ذلك يعلم الناس منه ذلك ويعرفونه بمشاهدته فلا يبقى لذكره به كثير فائدة وان كان المقصود بجواز ذكره بما جاهر به استغناء الذاكر على الانكار عليه لمن يذكر له ذلك الذنب : فهذه الصورة داخلة في الصورة الثانية التي قدم النووي ذكرها وقدمنا الكلام عليها فلا فائدة لجعلها صورة مستقلة فان استدلل المستدل على

جواز مثل هذا بما وقع منه صلى الله عليه وسلم من قوله « بئس أخو العشيرة » فيقال له أولاً ان هذا القول الواقع منه صلى الله عليه وسلم لا يجوز لنا الاقتداء به فيه لان الله سبحانه قد حرم عليه الغيبة في كتابه العزيز وحرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا بما تقدم ذكره من قوله الصحيح وابعام المسلمين فعلى تقدير ان هذا القول مما يصدق عليه اسم الغيبة يكون وقوعه منه صلى الله عليه وسلم في حكم التخصيص له من ذلك العموم لكن على هذه الصورة الاجمالية وبهذه الصفة الصادرة منه صلى الله عليه وسلم وأيضاً فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ما لم نعلم ويأتيه الوحي بما لم يأتنا ويبين الله له ما لم يبين لنا فلا يجوز لنا أن نقتردي به في قول صدر منه على هذه الصفة لجهلنا بالحقائق وعدم اطلاعنا على ما في باطن الامر ولهذا رد صلى الله عليه وسلم على من وصف رجلاً في مقامه بأنه مؤمن فقال أو مسلم هو ورد على آخرين بما وصفوا رجلاً بالنفاق فقال أشهد أن لا إله إلا الله وهذا كله ثابت في الصحيح وأيضاً فذلك الرجل الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم بئس أخو العشيرة لم يكن اذ ذاك قد صلح اسلامه بل هو من جملة من كان يتبع الاسلام ظاهراً مع اضطراب حاله وبقي أثر الجاهلية عليه وقد كان صلى الله عليه وسلم يتألف أمثال هذا ويعاملهم معاملة المسلمين الخالصين الاسلام مع علمه وعلم أصحابه بما هم عليه وكان يقول لمن يأتيه منهم هذا سيد بنى فلان هذا سيد قومه وهذا سيد الوبر ونحو ذلك بل كان يتألفهم بالكثير من المال والنصيب الوافر من المغنم ويكل خالص المؤمنين من المهاجرين والانصار الى ايمانهم ويقينهم: هذا معلوم لا يشك فيه عارف ولا يخالف فيه مخالف ولا يحل لاحدنا أن يعتمد الى ما يعلم انه خالف (١) الاسلام صحيح النية فيه مؤمن بالله ورسوله وبلائه وكتبه ورسوله واليوم الآخر فيعتابه بمعصية فعلها أو خطيئة جاهر بها مستدلاً على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم « بئس أخو العشيرة » لما أوضحنا لك وليس الخطر ههنا ييسر ولا الخطب بقليل فان الاقدام على الغيبة

المحرمة بالكتاب والسنة والاجماع اذا لم يكن فيه برهان من الله سبحانه كان الوقوع فيه وقوعا فيما حرمه الله ونهى عنه والقول بجوازه بدون برهان من القول على الله بما لم يقل وهو أشد من ذلك وأعظم وأخطر وهداية بيد الله عز وجل وأما الصورة السادسة وهي التعريف بالالقب فأقول قد نهى عن ذلك القرآن الكريم قال الله عز وجل (ولا تناوبوا بالالقاب) هذا النهي يدل على تحريم التلقب ولا يجوز شئ منه الا بدليل يخصص هذا العموم فقد اجتمع على المنع عن هذا دليلان قويان أحدهما أدلة تحريم الغيبة والثاني دليل تحريم التلقب فان كان ذكر ذكر ذى اللقب بلقبه في غيبته كان الذاكر جامعاً بين تحريم الغيبة وتحريم التلقب وان كان ذكر ذكر ذى اللقب في وجهه كان الذاكر واقعاً في التلقب المحرم فان قلت اذا علمنا ان المذكور بلقبه لا يكره ذكره به قلت اذا علمنا ذلك لم يكن غيبة محرمة لان الغيبة هو ذكرك أخاك بما يكره ولكن الذاكر له بذلك اللقب واقع في مخالفة النهي القرآني المصرح بالنهي عن التناوب بالالقاب كما لا يخفى فان قلت ان ذكره باللقب أقرب الى تعريفه لمن يشتهر بالاعرج والاعمش والاعور ونحو ذلك قلت هذه الاقربى لا تحل ما حرم الله فينبغي ذكره بالاولاف التي لا تلقب فيها وان طالت المسافة وبعدت وانظر ما في مثل هذا من الخطر العظيم وهذا الوقوع في النهي القرآني ومما يزيده على هذا وأمثاله بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم لمن سمعها فذكرت امرأة أخرى انها قصيرة فقال « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » والحديث صحيح فان قلت هذه دواوين الاسلام ومسانيدها ومعاجمها وسائر المصنفات في السنة مشحونة بذكر الالقاب كالأعمش والاعرج والاعور ونحوها قلت لا يصح ايراد مثل هذا في مقابلة النهي القرآني المصرح بتحريم التناوب بالالقاب وانما يقتدى الناس باهل العلم في الخير فاذا جاءوا بما يخالف الكتاب والسنة فالقدوة الكتاب والسنة مع احسان الظن بهم وحملهم على محامل حسنة مقبولة فان قلت فان كان صاحب اللقب لا يعرف إلا به ولا يعرف بغيره اصلا قلت

اذا بلغ الامر الى هذه النهاية ووصل البحث الى هذه الغاية لم يكن ذلك اللقب لقباً بل هو الاسم الذي يعرف به صاحبه اذ لا يعرف باسم سواه قط والتسمية للانسان باسم يعرف به لا سيما من كان من رواة العلم الحاملين له المبلغين ما عندهم منه الى الناس أمر تدعو اليه الحاجة والأبطل ما يرويه من العلم خصوصاً ما كان قد تفرد به ولم يشاركه فيه غيره وعلى هذا يحمل ما وقع في المصنفات من ذكر الالقاب فان أهلها وان كانت لهم أسماء ولا بائتهم ولا جدادهم فغيرهم يشاركونهم فيها فقد يتفق اسم الرجل واسم أبيه مع أبيه واسم جده مع جده فلا يمتاز أحدهما عن الآخر في كثير من الحالات الا بذكر الالقاب ونحوها وحينئذ لم يبق لتلك الاسماء فائدة لان المقصود منها ان يتميز بها صاحبها عن غيره ولم يحصل هذا الذي هو المقصود بها بل انما حصل من اللقب فكان هو الاسم المميز في الحقيقة فلم يكن ذلك من التناوب بالالقاب فاعرف هذا وتدبره فانه نفيس وبه يندفع ما تقدم من ايراد ما جرى عليه عمل ائمة الرواية وهكذا يرتفع الاشكال عن القاريء لتلك الكتب فلا يقال له انه يروي بالالقاب ويغتاب أهلها بقراءتها في كتب السنة وفي هذا المقدار كفاية والله ولي التوفيق والحمد لله على ذلك

تمت الرسالة والحمد لله

شرح الصدور

في تحريم رفع القبور

تأليف

« شيخ الاسلام قاضى القضاة الامام العلامة »

« محمد الشوكاني اليماني »

« المتوفي سنة ١٢٥٠ هـ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطاهرين وصحبه المكرمين : وبعد فاعلم اذا وقع الخلاف بين المسلمين في ان هذا الشيء بدعة او غير بدعة او مكروه او غير مكروه او محرم او غير محرم او غير ذلك فقد اتفق المسلمون سلفهم وخلفهم من عصر الصحابة الى عصرنا هذا وهو القرن الثالث عشر منذ البعثة المحمدية ان الواجب عند الاختلاف في أى أمر من أمور الدين بين الائمة المجتهدين هو الرد الى كتاب الله سبحانه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الناطق بذلك الكتاب العزيز (وان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) ومعنى الرد الى الله سبحانه وتعالى الى كتابه ومعنى الرد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرد الى سنته بعد وفاته وهذا في الاختلاف بين جميع المسلمين

فاذا قال مجتهد من المجتهدين هذا حلال وقال الآخر هذا حرام فليس احدهما أولى بالحق من الآخر ان كان اكثر منه علماً أو اكبر منه سناً أو أقدم منه

عصرا لان كل واحد منهما فرد من أفراد عباد الله متعبد بما في الشريعة الطاهرة وفي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومطلوب منه ما طلب الله من غيره من العباد وكثرة علمه وبلوغه درجة الاجتهاد او مجاوزته لها لا يسقط عنه شيئا من الشرائع التي شرعها لعباده ولا يخرجها من جملة المكلفين من العباد بل العالم كلما ازداد علما كان تكليفه زائداً على تكليف غيره ولو لم يكن من ذلك الا ما اوجبه الله عليه في البيان للناس كما كلفه به من الصدع وايضاح ما شرعه الله لعباده (واذا أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) فلو لم يكن لمن رزقه الله طرفاً من العلم الا كونه مكافياً بالبيان للناس لكان كافياً فيما ذكرناه من كون العلماء لا يخرجون عن دائرة التكليف بل يزدون بما علموه تكليفاً واذا اذنبوا كان ذنبهم اشد من ذنب الجاهل واكثر عقاباً كما حكاه الله سبحانه عن من عمل سوءاً بجهالة ومن عمله بعلم وكما حكاه في كثير من الآيات عن علماء اليهود حيث أقدموا على مخالفة ما شرعه الله لهم مع كونهم يعلمون الكتاب ويدرسونه ونعى ذلك عليهم في مواضع متعددة وبكثهم اشد تبكيت وكما ورد في الحديث الصحيح « ان أول ما تسعربه جهنم العالم الذي يأمر الناس ولا ياتم وينهاهم ولا ينتهي » وبالجملة فهذا أمر معلوم ان العلم وكثرته وبلوغ حاله الى أعلى درجات العرفان لا يسقط عنه شيئا من التكاليف الشرعية بل يزيدها عليه شدة ويخاطب بأمر لا يخاطب بها الجاهل ويكلف بتكاليف غير تكاليف الجاهل ويكون ذنبه اشد وعقوبته أعظم وهذا لا ينكره أحد ممن له أدنى تمييز بعلم الشريعة والآيات : والاحاديث الواردة في هذا المعنى لو جمعت لكانت مؤلفاً مستقيماً ومصنفاً حافلاً وليس ذلك من غرضنا في هذا البحث بل غاية الغرض من هذا ونهاية القصد هو بيان أن العالم كالجاهل في التكاليف الشرعية والتعبد بما في الكتاب والسنة مع ما أوضحناه لك من التفاوت بين الرتبين رتبة العالم ورتبة الجاهل في كثير من التكاليف

واختصاص العالم منهما مالا يجب على الجاهل وبهذا يتقرر لك ان ليس لاحد من العلماء المختلفين أو من التابعين لهم والمقتدين بهم أن يقول الحق ما قاله فلان دون فلان أو فلان أولى بالحق من فلان بل الواجب عليه ان كان ممن له فهم وعلم وتميز أن يرد ما اختلفوا فيه الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فمن كان دليل الكتاب والسنة معه فهو الحق وهو الاولى بالحق ومن كان دليل الكتاب والسنة عليه لاله كان هو المخطئ ولا ذنب عليه في هذا الخطأ ان كان قد وفي الاجتهاد حقه بل هو معذور بل مأجور كما ثبت في الحديث الصحيح انه « اذا اجتهد فأصاب فله أجران وان اجتهد فأخطأ فله أجر » فناهيك بخطأ يؤجر عليه فاعله ولكن هذا انما هو المجتهد نفسه اذا أخطأ ولا يجوز لغيره أن يتبعه في خطئه ولا يعذر كعذره ولا يؤجر كاجره بل واجب على من عداه من المكلفين أن يترك الاقتداء به في الخطأ ويرجع الى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة

واذا وقع الرد لما اختلف فيه أهل العلم الى الكتاب والسنة كان من معه دليل الكتاب والسنة هو الذي أصاب الحق وواقفه وان كان واحداً والذي لم يكن معه دليل الكتاب والسنة هو الذي لم يصب الحق بل أخطأه وان كان عدداً كثيراً فليس لعالم ولا لمتعلم ولا لمن يفهم وان كان مقصراً أن يقول ان الحق بيد من يقتدى به من العلماء ان كان دليل الكتاب والسنة بيد غيره فان ذلك جهل عظيم وتعصب شديد وخروج من دائرة الانصاف بالمرة لان الحق لا يعرف بالرجال بل الرجال يعرفون بالحق وليس أحد من العلماء المجتهدين والائمة المحققين بمعصوم ومن لم يكن معصوما فهو يجوز عليه الخطأ كما يجوز عليه الصواب فيصيب تارة ويخطئ أخرى ولا يتبين صوابه من خطئه الا بالرجوع الى دليل الكتاب والسنة فان وافقهما فهو مصيب وان خالفهما فهو مخطئ ولا خلاف في هذه الجملة بين جميع المسلمين أولهم وآخرهم سابقهم ولأحقهم كبيرهم وصغيرهم

وهذا يعرفه كل من له أذن حظ من العلم وأحق نصيب من العرفان ومن لم يفهم هذا ويعترف به فليتهم نفسه ويعلم أنه قد جنى على نفسه بالخوض فيما ليس من شأنه والدخول فيما لا تبلغ إليه قدرته ولا ينفذ فيه فهمه وعليه أن يمسك قلبه ولسانه ويشتغل بطلب العلم ويفرغ نفسه لطلب علوم الاجتهاد التي يتوصل بها إلى معرفة الكتاب والسنة وفهم معانيهما والتمييز بين دلائلها ويجتهد عن البحث في السنة وعلومها حتى يتميز عنده صحيحها من سقيمها ومقبولها من مردودها وينظر في كلام الأئمة الكبار من سلف هذه الأمة وخلفها حتى يهتدى بكلامهم إلى الوصول إلى مطلوبه فإنه إن فعل هذا وتقدم الاشتغال بما قدمنا ندم على ما فرط منه قبل أن يتعلم هذه العلوم غاية الندم وتنى أنه أمسك عن التكلم بما لا يعنيه وسكت عن الخوض فيما لا يدره

وما أحسن ما أدبنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه في قوله «رحم الله امرأ قال خيراً أو صمت» (١) وهذا في الذي تكلم في العلم قبل أن يفتح الله عليه بما لا بد منه وشغل نفسه بالتعصب للعلماء وتصدر للتصويب والتخطئة في شيء لم يعلمه ولا فهمه حق فهمه ولم يقل خيراً ولا صمت فلم يتأدب بالأدب الذي أرشد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واذ قد تقررت لك من مجموع ما ذكرناه وجوب الرد إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بنص الكتاب العزيز واجماع المسلمين أجمعين عرفت أن من زعم من الناس أنه يمكن معرفة الخطي من العلماء من غير هذه الطريق عند اختلافهم في مسأله من المسائل فهو مخالف لما في كتاب الله ومخالف لاجماع المسلمين أجمعين فانظر أرشدك الله إلى أي جنابة جنى على نفسه بهذا الزعم الباطل وأي مصيبة وقع فيها بهذا الخطأ الفاحش وأي بلية جالها عليه القصور وأي محنة شديدة ساقها إليه التكلم فيما ليس من شأنه

(١) الذي في الجامع الصغير رحم الله امرأ تكلم فغم أو سكت فسلم اه عن أنس وعن الحسن مرسلًا

وها أنا أوضح لك مثال ما ذكرناه من الاختلاف بين أهل العلم ومن كيفية الرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ليتبين المصيب من الخطي ومن بيده الحق ومن بيده غيره حتى يعرف لك حق معرفته ويتضح لك غاية الاتضاح فان الشيء اذا ضربت له الأمثلة وصورت له الصور بلغ من الوضوح والجلال الى غاية لا تخفى على من له فهم صحيح وعقل رجيح فضلا عن من لم يكن له في العلم نصيب وفي العرفان حظ ولنجعل هذه المسألة التي جعلناها مثالا لما ذكرناه وأيضا لما أمليناه هي المسئلة التي لهج بالكلام فيها أهل عصرنا ومصرنا خصوصا في هذه الايام لاسباب لا تخفى وهي مسئلة رفع القبور والبناء عليها كما يفعله الناس من بناء المساجد والقباب على القبور فنقول

اعلم أن قد اتفق الناس سابقهم ولاحقهم وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضى الله عنهم الى هذا الوقت ان رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم لغاؤها كما يأتي بيانه ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين لكنه وقع للامام يحيى بن حمزة مقالة تدل على أنه لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء ولم يقل بذلك غيره ولا روى عن أحد سواه: ومن ذكر من المؤلفين في كتب الفقه من الزيدية فهو جرى على قوله واقتدوا به ولم نجد القول بذلك لا حد ممن عاصره أو تقدم عصره عليه لا من أهل البيت ولا من غيرهم وهكذا اقتصر صاحب البحر الذي هو مدرس كبار الزيدية ومرجع مذاهبهم ومكان البيان لخلافهم في ذات بينهم وللخلاف بينهم وبين غيرهم بل اشتمل على غالب أقوال المجتهدين وخلافاتهم في المسائل الفقهية وصار هو المرجوع اليه في هذه الاعصار وهذه الديار لمن أراد معرفة الخلاف في المسائل وأقوال القائلين بآثباتها أو نفيها من المجتهدين فان صاحب هذا الكتاب الجليل ما نسب هذه المقالة أعنى جواز رفع القباب والمشاهد على قبور الفضلاء الا الى الامام يحيى وحده فقال مانصه : مسئلة قال الامام يحيى ولا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء والمالك

لاستعمال المسلمين ولم ينكر انتهى : فقد عرفت من هذا انه لم يقل بذلك الا
الامام يحيى وعرفت دليله الذى استدل به وهو استعمال المسلمين مع عدم التكبر
ثم ذكر صاحب البحر هذا الدليل الذى استدل به الامام يحيى في الغيث واقتصر
عليه ولم يأت بغيره : فاذا عرفت هذا تقرر ان هذا خلاف واقع بين الامام يحيى
وبين سائر العلماء من الصحابة والتابعين ومن المتقدمين من أهل البيت والمتأخرين
ومن أهل المذاهب الأربعة وغيرها ومن جميع المجتهدين أولهم وآخرهم ولا
يعترض هذا بحكاية من حكى قول الامام يحيى في مؤلفه ممن جاء بعده من
المؤلفين فان كان مجرد حكاية القول لا يدل على أن الحاكى يختاره ويذهب
اليه فان وجدت قائلًا من بعده من أهل العلم يقول بقوله هذا ويرجحه فان كان
مجتهدًا كان قائلًا بما قاله الامام يحيى ذاهبًا الى ما ذهب اليه بذلك الدليل الذى
استدل به وان كان غير مجتهد فلا اعتبار به وافقته لانها إنما تعتبر أقوال المجتهدين
لا أقوال المقلدين فاذا أردت أن تعرف هل الحق ما قاله الامام يحيى أو ما قاله
غيره من أهل العلم فالواجب عليك رد هذا الاختلاف الى ما أمرنا الله بالرد اليه
وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

فان قلت بين لى العمل في هذا الرد حتى تتم الفائدة ويتضح الحق من غيره
والمصيب من الخطي ، فى هذه المسئلة ٥ قلت افتح لمالك وله سمعاً واتخذ له فهماً
وأرهم له ذهنًا وها انا اوضح لك الكيفية المطلوبة وايبين لك ما لا يبقى عندك
بعده ريب ولا يصاحب ذهنك وفهمك عنده لبس فأقول

قال الله سبحانه (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)
فهذه الآية فيها الإيجاب على العباد بالانتمار بما أمر به رسول الله صلى
الله عليه وسلم والاخذ به والانتها عما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتركه ٥ وقال الله سبحانه وتعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)
ففى هذه الآية تعليق محبة الله الواجبة على كل عبد من عباده باتباع رسوله صلى

الله عليه وآله وسلم وان كان ذلك هو المعيار الذي يعرف به محبة العبد لربه على الوجه المعتبر: وانا أبنا السبب الذي يستحق به العبد أن يحبه الله: وقال الله سبحانه (من يطع الرسول فقد أطاع الله) ففي هذه الآية ان طاعة الرسول طاعة لله * وقال (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) فوجب هذه السعادة لمن أطاع الله ورسوله وهي ان يكون مع هؤلاء الذين هم أرفع العباد درجة وأعلام منزلة * وقال (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) * وقال سبحانه (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقوه فأولئك هم الفائزون) وقال سبحانه (اطيعوا الله واطيعوا الرسول) وانزل الله على رسوله ان يقول (فاتقوا الله واطيعون): والآيات الدالة على هذا المعنى في الجملة أكثر من ثلاثين آية

ومستفاد من جميع ما ذكرناه ان ما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه كان الأخذ به واتباعه واجبا بأمر الله سبحانه وكان الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك طاعة لله وكان الامر من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً من الله وسنوضح لك ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حديث من النهي عن رفع القبور والبناء عليها ووجوب تسويتها وهدم ما ارتفع منها ولكننا هنا نبتدىء بذكر اشياء في حكم التوطئة والتمهيد لذلك ثم ننتهي الى ذكر ما هو المطلوب حتى يعلم من اطلع على هذا البحث انه اذا وقع الرد على ما قاله الامام يحيى وما قاله غيره في القباب والمشاهد الى ما أمر الله بالرد اليه وهو كتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كان في ذلك ما يشفي ويكفي ويقنع ويغني ذكر بعضه فضلا عن ذكر جميعه وعند ذلك نبين لكل من له فهم ما في رفع القبور من الفتنة العظيمة لهذه الأمة ومن المكيدة البالغة التي كادهم الشيطان بها وقد كاد بها من كان قبلهم من الأمم السالفة كما حكى الله سبحانه

وتعالى ذلك في كتابه العزيز وكان أول ذلك من قوم نوح قال الله سبحانه (قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خساراً ومكروا مكراً كباراً وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) كانوا قوماً صالحين من بني آدم وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال اصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لوصورناهم كان اشوق لنا الى العباداة اذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وهم يسقون المطر فعبدوهم ثم عبدتهم العرب بعد ذلك: وقد حكى معنى هذا في صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه: وقال قوم من السلف ان هؤلاء كانوا قوماً صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الابد فعبدوهم ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها ان ام سلمة رضى الله عنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسته رأتها بارض الحبشة وذكرت له ما رأت فيها من الصور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح او الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله » وأخرج ابن جرير في تفسير قوله تعالى « افرايتم اللات والعزى » قال كان يلت لهم السويق فعكفوا على قبره: وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت يقول « ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فأنما أنها كم عن ذلك » وفي الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة على وجهه فاذا اغتم كشفها فقال وهو كذلك « لعنة الله على اليهود والنصارى فقد اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا . وفي الصحيحين مثله أيضاً من حديث ابن عباس رضى الله عنه . وفيهما أيضاً من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قاتل الله اليهود

والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ولولا ذلك لا برز قبره غير انه خشى أن يكون مسجداً . وأخرج الامام احمد في مسنده باسناد جيد من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من شرار الناس من تدرهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد » وأخرج احمد وأهل السنن من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي صحيح مسلم وغيره عن أبي الهياج الأسدي قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع مثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته : وفي صحيح مسلم أيضاً عن ثمامة بن شفي نحو ذلك : وفي هذا أعظم دلالة على ان تسوية كل قبر مشرف بحيث يرتفع زيادة عن القدر المشروع واجبة متحتمة فمن إشراف القبور أن يرفع سمكها أو يجعل عليها القباب أو المساجد فان ذلك من المذمى عنه بلا شك ولا شبهة . ولهذا ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث لهدمها أمير المؤمنين رضي الله عنه ثم ان أمير المؤمنين بعث لهدمها أبا الهياج الأسدي في أيام خلافته . وأخرج احمد ومسلم وابوداود والترمذي وصححه النسائي وابن حبان من حديث جابر قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وأن يبنى عليه وأن يوطأ » وزاد هؤلاء المخرجون لهذا الحديث عن مسلم « أن يكتب عليه » قال الحاكم النهى عن الكتابة على شرط مسلم وهي صحيحة غريبة وفي هذا التصريح بالنهي عن البناء على القبور وهو يصدق على من بنى على جوانب حفرة القبر كما يفعله كثير من الناس من رفع قبور الموتى ذراعاً فما فوقه لانه لا يمكن أن يجعل نفس القبر مسجداً فذلك مما يدل على ان المراد بعض ما يقربه مما يتصل به . ويصدق على من بنى قريباً من جوانب القبر كذلك كما في القباب والمساجد والمشاهد

الكبيرة على وجه يكون القبر في وسطها أو في جانب منها فإن هذا بناء على القبر لا يخفى ذلك على من له أدنى فهم كما يقال بنى السلطان على مدينة كذا أو قرية كذا سوراً وكما يقال بنى فلان في المكان الفلاني مسجداً مع أن سمك البناء لم يباشر إلا جوانب المدينة أو القرية أو المكان ولا فرق بين أن تكون تلك الجوانب التي وقع وضع البناء عليها قريبة من الوسط كما في المدينة الصغيرة والقرية الصغيرة والمكان الضيق أو بعيدة من الوسط كما في المدينة الكبيرة والقرية الكبيرة والمكان الواسع ومن زعم أن في لغة العرب ما يمنع من هذا الإطلاق فهو لا يعرف لغة العرب ولا يفهم أسانها ولا يدري بما استعمله في كلامها وإذا تقرر لك هذا علمت أن رفع القبور ووضع القباب والمساجد والمشاهد مثلها قد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعله تارة كما تقدم وتارة قال « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » فدعا عليهم بأن يشتد غضب الله عليهم بما فعلوه من هذه المعصية وذلك ثابت في الصحيح وتارة نهى عن ذلك وتارة بعث من يهدمه وتارة جعله من فعل اليهود والنصارى وتارة قال « لا تتخذوا قبوري وثناً » وتارة قال « لا تتخذوا قبوري عيداً » أى موسماً يجتمعون فيه كما صار يفعله كثير من عباد القبور يجعلون لمن يعتقدونه من الأموات أوقاتاً معلومة يجتمعون عند قبورهم ويعكفون عليها كما يعرف ذلك كل أحد من الناس من أفعال هؤلاء المخذولين الذين تركوا عبادة الله الذي خلقهم ورزقهم ثم يميتهم ويحييهم وعبدوا عبداً من عباد الله صار تحت أطباق النرى لا يقدر على أن يجلب لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمره الله أن يقول (قل لا أملك لنفسى ضرراً ولا نفعاً) فانظر كيف قال سيد البشر وصفوة الله من خلقه في أنه لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً وكذلك قال فيما صح عنه « يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً » فإذا كان هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه وفي أخص قرابته به وأحبهم إليه فما ظنك بسائر الأموات الذين لم يكونوا أنبياء معصومين ولا رسلاً مرسلين

بل غاية ما عند أحدهم أنه فرد من أفراد هذه الأمة المحمدية وواحد من أهل هذه
 الأمة الإسلامية فهو أعجز وأعجز أن ينفع أو يدفع عنها ضراراً وكيف لا يعجز
 عن شيء قد عجز عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر أمته كما أخبر الله عنه
 وأمره بأن يقول للناس بأنه لا يملك لنفسه شيئاً من ضر ولا نفع وأنه لا يغني عن
 أخص قرابته من الله شيئاً فيأعجباً كيف يطمع من له أدنى نصيب من علم
 أو أقل حظ من عرفان أن ينفعه أو يضره فرد من أفراد أمة هذا النبي الذي يقول
 عن نفسه هذه المقالة والحال أنه فرد من التابعين له المقتدين بشرعه فهل سمعت
 أذنك أرسدك الله بضلال عقل أكبر من هذا الضلال الذي وقع في أهل القبور
 أنا لله وأنا إليه راجعون: وقد أوضحنا هذا أبلغ إيضاح في رسالتنا التي سميناهـ
 الدر النضيد في اخلاص التوحيد وهي موجودة بأيدي الناس فلا شك ولا ريب
 أن السبب الأعظم الذي نشأ معه هذا الاعتقاد في الاموات هو ما زينه الشيطان
 للناس من رفع القبور ووضع الستور عليها وتخصيصها وتزيينها بأبلغ زينة وتحسينها
 بأكل تحسين فإن الجاهل اذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بنيت عليه
 قبة فدخلها ونظر على القبور الستور الرائعة والسرج المتلاثلة وقد صدعت
 حوله مجامير الطيب فلا شك ولا ريب أنه يمتلئ قلبه تعظيماً لذلك القبر ويضيق
 ذهنه عن تصور ما لهذا الميت من المنزلة ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في
 قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين وأشد
 وسائله الى اضلال العباد وما يزلله عن الاسلام قليلاً قليلاً حتى يطلب من صاحب
 ذلك القبر ما لا يقدر عليه الا الله سبحانه فيصير في عداد المشركين وقد يحصل
 له هذا الشرك بأول رؤية لذلك القبر الذي صار على تلك الصفة وعند أول
 زورة له لأن يخطر بباله ان هذه الغاية البالغة من الاحياء بمثل هذا الميت لا يكون
 الا لفائدة يرجوها منه إما دنيوية أو أخروية ويستصغر نفسه بالنسبة الى من يراه
 زائراً لذلك القبر وعاكفاً عليه و متمسحاً بأركانـه وقد يجعل الشيطان طائفة من
 اخوانه من بني آدم يقفون على ذلك القبر يخادعون من يأتي اليه من الزائرين

يهولون عليهم الامر ويصنعون أموراً من أنفسهم وينسبونها الى الميت على وجه لا يفظن له من كان من المغفلين وقد يصنعون أكاذيب مشتملة على أشياء يسمونها كرامات لذلك الميت ويثبونها في الناس ويكررون ذكرها في مجالسهم وعند اجتماعهم بالناس فتشيع وتستفيض ويتلقاها من يحسن الظن بالأموات ويقبل عقله ما يروى عنهم من الاكاذيب فيرويهما كما سمعها ويتحدث بها في مجالسه فيقع الجهال في بلية عظيمة من الاعتقاد ويندرون على ذلك الميت بكرائم أموالهم ويحبسون على قبره من آملا كم ما هو أحبها الى قلوبهم لاعتقادهم أنهم ينالون بذلك بجاه ذلك الميت خيراً عظيماً وأجرأً بليغاً ويعتقدون ان ذلك قرينة عظيمة وطاعة نافعة وحسنة متقبلة فيحصل بذلك مقصود أولئك الذين جعلهم الشيطان من اخوانه من بنى آدم على ذلك القبر فانهم انما فعلوا تلك الافاعيل وهولوا على الناس بتلك التهاويل وكذبوا بتلك الاكاذيب لينالوا جانباً من الخطام من أموال الطغمام الاعتام : وبهذه الذريعة الملعونة والوسيلة الابليسية تكاثرت الاوقاف على القبور وبلغت مبلغاً عظيماً حتى بلغت غلات ما يوقف على المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقافه ما يقتات به أهل قرية كبيرة من قرى المسلمين ولو بيعت تلك الحبائس الباطلة أغنى الله بها طائفة عظيمة من الفقراء وكلها من النذر في معصية الله : وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « لأنذر في معصية الله » وهي أيضاً من النذر الذي لا يبتغي به وجه الله بل كلها من النذور التي يستحق بها فاعلها غضب الله وسخطه لأنها تفضي بصاحبها في الغالب الى ما يفضي به الاعتقاد في الاموات من تنزل قدم الدين اذ لا يسمح بأحب أمواله والصلة بها بقلبه الا وقد زرع الشيطان في قلبه من محبة ذلك القبر وصاحبه والمغالاة في الاعتقاد فيه ما لا يعود به الى الاسلام سالماً نعوذ بالله من الخذلان

ولا شك ان غالب هؤلاء المغرورين الخدوعين لو طلب منهم طالب ان ينذر بذلك الذي نذر به لقبر ميت على ما هو طاعة من الطاعات وقرينة من

القربات لم يفعل ولا كاد فانظر الى اين بلغ تلاعب الشيطان بهؤلاء فكيف فرمى بهم في هوة بعيدة القعر مظلمة الجوانب فهذه مفسدة من مفسد رفع القبور وتشديد زخرفتها وتجسيصها

ومن المفسد البالغة الى حد يرق بصاحبه الى وراء حائط الاسلام ويلقيه على ام رأسه من اعلى مكان من الدين انه يأتي كثير منهم باحسن ما يملكه من الانعام ويحوزه من المواشي فينحره عند ذلك القبر متقربا به اليه راجيا ما يضمن حصوله له منه فيهل به اغير الله ويتعبد به لوثن من الأوثان بانه لا فرق بين نحر النحائر لحجر منصوبة يسمونها وثنا وبين قبر لميت يسمونه قبراً ومجرد الاختلاف في التسمية لا يغني من الحق شيئا ولا يؤثر تحليلا وتحريما فان من اطلق على النحر غير اسمها وشربها كان حكمه حكم من شربها وهو يسميها باسمها بلا خلاف بين المسلمين اجمعين ولا شك ان النحر نوع من أنواع العبادة التي تعبد الله العباد بها كالهدايا والفدايا والضحايا المتقرب بها الى القبر والناحر لها عنده لم يكن له غرض بذلك إلا تعظيمه وكرامته واستجلاب الخير منه والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا عقر في الاسلام » قال عبيد الرزاق كانوا يعقرون عند القبر يعنى بقرة أو شيها رواه ابو داود باسناد صحيح عن انس بن مالك ومستدفع الشر به وهذه عبادة وكفاك من شر سماعه ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وانا لله وانا اليه راجعون : وبعد هذا كله تعلم ان ما سقناه من الدلالة وما هو كالتوطيد لها وما هو كالخاتمة نختم بها البحث يقضى ابلغ قضاء وينادى ارفع ندا ويدل اوضح دلالة ويفيد اجلى مفاد ان مارواه صاحب البحر عن الامام يحيى غلط من اغايط العلماء وخطأ من جنس ما يقع للمجتهدين وهذا شأن البشر والمعصوم من عصمه الله وكل عالم يؤخذ من قوله ويترك مع كونه رحمه الله من أعظم الاثمة انصافاً وأكثرهم تحريماً للحق وارشاداً وتأثيراً ولسكنا لما رأيناه قد خالف من عداه بما قاله من جواز بناء القباب على القبور ردونا هذا الاختلاف الى ما اوجب الله الرد اليه وهو كتاب الله وسنة رسوله

صلى الله عليه وسلم فوجدنا في ذلك ما قدمنا ذكره من الأدلة الدالة بأبلغ دلالة والمنادية بأعلى صوت بالمنع من ذلك والنهي عنه واللعن لفاعله والدعاء عليه واشتداد غضب الله عليه مع ما في ذلك من كونه ذريعة إلى الشرك ووسيلة إلى الخروج عن الملة كما أوضحناه فلو كان القائل بما قاله الإمام يحیی بعض الأئمة أو أكثرها لكان قولهم رداً عليهم كما قدمناه في أول هذا البحث فكيف والقائل به فرد من أفرادهم وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «كل أمر ليس عليه أمرنا فهو رد» ورفع القبور وبناء القباب عليها ليس عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عرفناك بذلك فهو رد على قائله أي مردود عليه والذي شرع للناس هذه الشريعة الإسلامية هو الرب سبحانه بما أنزله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فليس لعالم وإن بلغ من العلم إلى أرفع رتبة وأعلى منزلة أن يكون بحيث يقتدي به فيما خالف الكتاب والسنة أو أحدهما بل ما وقع منه الخطأ بعد توفية الاجتهاد حقه يستحق به أجراً ولا يجوز لغيره أن يتابعه وقد أوضحنا هذا في أول البحث بما لا يأتي التكرار له بمزيد (فائدة) وأما ما استدلل به الإمام يحيى حيث قال لاستعمال المسلمين ومدارسهم ومجالس حفاظهم يرد بها الآخر عن الأول والصغير عن الكبير والمتعلم عن العالم من لدن أيام الصحابة إلى هذه الغاية أوردوا المحدثون في كتبهم المشهورة من الأمهات والمسنندات والمصنفات وأوردوا المفسرون في تفسيرهم وأهل الفقه في كتبهم الفقهية وأهل الأخبار والسير في كتب الأخبار والسير فكيف يقال إن المسلمين لم ينكروا على من فعل ذلك وهم يروون أدلة النهي عنه واللعن لفاعله خلفاً عن سلف في كل عصر ومع هذا فلم يزل علماء الإسلام منكرين لذلك مباغين في النهي عنه وقد حكى ابن القيم عن شيخه تقي الدين وهو الإمام المحييط بمذاهب سلف هذه الأمة وخلفها أنه قد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد على القبور ثم قال وصرح أصحاب أحمد ومالك والشافعي بتحريم ذلك وطائفة أطلقت الكراهة لكن ينبغي أن يحمل على كراهة التحريم

احساناً للظن بهم وأن لا يظن بهم أن يجوزوا ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعن فاعله والنهي عنه انتهى
فانظر كيف حكى التصريح عن عامة الطوائف وذلك يدل على أنه اجماع من أهل العلم على اختلاف طوائفهم ثم بعد ذلك جعل أهل ثلاثة مذاهب مصرحين بالتحريم وجعل طائفة مصرحة بالكراهة وحملها على كراهة التحريم فكيف يقال أن بناء القباب والمشاهد لم ينكره أحد ثم انظر كيف يصح استثناء أهل الفضل برفع القباب على قبورهم وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما قدمنا أنه قال « أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم لعنهم بهذا السبب فكيف يسوغ من مستثنى (١) أهل الفضل بفعل هذا الحرم الشديد على قبورهم مع أن أهل الكتاب الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذر الناس ما صنعوا لم يعمرُوا المساجد إلا على قبور صلحائهم ثم هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد البشر وخير الخليقة وخاتم الرسل وصفوة الله من خلقه ينهى أمته أن يجعلوا قبره مسجداً أو وثناً أو عيداً وهو القدوة لأئمة: ولأهل الفضل من القدوة به والتأسي بأفعاله وأقواله الحظ الأوفر وهم أحق الأمة بذلك وأولاهم به وكيف يكون فعل بعض الأمة وصلاحه مسوغاً لفعل هذا المنكر على قبره وأصل الفضل ومرجعه هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأى فضل ينسب إلى فضله أدنى نسبة أو يكون له بجنبه أقل اعتبار فان كان هذا محرماً منهيّاً عنه ملعوناً فاعله في قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما ظنك بقبر غيره من أمته وكيف يستقيم أن يكون للفضل مدخل في تحليل المحرمات وفعل المنكرات اللهم اغفر *

« تمت والحمد لله »

(١) كذا الأصل وهو غير ظاهر المعنى ولعل العبارة هكذا فكيف يسوغ من هذا استثناء أهل الفضل الخ

مسائل من الأصول^(١)

« للامام العلامة الاصولي المحدث الفقيه »

« ابي محمد علي بن حزم الاندلسي رحمه الله »

« المتوفى سنة ٤٥٦ هـ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مسألة

دين الاسلام اللازم لكل أحد لا يؤخذ الا من القرآن أو مما يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اما برواية جميع علماء الامة عنه عليه الصلاة والسلام وهو الاجماع واما بنقل جماعة عنه عليه الصلاة والسلام وهو نقل الكفاة : واما برواية الثقات واحداً عن واحد حتى يبلغ اليه عليه السلام ولا مزيد : قال تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وقال تعالى (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء) وقال تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم) فان تعارض فيما يرى المرء آيتان أو حديثان صحيحان أو حديث صحيح وآية فالواجب استعمالهما جميعاً لان طاعتهما سواء في الوجوب

(١) ذكرها المؤلف في مقدمة كتابه المحلى بالآثار في شرح المحلى باختصار بعد ان ذكر مسائل التوحيد وقد رغب بعض الاصدقاء في نشرها ضمن مجموعة الرسائل المنيرية فاجيب طلبه ولما كان للسيد الامير الصنعاني تعليق عليها احببنا نشره اتماماً للفائدة مع بعض تعليقات للادارة المنيرية مع التصريح بذلك باسمها لئلا يلتبس على القاريء بالتعليق الآخر

فلا يحل ترك أحدهما للآخر ما دمنا نقدر على ذلك وليس هذا إلا بان يستثنى الأقل معاني من الأكثر فإن لم نقدر على ذلك وجب الأخذ بالزائد حكماً لانه متيقن وجوبه ولا يحل ترك اليقين بالظنون ، ولا اشكال في الدين قد بين الله تعالى دينه قال تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم) وقال تعالى (تبياناً لكل شيء)

مسألة

الموقوف والمرسل لا تقوم بهما حجة ، وكذلك ما لم يروه إلا من لا يوثق بدينه وبحفظه ، ولا يحل ترك ما جاء في القرآن وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول صاحب أو غيره سواء كان هو راوى ذلك الحديث أو لم يكن ، والمرسل هو ما كان بين أحد رواته أو بين الراوي وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم من لا يعرف ، والموقوف هو ما يبلغ به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

- برهان بطلان الموقوف - قول الله عز وجل (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ولا حجة في أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لانه ظن وقد قال تعالى (ان الظن لا يغنى من الحق شيئاً) وقال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم) :

واما المرسل (١) ومن في رواته من لا يوثق بدينه وحفظه فلقول الله تعالى (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) فواجب الله عز وجل قبول نذارة الناس للتفقه في الدين وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » وليس في العالم إلا عدل أو فاسق فحرم الله

(١) أي وأما بطلان الاستدلال بحديث المرسل الخ أي والحديث الضعيف : الادارة

تعالى علينا قبول خبر الفاسق فلم يبق الا العدل فصيح انه هو المأمور بقبول نذارته

وأما المجهول - فلسنا على ثقة من انه على الصفة التي أمر الله تعالى معها بقبول نذارته وهي التفقه في الدين فلا يحل لنا قبول نذارته حتى يصح عندنا فقهاء في الدين وحفظه لما ضبط من ذلك وبرائه من الفسق : والله تعالى التوفيق ولم يختلف أحد من الأمم في ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث الى الملوك رسولا - رسولا واحداً الى كل مملكة يدعوهم الى الاسلام - واحداً واحداً الى كل مدينة والى كل قبيلة كصنعاء الجند وحضرموت وتيمياء ونجران والبحرين وعمان وغيرها يعلمهم أحكام الدين كلها : وافترض على اهل كل جهة قبول رواية أميرهم ومعلمهم فصيح قبول خبر الواحد الثقة عن مثله مبلغاً الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ومن ترك القرآن او ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقول صاحب أو غيره سواء كان راوى ذلك الخبر أو غيره فقد ترك ما أمره الله تعالى باتباعه لقول من لم يأمره الله تعالى قط بطاعته ولا باتباعه وهذا خلاف لأمر الله تعالى ،

وليس فضل الصاحب عند الله بموجب تقليد قوله وتأويله لانه تعالى لم يأمر بذلك لكن موجب تعظيمه ومحبته وقبول روايته فقط لان هذا هو الذي اوجب الله تعالى

مسألة

والقرآن ينسخ القرآن والسنة : والسنة تنسخ السنة والقرآن (١)

(١) ما ذهب اليه من نسخ القرآن بالسنة حكى قولاً للشافعي وحكى كثيرون عنه انه لا ينسخ الكتاب بالسنة جز ما كما في المحلى على جمع الجوامع وقال ابن تيمية : يتوجه الاحتجاج بآية « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » على انه لا ينسخ القرآن

قال الله تعالى عز وجل « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » وقال تعالى « لتبين للناس ما نزل إليهم » وقال تعالى « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » وأمره تعالى ان يقول (ان اتبع الا ما يوحى الي) وقال تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) فصح ان كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعن الله تعالى قاله ، والنسخ بعض من أبعاض البيان وكل ذلك من عند الله تعالى

مسألة

ولا يحل لاحد ان يقول في آية او في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثابت هذا منسوخ وهذا مخصوص في بعض ما يقتضيه ظاهر لفظه ولا ان لهذا النص تأويلا غير مقتضى ظاهر لفظه ولا ان هذا الحكم غير واجب من حين وروده الا بنص آخر وارد بان هذا النص كما ذكر او باجماع متيقن بانه كما ذكر بضرورة حس موجبة انه كما ذكر والا فهو كاذب :

برهان ذلك قول الله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) وقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليعين لهم) وقال تعالى (بلسان عربي مبين) وقال تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) فقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع) موجب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل ما أمر به : وقوله تعالى

الا قرآن كما هو مذهب الشافعي وهو اشهر الروايتين عن الامام احمد وعليها عامة اصحابه اه ودليله جلي وهو ان الظني الدلالة لا يساوي قطعيا فلا يقوى على نسخه وقد نقل الرازي وغيره عن ابي مسلم الاصفهاني ان النسخ غير واقع في التنزيل ورد كل آية قيل بنسخها الى انها محكمة كما تراه مبسوطة في مواضع من تفسيره والمسألة مبسوطة في مواضع اخر

(أطيعوا الله) موجب طاعة القرآن ، ومن ادعى في آية أو خبر نسخا فقد أسقط وجوب طاعتها وهو مخالف لامر الله تعالى في ذلك ، وقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) موجب أخذ كل نص في القرآن والاخبار على ظاهره ومقتضاه في اللغة العربية : فمن ادعى في شيء من ذلك ان المراد به غير ما يقتضيه لفظه في اللغة العربية فقد خالف قول الله تعالى وحكمه وقال عليه عز وجل الباطل وخلاف قوله عز وجل ، ومن ادعى ان المراد بالنص بعض ما يقتضيه في اللغة العربية لا كل ما يقتضيه فقد أسقط بيان النص وأسقط وجوب الطاعة له بدعواه الكاذبة وهذا قول على الله تعالى بالباطل ، وليس بعض ما يقتضيه النص بأولى بالاختصار عليه من سائر ما يقتضيه ، وقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) موجب لاوعيد على من قال : لا تجب علي موافقة أمره وموجب حمل جميع النصوص على الوجوب ، ومن ادعى تأخير الوجوب مدة ما فقد أسقط وجوب طاعة الله ووجوب ما أوجب عز وجل من طاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في تلك المدة وهذا خلاف لامر الله عز وجل ، فاذا شهد لدعوى من ادعى بعض ما ذكرنا قرآن أو سنة ثابتة إما باجماع أو نقل صحيح فقد صح قوله ووجوب طاعة الله تعالى في ذلك . وكذلك من شهدت له ضرورة الحس لأنها فعل الله تعالى في النفوس والافهى أقوال مؤدية الى ابطال الاسلام وابطال جميع العلوم وابطال جميع اللغات كلها وكفى بهذا فساداً وبالله تعالى التوفيق

مسألة

والاجماع هو ماتيقن ان جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرفوا به وقالوا به ولم يختلف منهم أحد كتيقنا انهم كلهم رضى الله عنهم صلوا معه عليه السلام الصلوات الخمس كما هي في عدد ركوعها وسجودها أو علموا انه صلاها مع الناس كذلك وانهم كلهم صاموا معه أو علموا انه صام مع الناس

رمضان في الحضر وكذلك سائر الشرائع التي تيقنت مثل هذا اليقين واتي من لم يقر بها لم يكن من المؤمنين وهذا لا يختلف أحد في انه اجماع وهم كانوا حينئذ جميع المؤمنين لا مؤمن في الارض غيرهم ومن ادعى ان غير هذا هو اجماع كلف البرهان على ما يدعي ولا سبيل له اليه

مسألة

وماصح فيه خلاف من واحد منهم رضى الله عنهم أو لم يتيقن ان كل واحد منهم رضى الله عنهم عرفه ودان به فليس اجماعاً لان من ادعى الاجماع ههنا فقد كذب وقفاً ما لا علم له به والله تعالى يقول (ولا تقف ما ليس لك به علم)

مسألة

ولو جاز أن يتيقن اجماع أهل عصر بعدهم أولهم عن آخرهم على حكم نص لا يقطع فيه باجماع الصحابة رضى الله عنهم لوجب القطع بأنه حق وحجة وليس كان يكون اجماعاً :

أما القطع بأنه حق وحجة فلما ذكرناه قبل باسناده من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » فصح من هذا انه لا يجوز ألبة أن يجمع أهل عصر ولو طرفة عين على خطأ ولا بد من قائل بالحق فيهم : وأما انه ليس اجماعاً فلأن أهل كل عصر بعد عصر الصحابة رضى الله عنهم ليس جميع المؤمنين وإنما هم بعض المؤمنين والاجماع إنما هو اجماع جميع المؤمنين لا إجماع بعضهم ولو جاز أن يسمى اجماعاً ماخرج عن الجملة واحد لا يعرف أوافق سائرهم أم يخالفهم لجاز أن يسمى اجماعاً ماخرج عنهم فيه اثنان وثلاثة وأربعة وهكذا أبداً الى أن يرجع الامر الى أن يسمى اجماعاً ماقاله واحد وهذا باطل ولكن لا سبيل الى

تيقن اجماع جميع اهل عصر بعد الصحابة رضى الله عنهم لكثرة أعداد الناس بعدهم ولا نهم طبقوا ما بين المغرب والمشرق ولم تكن الصحابة رضى الله عنهم كذلك بلى كانوا عدداً مكمناً حصره وضبطه وضبط أقوالهم في المسئلة وبالله تعالى التوفيق . وقد قال بعض الناس يعلم ذلك من حيث يعلم رضا اصحاب مالك وأصحاب ابى حنيفة وأصحاب الشافعى بأقوال هؤلاء « قال على » (١) وهذا خطأ لانه لا سبيل الى أن يكون مسألة قال بها أحد من هؤلاء الفقهاء إلا وفي أصحابه من يمكن أن يخالفه فيها وان وافقه في سائر أقواله

مسألة

والواجب اذا اختلف الناس أو نازع واحد في مسألة ما أن يرجع الى القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا الى شيء غيرهما ولا يجوز الرجوع الى عمل اهل المدينة ولا غيرهم * برهان ذلك قول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فصيح انه لا محل الرد عند التنازع الى شيء غير كلام الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفي هذا تحريم الرجوع الى قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان من رجع الى قول انسان دونه عليه السلام فقد خالف أمر الله تعالى بالرد اليه والى رسوله لاسيما مع تعليقه تعالى ذلك بقوله (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ولم يأمر الله تعالى قط بالرجوع الى قول بعض المؤمنين دون جميعهم ، وقد كان الخلفاء رضى الله عنهم كابى بكر وعمر وعثمان بالمدينة وعماهم باليمن ومكة وسائر البلاد وعمال عمر وعثمان بالبصرة والكوفة ومصر والشام ومن الباطل المتيقن الممتنع الذي لا يمكن أن يكونوا رضى الله عنهم طوعا

(١) وقوله قال على يعنى به المصنف نفسه لان اسمه ابو محمد على بن احمد بن سعيد بن أحمد الاندلسي : أه ادارة الطباعة المنيرية

علم الواجب والحلال والحرام عن سائر الامصار واختصوا به أهل المدينة فهذه صفة سوء قد أعادهم الله تعالى منها وقد عمل ملوك بني أمية باسقاط بعض التكبير من الصلاة وبتقديم الخطبة على الصلاة في العيدين حتى فشا ذلك في الارض فصح انه لاحجة في عمل أحد دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

مسألة

ولا يحل القول بالقياس في الدين ولا بالرأى (١) لان أمر الله تعالى عند التنازع بالرد الى كتابه والى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قد صح فمن رد الى قياس والى تعليل يدعيه أو الى رأي فقد خالف أمر الله تعالى المعلق بالايمان ورد الى غير من أمر الله تعالى بالرد اليه وفي هذا ما فيه (قال على) وقول الله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقوله تعالى (تبيناً لكل شيء) : (لتبين للناس منازل اليهم) وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) إبطال للقياس والرأى لانه لا يختلف أهل القياس والرأى في انه لا يجوز استعمالها مادام يوجد نص : وقد شهد الله تعالى بأن النص لم يفرط فيه شيئاً وان رسوله عليه الصلاة والسلام قد بين للناس كل منازل اليهم وان الدين قد كمل فصح ان النص قد استوفى جميع الدين فاذا كان ذلك كذلك فلا حاجة بأحد الى قياس (٢) ولا الى غيره :

ونسأل من قال بالقياس هل كل قياس قاسه قانس حق أم منه حق ومنه باطل فان قال كل قياس حق أحال (٣) لان المقاييس تتعارض ويبطل بعضها بعضاً ومن المحال أن يكون الشيء وضده من التحريم والتحليل حقاً معاً وليس

(١) قال السيد فسر المصنف الرأي في بعض رسائله بأنه الحكم في الدين بغير نص بل بما يراه المفتي أحوط وأعدل في التحليل والتحريم والایجاب (قال) ومن وقف على هذا الحد وعرف مامعنى الرأي اكتفى في ایجاب المنع منه بغير برهان اذ هو قول بلا برهان أم وكان حدوث الرأي في القرن الاول قرن الصحابة والقياس في القرن الثاني أم
(٢) في بعض النسخ ولا الى رأي وهو غير ظاهر وامل الاصل هكذا : ولا الى رأي نفسه اه
(٣) أي أتى بالحال الذي لا يقع

هذا مكان نسخ ولا تخصيص كالأخبار المتعارضة التي ينسخ بعضها بعضاً ، وإن قال منها حق ومنها باطل قيل له فعرفنا بماذا نعرف القياس الصحيح من الفساد ولا سبيل لهم الى وجود ذلك أبداً وإذا لم يوجد داليل على تصحيح الصحيح من القياس من الباطل منه فقد بطل كله وصار دعوى بلا برهان ، فإن ادعوا ان القياس قد أمر الله تعالى به سئلوا أين وجدوا ذلك فإن قالوا قال الله عز وجل (فاعتبروا يا أولي الابصار) قيل لهم ان الاعتبار ليس هو في كلام العرب الذي نزل به القرآن إلا التعجب قال الله تعالى عز وجل (وإن لكم في الانعام لعبرة) أي لعجباً وقال تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب) أي عجب : ومن العجب أن يكون معنى الاعتبار القياس ويقول الله تعالى لنا فاعتبروا قيسوا ثم لا يبين لنا ماذا نقيس ولا كيف نقيس ولا على ماذا نقيس هذا ما لا سبيل اليه لانه ليس في وسع أحد أن يعلم شيئاً من الدين إلا بتعليم الله تعالى له إياه على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) فإن ذكروا أحاديث وآيات فيها تشبيه شيء بشيء وان الله تعالى قضى وحكم بأمر كذا من أجل أمر كذا قلنا لهم كل ما قاله الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك فهو حق لا يحل لاحد خلافه وهو نص به نقول وكل ما تر تدون أن تشبهوه في الدين وأن تعلوه مما لم ينص عليه الله تعالى ولا رسوله عليه الصلاة والسلام فهو باطل وإفك وشرع لم يأذن الله تعالى به وهذا يبطل عليهم تهويلهم بذكر آية جزاء الصيد وأرايت لومضت : و (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل) وكل آية وحديث موهوا بايراده وهو مع ذلك حجة عليهم على ما قد بيناه في كتاب الاحكام لاصول الاحكام : وفي : كتاب النكت : وفي كتاب الدرر : وفي كتاب النبهة

(قال علي) وقد عارضناهم في كل قياس قاسوه بقياس مثله او صح منه على اصولهم ليريبهم فساد القياس جملة فهو منهم موهون بأن قالوا انتم إذا تبطلون القياس بالقياس وهذا منكم رجوع الى القياس واحتجاج به وانتم في

ذلك بمنزلة المحتج على غيره بحجة العقل ليبطل حجة العقل وبديل من النظر
ليبطل به النظر (قال علي) فقلنا هذا شغب يسهل افساده والله الحمد ونحن لم
نحتج بالقياس في ابطال القياس ومعاذ الله من هذا اسكن اريناكم ان اصلكم
الذي اثبتتموه من تصحيح القياس يشهد بفساد جميع قياساتكم ولا أظهر باطلا
من قول أ كذب نفسه وقد نص تعالى على هذا فقال تعالى (وقالت اليهود
والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم) فليس هذا تصحيحا
لقولهم انهم ابناء الله وأحباؤه ولكن الزاماً لهم ما يفسد به قولهم ولسنا في ذلك
كمن ذكرتم ممن يحتج في ابطال حجة العقل بحجة العقل لكن فاعل ذلك
مصحيح لقضيته العقلية التي يحتج بها فظهر تناقضه من قريب ولا حجة له غيرها
فقد ظهر بطلان قوله ، واما نحن فلم نحتج قط في ابطال القياس بقياس نصحيحه
لكن نبطل القياس بالنصوص وبراهين العقل ثم نزيد بياناً في فساد منه
نفسه بان نروى تناقضه جملة فقط والقياس الذي يعارض به قياسكم نقر بفساده
وفساد قياسكم الذي هو مثله او اضعف منه كما نحتج على اهل كل مقالة من
معتزلة ورافضة ومرجئة وخوارج ويهود ونصارى ودهرية من اقوالهم التي
يشهدون بصحتها فريهم تفاسدها وتناقضها وانتم تحتجون عليهم معنا كذلك
ولسنا نحن ولا انتم ممن يقر بتلك الاقوال التي تحتج عليهم بها بل هي عندنا
في غاية البطلان والفساد وكاحتجاجنا على اليهود والنصارى من كتبهم التي
بأيديهم ونحن لا نصحيحها بل نقول انها محرفة مبذلة اسكن ليريهم تناقض
اقوالهم وفروعهم لا سيما وجميع اصحاب القياس مختلفون في قياساتهم لا تنكاد
توجد مسألة الا وكل طائفة منهم تأتي بقياس تدعى صحته تعارض به قياس
الآخرى وهم كلهم مقرون مجمعون على انه ليس كل قياس صحيحا ولا كل رأى
حقاً فقلنا لهم فها تواتوا حد القياس الصحيح والرأى الصحيح الذي نميز به من
القياس الفاسد والرأى الفاسد وها تواتوا حد العلة الصحيحة التي تقيسون عليها من

العلة الفاسدة فلجلجوا (١)

قال علي — وهذا مكان أدرم عليهم فيه ظهر فساد قولهم جملة ولم يكن لهم الى جواب يفهم سبيل أبدأ وبالله تعالى التوفيق ، فان أتوا في ذلك بنص قلنا النص ، والذي تريدون انتم إضافة الى النص بآرائكم باطل وفي هذا خولفتهم وهكذا أبدأ ، فان ادعوا ان الصحابة رضی الله عنهم أجمعوا على القول بالقياس قيل لهم كذبتم بل الحق انهم كلهم أجمعوا على إبطاله .

برهان كذبهم انه لا سبيل لهم الى وجود حديث عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم انه أطلق الامر بالقول بالقياس إلا في الرسالة المكذوبة الموضوعة على عمر رضي الله عنه فان فيها : فاعرف الاشياء والأمثال وقس الأمور ، وهذه رسالة لم يروها إلا عبد الملك بن الوليد بن معدان عن أبيه وهو ساقط بلا خلاف (٢) وأبوه أسقط منه ومن هو مثله في السقوط فكيف وفي هذه الرسالة نفسها أشياء خالفوا فيها عمر رضي الله عنه منها قوله فيها : والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو ظنيناً في ولاء أو نسب ، وهم لا يقولون بهذا يعني جميع الحاضرين من أصحاب القياس حنفية ومالكية وشافعية وإن كان قول عمر لو صح في تلك الرسالة في القياس حجة فقوله في ان المسلمين عدول كلهم إلا مجلوداً في حد حجة وإن لم يكن قوله في ذلك حجة فليس قوله في القياس حجة لو صح فكيف ولم يصح

(١) قال الامير الصنعاني العلة الصحيحة ما دل عليها التعليل للحكم بها في نص الكتاب أو السنة بأي حروف التعليل المعروفة باللغة أو بتعليق الحكم على الوصف المناسب للتعليل . والعلة الفاسدة ما لم يأت تعليل الحكم بها في كتاب ولا سنة كالشبه والدوران ونحوهما من مسالكها الباطلة اه وقوله ادرم عليهم اي خفي واشتبه

(٢) في الميزان عبد الملك بن الوليد بن معدان عن عاصم بن ابي النجدود قال يحيى بن معين صالح وقال ابو حاتم ضعيف وقال ابن حبان يقلب الاسانيد لا يجمل الاحتجاج به وقال البخاري فيه نظر اه مني حاشية الاعل وكتب فيها أيضاً : تأمل القول بأن كتاب عمر الى ابي موسى كتاب مكذوب وقد شرحه ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين اه ولا يلزم من شرحه صحته فان المدار في الصحة على الرجال لا على الشروح

وأما برهان صحة قولنا في إجماع الصحابة رضى الله عنهم على إبطال القياس فإنه لا يختلف اثنان في ان جميع الصحابة مصدقون في القرآن وفيه (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى) وفيه (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فمن الباطل المحال أن يكون الصحابة رضى الله عنهم يعلمون هذا ويؤمنون به ثم يردون عند التنازع الى قياس أو رأى (١) هذا ما لا يظنه بهم ذوعقل فكيف وقد ثبت عن الصديق رضى الله عنه انه قال : أي أرض تقلني أو أي سماء تظلني إن قلت في آية من كتاب الله برأى أو بما لأعلم (٢) وصح عن الفاروق رضى الله عنه انه قال : اتهموا الرأى على الدين وإن الرأى منا هو الظن والتكلف . وعن عثمان رضى الله عنه في فتيا أفتى بها إنما كان رأياً فمن شاء أخذ ومن شاء تركه ، وعن علي رضى الله عنه : لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه (٣)

وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه : أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم

(١) قال السيد يقال عليهم هم اذا رده الى قياس له علة منصوبة في كتاب أو سنة فقد رده الى الله تعالى والرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله ان عمل الصحابة بالقياس والرأى متواتر تواتراً ممنوياً في عدة قضايا ذكر منها شطراً واسعاً اهـ

(٢) هذا أمر خاص بتفسير القرآن والنزاع في الاحكام أخرج ابو عبيد في فضائله وعبد بن حميد ابراهيم التميمي قال سئل ابو بكر عن الاب ما هو فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لم اعلم : فكلامه في تفسير لفظة لغوية جهل معناها فليس من محل النزاع في الحاق فرع بأصل في حكمه لمشاركته في علة منصوبة لافى تفسير لفظة لغوية وقد اتفق لعمر كما اتفق لابي بكر في الآية فأخرج عبد بن حميد وابن الناباري في المصاحف عن أنس قال قرأ عمر (وفاكهة وأبا) قال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الاب قال : قد نهينا عن التكفاه عن الامير الصنعاني : اقول والقصة اتى بها الشاطبي في كتابه الاعتصام راجعه (٣) تامله ولكني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على أعلاه فكأنه قال : لولا النمس لمسحنا برأينا أسفل الخف ففيه اثبات للرأى لولا النمس اهـ امير

وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من جهنم
وعن ابن مسعود رضى الله عنه : سأقول فيها بجهنم رأيت فان كان صواباً فمن الله
وحده وإن كان خطأ فمضى ومن الشيطان والله ورسوله بري. وعن معاذ بن جبل
في حديث : فليدع كلاماً ليس من كتاب الله عز وجل ولا من سنة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فإياكم وإياه فانه بدعة وضلالة : وعلى هذا النحو كل
رأى روى عن بعض الصحابة رضى الله عنهم لانه إلهام ولا إلهام ولا إلهام حق
لكنه إشارة بعفو أو صالح أو نوع (١) فقط لا على سبيل الإيجاب (٢) وحديث
معاذ الذى فيه أجتهد رأيت ولا آلو لا يصح لانه لم يروه أحد إلا الحرث بن عمر
وهو مجهول لا ندري من هو عن رجال من أهل مصر (٣) لم يسمهم عن معاذ،
وقد تصدينا أسانيد هذه الاحاديث كلها في كتابنا المذكور والله تعالى الحمد ،

حدثنا احمد بن قاسم حدثنا ابني قاسم بن محمد حدثنا جدى قاسم بن اصبح
اخبرنا محمد بن اسمعيل الترمذى حدثنا نعيم بن حماد اخبرنا عبد الله بن المبارك
اخبرنا عيسى بن يونس بن أبى اسحق السبيعى عن جرير بن عثمان عن عبد
الرحمن بن جبير عن نعيم بن نعيم عن عوف بن مالك الاشجعى قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم « تفرق امتى على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة
على امتى قوم يقيسون الامور بأرائهم (٤) فيحلون الحرام ويحرمون الحلال »
(قال على) والشرعة كلها اما فرض يعصى من تركه واما حرام يعصى من
فعله واما مباح لا يعصى من فعله ولا من تركه وهذا المباح ينقسم الى ثلاثة

(١) كذا في الاصل

(٢) يقال قد وقع للصحابة الخلاف في ميراث الجد والمكتم بالرأى لانهم لم يجدوا فيه نصاً
وغير ذلك من الآراء التي حكموا بها أمير (٣) في نسخة : خمس

(٤) هذا في قوم يخالفون صرائح النصوص بقياساتهم فان قولهم فيحلون الحرام ويحرمون
الحلال دال على انهم يفعلون ذلك فيما ثبت النص فيهما على خلاف ما قالوه لانه كان حلالاً وحراماً
ولا يتصف بذلك الا عن نص وكون الاصل الحل هو عن نص وهو ما ذكره المصنف عن قوله
تعالى « خلق لكم ما في الارض جميعاً » اه وقد حكم المصنف في الفصل بوضع هذا الحديث

أقسام اما مندوب اليه يؤجر من فعله ولا يعصى من تركه واما مكروه يؤجر من تركه ولا يعصى من فعله واما مطلق لا يؤجر من فعله ولا من تركه ولا يعصى من فعله ولا من تركه وقال عز وجل (خلق لكم ما في الارض جميعاً) وقد قال تعالى (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) فصيح ان كل شيء حلال الا ما فصل تحريمه في القرآن والسنة

حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا احمد بن فتح حدثنا عبيد الوهاب بن عيسى حدثنا احمد بن محمد حدثنا احمد بن علي حدثنا مسلم بن الحجاج اخبرني زهير بن حرب حدثنا يزيد بن هرون حدثنا الربيع بن مسلم القرشي عن محمد بن زياد عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « يا أيها الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام بارسول الله . فسكت حتى أعادها ثلاثاً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سوءالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوا » (قال علي) فجمع هذا الحديث جميع أحكام الدين اولها عن آخرها ففيه ان ما سكت عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يأمر به ولا نهى عنه فهو مباح وليس حراماً ولا فرضاً وان ما أمر به فهو فرض وما نهى عنه فهو حرام وان ما أمرنا به فانما يلزمنا منه ما نستطيع فقط وان نفعل مرة واحدة تؤدي مالزمنا وما يلزمنا تكرراره فاي حاجة بأحد الى قياس أو رأي مع هذا البيان الواضح (١)

(١) قال السيد الامير قلت اما مع النص على الحكم فلا تأمل بالقياس والسكنه من المعلوم يقيناً انه لم يأت في كل حادثة نص يحكمها فانه من المعلوم يقيناً انها اتفقت قضاياها اختلاف فيها الصحابة لعدم النص وهم اعرف الناس بالنصوص فانهم اختلفوا في مسائل من الموارد كبراث الجد ومسائل العول ومسألة بيع امهات الاولاد وعدة مسائل لا تنحصر في البيوع والطلاق والمعدد وحكموا فيها تحليلاً وأجرباً بالأراء وقد صرح المصنف رحمه الله انه وقع الرأي في القرن الاول وهو قرن الصحابة فكيف يقول فاي حاجة بأحد الى القياس على انا حققنا لك ان القياس على العلة المنصوصة هو من النص فالرجوع اليه عند التنازع رجوع الى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وليس هذا القياس من ضرب الامثال في الدين بل هو من الدين اهـ

ونحمد الله تعالى على عظم نعمه

فان قال قائل منهم لا يجوز ابطال القول بالقياس حتى توجدونا تحريم القول به نصاً في القرآن قلنا لهم قد اوجدناكم البرهان نصاً بذلك وبأن لا يرد التنازع الا الى القرآن والسنة فقط وقال تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) وقال تعالى (فلا تضربوا الله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون) والقياس ضرب امثال في الدين لله تعالى . ثم يقال لهم ان عارضكم الروافض يمثّل هذا فقالوا لكم لا يجوز القول بابطال الالهام ولا بابطال اتباع الامام الا حتى توجدونا تحريم ذلك ايضاً أو قال لكم ذلك أهل كل مقالة في تقليد كل انسان بعينه بماذا تنفصلون بل الحق انه لا يحل ان يقال على الله تعالى انه حرم أو حلال أو اوجب الا بنص فقط وبالله تعالى التوفيق

مسألة

وافعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس فرضاً الا ما كان منها بياناً لأمر فهو حينئذ امر لكن الا يتساء به عليه الصلاة والسلام فيها حسن برهان ذلك هذا الخبر الذي ذكرته آنفاً من انه لا يلزمنا شيء الا ما امرنا به او نهانا عنه وان ماسكت عنه فغفوا ساقط عنا وقال عز وجل « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة »

مسألة

ولا يحل لنا اتباع شريعة نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم قال عز وجل (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) حدثنا احمد بن محمد حدثنا الحسور حدثنا وهب بن ميسرة حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر ابن ابي شيبه حدثنا هشيم اخبرنا يسار عن يزيد الفقير

اخبرنا جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « اعطيت خمسة لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجداً وطهوراً فإيما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم ولا تحل لأحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة فاذا صح ان الانبياء عليهم السلام كلهم لم يبعث أحد منهم الا الى قومه خاصة فقد صح ان شرائعهم لم تلزم الا من بعثوا اليه فقط واذا لم يبعثوا اليها فلم يخاطبونا قط بشيء ولا أمرونا ولا نهونا ولو خاطبونا لما كان لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم فضيلة عليهم في هذا الباب ومن قال بهذا فقد كذب هذا الحديث وابطل هذه الفضيلة التي خصه الله تعالى بها فاذا صح انهم عليهم السلام لم يخاطبونا بشيء فقد صح يقيناً ان شرائعهم لا تلزمنا أصلاً وبالله تعالى التوفيق

مسألة

ولا يحل لأحد ان يقلد احداً لآخياً ولا ميتاً وعلى كل أحد من الاجتهاد حسب طاقته فمن يسأل عن دينه فانما يريد معرفة ما الزمه الله عز وجل في هذا الدين ففرض عليه ان كان اجهل البرية ان يسأل عن اعلم اهل موضعه بالدين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا دل عليه سأل فافذا افتساه قال له هكذا قال الله عز وجل ورسوله فان قال نعم اخذ بذلك وعمل به ابداً فان قال له هذا رأى أو هذا قياس أو هذا قول فلان وذكر له صاحباً أو تابعاً أو فقهاءً قديماً أو حديثاً أو سكت أو انتهره أو قال له لا أدري فلا يحل له ان يأخذ بقوله ولكن يسأل غيره

برهان ذلك قول الله عز وجل (اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) فلم يأمرنا عز وجل قط بطاعة بعض اولي الامر فمن قلده عالماً أو جماعة علماء فلم يطع الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا اولي الامر واذا لم يرد الى ما ذكرنا فقد خالف أمر الله عز وجل ولم يأمر الله عز وجل قط بطاعة بعض

اولي الامر دون بعض (١)

فان قيل فان الله عز وجل قال (فاسألوا اهل الذکر ان كنتم لا تعلمون) (٢) وقال تعالى (ليتفقوا في الدين ولينذروا قومهم) قلنا نعم ولم يأمر الله عز وجل ان يقبل من النافر للتفقه في الدين رأيه ولا ان يطاع اهل الذکر في رأيهم ولا في دين يشعرونه لم يأذن به الله عز وجل وانما أمر تعالى بان يسأل اهل الذکر عما يعلمونه في الذکر الوارد من عند الله تعالى فقط لا عن من قاله من لاسمع له ولا طاعة : وانما أمر الله تعالى بقبول نذارة النافر للتفقه في الدين فيما تفقسه فيه من دين الله تعالى الذي أتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا في دين لم يشعه الله عز وجل ، ومن ادعى وجوب تقليد العامي للمفتي فقد ادعى الباطل وقال قولاً لم يأت به قط نص قرآن ولا سنة ولا اجماع ولا قياس وما كان هكذا فهو باطل لانه قول بلا دليل بل البرهان قد جاء بابطاله ذاماً لقوم (انا أطعنا سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيلا) والاجتهاد انما معناه بلوغ الجهد في طلب دين الله عز وجل الذي اوجبه على عباده وبالضرورة يدرى كل ذی حس سليم ان

(١) قال السيد محمد الامير كلام المصنف رحمه الله مبني على ان المراد باولي الامر العلماء وهو احد اقوال السلف في تفسير الآية ولكنه اخرج ابن ابي شيبة والبخاري ومسلم وابن جرير وابن ابي حاتم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى امري فقد عصاني » وفي الآية احاديث مرفوعة بنحوه وآثار عن السلف مختلفة منهم من فسرهم بالعلماء ثم على كلام المصنف المراد استروا العلماء عن احكام الكتاب والسنة وان الفتيا معناها رواية الكتاب والسنة وقبول رواية العالم ليس تقليداً له بل من العمل بخبر الاحاد الذي تعبد الله بالعمل به العباد وهو العمل بالظن المستفاد من اخبار الاحاد : وفي قوله لم يأمر الله بطاعة بعض اولي الامر دون بعض ايهاً أنه لا يقبل فتوى العالم الواحد حتى تكون اجماعاً وهو خلاف ما قرره كما لا يخفى اه
(٢) قال بعض المحققين واختار ان المراد بسؤال اهل الذکر السؤال عن الرسل هل كانوا بشر أم لا لان ذلك هو المذكور في أول الآية والعرف العربي يقضي بان ذلك هو المراد والقراءات تسوق الفهم اليه بانه تعالى لما قال (وما ارسلنا قبلك الا رجالاً نوحى اليهم فاسألوا اهل الذکر) فان السابق الى الافهام فاسألوهم عن كوننا ما ارسلنا الا رجالاً : كما لو قال قائل واجبت اليوم الخليفة واسأل وزراءه كان المفهوم واسألهم عن كوني واجهته : وبهذا تعرف ان هذه الآية لا تصلح للاستدلال على جواز التقليد كما ذهب اليه الاكثر من محبي التقليد اه
الادارة

المسلم لا يكون مسلماً الا حتى يقر بان الله تعالى الهه لا اله غيره وان محمداً هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الدين اليه والى غيره فاذا لا شك في هذا فكل سائل في الارض عن نازلة في دينه فانما يسأل عما حكم الله تعالى به في هذه النازلة فاذا لا شك ففرض عليه ان يسأل اذا سمع فتياً أهذا حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا لا يعجز عنه من يدري ما الاسلام ولو انه قد جلب من قوقو (١) وبالله تعالى التوفيق

مسألة

واذا قيل له اذا سأل عن أعلم اهل بلده بالدين هذا صاحب حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا صاحب رأى وقياس فليسأل صاحب الحديث ولا يحل له ان يسأل صاحب الرأى أصلاً :

برهان ذلك قول الله عز وجل (اليوم اكملت لكم دينكم) وقوله تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) فهذا هو الدين لا دين سوى ذلك والرأى والقياس ظن والظن باطل

حدثنا احمد بن محمد بن الحسور حدثنا احمد بن سعيد حدثنا ابن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث » (حدثنا) يونس بن عبد الله حدثنا يحيى بن مالك بن عائذ اخبرنا ابو عبد الله ابن ابى حنيفة اخبرنا ابو جعفر بن محمد بن سلامة الطحاوي حدثنا يوسف بن يزيد القراطيسي اخبرنا سعيد بن منصور اخبرنا جرير بن عبد الحميد عن المغيرة بن مقسم عن الشعبي قال : السنة لم توضع بالمقاييس (حدثنا) محمد بن سعيد بن بيان اخبرنا اسمعيل بن اسحق البصري اخبرنا احمد بن سعيد بن حزم اخبرنا محمد بن ابراهيم بن حيون الحجازي اخبرنا عبد الله بن احمد بن

حنبل قال سمعت ابي يقول : الحديث الضعيف أحب الينا من الرأي (حدثنا) حمام بن احمد اخبرنا عباس بن اصبغ حدثنا محمد بن عبد الملك بن ايمن حدثنا عبد الله ابن احمد بن حنبل قال سألت أبي عن الرجل يكون يبلا لا يجد فيه الا صاحب حديث لا يعرف صحيحه من سقيميه وأصحاب رأي فتنزل به النازلة من يسأل فقال ابي يسأل صاحب الحديث ولا يسأل صاحب الرأي : ضعيف الحديث أقوم من رأي فلان

مسألة

ولا حكم للخطأ ولا للنسيان الا حيث جاء في القرآن أو السنة لها حكم قال تعالى (ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم) - وقال تعالى (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا)

مسألة

وكل فرض كلفه الله تعالى الانسان فان قدر عليه لزمه وان عاجز عن جميعه سقط عنه وان قوى على بعضه وعجز عن بعضه سقط عنه ما عاجز عنه ولزمه ما قدر عليه منه سواء أقله أو أكثره :
برهان ذلك قول الله عز وجل (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) : وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وقد ذكرناه قبل باسناده وبالله تعالى التوفيق

مسألة

ولا يجوز أن يعمل أحد شيئاً من الدين مؤقتاً بوقت قبل وقته فان كان الاول من وقته والاخر من وقته لم يجوز أن يعمل قبل وقته ولا بعد وقته لقول الله تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وقال تعالى (تلك حدود الله

فلا تعتدوها) والاقوات حدود فمن تعدى بالعمل وقته الذي حده الله تعالى له فقد تعدى حدود الله .

حدثنا عبدالله بن يوسف ثنا احمد بن فتح ثنا عبد الوهاب بن عيسى حدثنا احمد بن محمد أخبرنا احمد بن علي أخبرنا مسلم بن الحجاج أخبرنا اسحق ابن ابراهيم هو ابن راهويه عن أبي عامر العقدي حدثنا عبدالله بن جعفر الزهري عن سعيد بن ابراهيم عن عبدالرحمن بن عوف قال : سألت القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق قال أخبرني عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » — قال علي ومن أمره تعالى أن يعمل عملاً في وقت سماه له فعمله في غير ذلك الوقت إما قبل الوقت وإما بعد الوقت فقد عمل عملاً ليس عليه أمر الله تعالى ولا أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو مردود باطل غير مقبول وهو غير العمل الذي أمر به فان جاء نص بأنه يجزي في وقت آخر فهو وقته أيضاً حينئذ وإنما الذي لا يكون وقتاً للعمل فهو ما لا نص فيه والله تعالى التوفيق

مسألة

والمجتهد المخطئ أفضل عند الله تعالى من المقلد المصيب هذا في أهل الاسلام خاصة وأما غير أهل الاسلام فلا عذر للمجتهد المستدل ولا للمقلد وكلاهما هالك برهان هذا ما ذكرناه آنفاً باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » وذم الله تعالى التقليد جملة فالمقلد عاص والمجتهد مأجور وليس من اتبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقلداً لانه فعل ما أمره الله تعالى به وإنما المقلد من اتبع دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانه فعل ما لم يأمره الله تعالى به ، وأما غير الاسلام فان الله تعالى يقول (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) :

مسألة

والحق من الاقوال في واحد منها وسائرهما خطأ وبالله تعالى التوفيق: قال الله تعالى (فماذا بعد الحق إلا الضلال) وقال تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) وذم الله تعالى الاختلاف فقال (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) وقال تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا) وقال تعالى (تبياناً لكل شيء) فصح ان الحق من الاقوال هو ما حكم الله تعالى به فيه وهو واحد لا يختلف وان الخطأ ما لم يكن من عند الله عز وجل ، ومن ادعى ان الاقوال كلها حق وان كل مجتهد مصيب فقد قال قولاً لم يأت به قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا معقول وما كان هكذا فهو باطل ، ويبطله أيضاً قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » فنص عليه الصلاة والسلام ان المجتهد قد يخطئ ، ومن قال ان الناس لم يكافوا إلا اجتهادهم فقد أخطأ بل ما كفوا إلا إصابتهم ما أمر الله به قال عز وجل (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) فافترض عز وجل اتباع ما أنزل اليك وأن لا تتبع غيره وأن لا تتعدى حدوده وإنما أجر المجتهد المخطئ أجر واحد على نيته في طلب الحق فقط ولم يأنم اذا حرم الإصابت ، فلو أصاب الحق أجر أجراً آخر ثانياً (حدثنا) عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد أخبرنا ابراهيم بن احمد الغربري حدثنا البخاري حدثنا عبد الله بن زيد المقرئ حدثنا صبوة بن شريح حدثنا يزيد بن عبد الله بن الهادي عن محمد بن ابراهيم بن الحرث عن بشر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر »

ولا يحل الحكم بالظن أصلاً (١) لقول الله تعالى (إن يتبعون إلا الظن

(١) قال السيد محمد الأمير أقول هذا النفي في انه لا يحل الحكم بالظن مشكل غاية الاشكال وقد آن ان نحقق البحث للناظرين دفعا للاغترار بكلام هذا المحقق رحمه الله فنقول الظن لفظ مشترك بين معان يطلق على الشك كما صرح أئمة اللغة ففي القاموس : الظن التردد والراجع بين طرفي الاعتقاد الغير الجازم انتهى فهذان اطلاقان . ويطلق على اليقين « الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون » مع قوله في صفة المؤمنين « وهم بالآخرة هم يوقنون » لانه لا بد من اليقين في الايمان بالآخرة ويطلق على التهمة كما في قوله تعالى « وما هو على الغيب بضنين » فيمن قرأء بالظاء المشالة أي بمتهم كما قال أئمة التفسير واذا عرفت هذا عرفت ان المذموم من الظن هو ما كان بمعنى الشك وهو المتردد بين طرفي الامر فطرفاه مستويان لاراجح فيهما فهذا يحرم العمل به اتفاقا وهو الذي هوا كذب الحديث وهو الذي لا يعني من الحق شيئا وهو بعض الائم الذي أراد تعالى « ان بعض الظن اثم » وذلك لما تقرر في الفطرة وقرره الشريعة ان لا عمل الا براجح مستفاد من علم أو ظن . وأما الظن الذي بمعنى الطرف الراجح فهو متعبد به قطعاً بل اكثر الاحكام الشرعية دائرة عليه فهو البعض الذي ليس فيه اثم المفهوم من قوله تعالى (ان بعض الظن اثم) — فان خبر الآحاد معمول به في الاحكام وهو لا يفيد بنفسه الا الظن . والمصنف (ابن حزم) تقدم له ان الجاهل يسأل العالم عن الحكم فيما يعرض له فاذا أفتاه وقال هذا حكم الله ورسوله عمل به أبداً ومعلوم ان هذه رواية آحادية من العالم بالمعنى ولا تقيد الا الظن وقد أوجب قبولها وكذلك أمر الله بأشهاد ذوي عدل فان شهدا وجب على الحاكم الحكم بما شهدا به وشهادتهما لا تقيد الا الظن بل كونهما ذوي عدل لا يكون الا بالظن بل قال صلى الله عليه وآله وسلم : انكم تختصمون إلي الى قوله فانما أقطع له قطعة من نار : وهذا صريح انه صلى الله عليه وآله وسلم حكم بالظن الحاصل عن البيئة اذ لو كان بالعلم لما كان المحكوم به قطعة من نار لانه يجوز ان البيئة التي حكم بها باطلة في نفس الامر وفي حديث ابن مسعود في سجود السهو اذا كنت في صلاة فشككت في ثلاث أو أربع وأكثر ظنك

وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً) ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » وبالله تعالى التوفيق
 هذا آخر مسائل الاصول للامام ابن حزم رحمه الله تعالى

على أربع الحديث فاعتبر الظن في أشرف العبادات وحديث الطبراني والحاكم :
 قال الله انا عند ظن عبدي بنى فليظن بنى ماشاء : وحديث : لا يموتن أحدكم إلا
 وهو يحسن الظن بالله رواه احمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه فهذا كله عمل
 بالظن الراجح الصادر عن أمانة صحيحة ، وأما ما صدر لاعتن أمانة صحيحة
 نحو ظن الكفار انه لن ينقلب الرسول والمؤمنون الآية وظننتم ظن السوء
 وكنتم قوما بوراً . فهذا ظن باطل مستند الى أن الله تعالى لا ينصر رسوله صلى
 الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ومثل ظننتم ان الله لا يعلم كثيراً مما تعملون الذي
 حكاه الله تعالى عنهم بقوله (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلكم
 ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فأصبحتم من الخاسرين) فظنهم هذا مستند الى
 الجهل بعلم الله واحاطته ، ومنه في قصة الاحزاب في ظن المنافقين (واذا غارت
 الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) فانهم ظنوا غلبة
 الاحزاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولذا قالوا (ما وعدنا الله ورسوله الا
 غروراً) وعكسهم أهل الايمان فانهم قالوا (هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله
 ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً) فهذا البحث بحمد الله تعالى لا يتجدد في
 كتاب ، وانما هو من فتح الكريم الوهاب وبه يزول الاشكال والاضطراب ،
 وتعلم ان المصنف أوجز في محل الاطنباب ، فاخل بما يذكره هو في هذا الكتاب ،
 فانه لا يزال يستدل فيه بأخبار الآحاد وبعموم ألفاظها وألفاظ القرآن والكل
 لا يخرج عن الأدلة الظنية ، فاعرف قدر هذه الفائدة السنية اه

مسألة القدر

سؤال أورده أحد علماء الذميين والجواب عليه

« للامام ابن تيمية »

(سأل أحد علماء الذميين عن مسألة القدر قائلا :)

أيا علماء الدين ذمي دينكم
إذا ما قضى ربي بكفرى بزعمكم
دعاني وسد الباب عني فهل الى
قضى بضاللى ثم قال ارض بالقضا
فان كنت بالمقضى يا قوم راضيا
فهل لى رضا ما ليس براضاه سيدي
إذا شاء ربي الكفر منى مشيئة
وهل لى اختيار أن أخالف حكمه
تخير دلوه بأوضح حجة
ولم يرضه منى فما وجه حيلتى
دخولى سبيل بينوا لى قضيتى
فها أنا راض بالذى فيه شقوتى
فربى لا يرضى بشؤم بليتى
فقد حرت دلونى على كشف حيرتى
فهل أنا عاص باتباع المشيئة
فبالله فاشفوا بالبراهين غلتى

﴿ فأجاب الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام ﴾

﴿ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى مرتجلا ﴾

سؤالك يا هذا سؤال معاند
وهذا سؤال خاصم المسألا العلا
ومن يك خصما للمهيمن يرجعن
وتدعى خصوم الله يوم معادهم
سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا
وأصل ضلال الخلق من كل فرقة
فان جميع الكون أوجب فعله
مخاصم رب الخلق باري البرية
قديما به ابليس أصل البلية
على أم رأس هاويا في الخفيرة
الى النار طرا فرقة القدرية
به الله أو ماروا به للشريعة
هو الخوض في فعل الاله بعلة
مشيئة رب الخلق باري الخليقة

و ذات الله الخلق واجبة بما
 مشيئته مع علمه ثم قدرة
 فقولك لم قد شاء مثل سؤال من
 وذلك سؤال يبطل العقل وجهه
 وفي الكون تخصيص كثير يدل من
 واصداره عن واحد بعد واحد
 ولا في تعلق لكل مسبب
 بل الثاني في الاسباب اسباب ما ترى
 وقولك لم شاء الاله هو الذي
 فان المجوس القائلين بخالق
 سؤالهم عن علة الشر وقعت
 وان ملاحيد الفلاسفة الاولى
 بغوا علة للكون بعد انعدامه
 وان مبادئ الشر في كل امة
 بخوضهم في ذاكم صار شرهم
 ويكفيك نقضاً ان ما قد سألته
 فانت تعيب الطائعين جميعهم
 وتنحل من والاك صفو مودة
 وحالهم في كل قول وفعلة
 وهبك كففت اللوم عن كل كافر
 فيلزمك الاعراض عن كل ظالم
 فلا تغضبن يوماً على سافك دماً
 ولا شاتم عرضاً مصوناً وان علا
 ولا قاطع للناس نهج سبيلهم

لها من صفات واجبات قديمة
 لوازم ذات الله قاضي القضية
 يقول فإلم قد كان في الازلية
 وتحريمه قد كان في كل شرعة
 له نوع عقيل انه بارادة
 أو القول بالتجويز رمية حيرة
 بما قبله من علة كل خيبة
 ومصدرها عن حكم محض المشيئة
 أزل عقول الخلق في قعر حفرة
 لنفع ورب مبدع المضرة
 رؤوسهم في شبهة الثنوية
 يقولون بالفعل القديم لعلة
 فلم يجدوا ذاكم فضلوا بضلة
 دوى من رضوخ لاتباع لشبهة
 وجاء دروس البينات بفترة
 من العذر مردود لدي كل فطرة
 عليك وترميهم بكل مذمة
 وتبغض من عاداك من كل فرقة
 كحالك يا هذا بأرجح حجة
 وكل غوى خارج عن محجة
 على الناس من نفس ومال وحرمة
 ولا سارق مالا اصحاب فاقة
 ولا ناكح فرجا على وجه غية
 ولا مفسد في الارض من كل وجهة

ولا شاهد بالزور افكا وفرية
ولا مهلك للحرث والنسل عامداً
وكف لسان اللوم عن كل مفسد
وسهل سبيل الكاذبين تعمداً
وإن قصدوا إضلال من يستجيهم
وجادل عن الملعون فرعون إذ طغى
وكل كفور مشرك بالله
كعاد ونمرود وقوم لصالح
وخاصم لموسى ثم سائر من أتى
على كونهم قد جاهدوا الناس إذ بغوا
وإلا فكل الخلق في لفظة واحدة
وبطشة كف أو تخطي قديمة
هم تحت أقدار الآله وحكمه
وهبك رفعت اللوم عن كل فاعل
فهل يمكن رفع الملام جميعه
وترك عقوبات الذين قد اعتدوا
فلا يضمنن نفس ومال بمثله
وهل في عقول الناس أوفي طباعهم
ويكفيك نقضا ما يجسم ابن آدم
من الألم المقضي من غير حيلة
إذا كان في هذا له حكمة فما
وكيف ومن هذا عذاب مولد
كأكل لسم أو جب الموت أكله
فكفرك يا هذا كسم أكلته

ولا قاذف للمحصنات بزنية
ولا حاكم للعالمين برشوة
ولا تأخذن ذا خربة بعقوبة
على ربهم من كل جاء بفرية
يروم فساد النوع ثم الرياسة
فأهلك في اليم انتقاماً بغضبة
وآخر طاغ كافر بالنبوة
وقوم لنوح ثم أصحاب ليكة
من الانبياء محيياً للشريعة
ونالوا من العاصي ببلغ العقوبة
ظ عين وتحريك لشعرة
وكل حراك بل وكل سكينه
كما أنت فيما قد أنيت بحجة
فعال ردى طراً لهذا المقيسة
عن الناس طراً عند كل قبيحة
وترك الورى الانصاف بين الرعية
ولا يعقبن عاد بمثل الجريمة
قبول لقول النذل ما وجه حيلتي
صبي ومجنون وكل بهيمة
وفي ما يشاء الله أكل حكمة
يظن بخلق الفعل ثم العقوبة
من الفعل فعل العبد عند الطبيعة
وكل بتقدير لرب المنية
وتعذيب نار مثل جرعة عضه

أست ترى في هذه الدار من جنى
ولاعذر للجاني بتقدير خالق
وما كان من جنس المتاب لرفعه
كخير به تمحى الذنوب ودعوة
وتقديره للفعل يحلب نعمة
وقول حليف الشراني مقدر
فهل ينفع عذر الملوهم لانه
أم الدم والتعذيب أو كذا للذي
فان كنت ترجو أن تجاب بماعسى
فدونك رب الخلق فاقصده ضارعا
وما بان من حق فلا تتركه
وذلل قياد النفس للحق واسمع
ومن ضل عن حق فلا تقفونه
هنالك تبدو طامعات من الهدى
بملة ابراهيم ذاك إمامنا
فلا يقبل الرحمن ديناً سوى الذى
فقد جاء هذا الخاتم الخاشع الذى
وأخبر عن رب العباد بأن من
فهذى دلالات العباد الخائر
وفقد الهدى عند الورى لا يفيد من
وحجة محتج بتقدير ربه
وأما رضانا بالقضاء فانما
كسقم وذل ثم فقر وغربة
فانما الافاعيل انى كرهت لنا

يعاقب إما بالقضا أو بشرعة
كذلك فى الاخرى بلا مشوية
عواقب أفعال العباد الخبيثة
تجاب من الجاني ورب شفاعة
كتقديره الآثار طراً بعلة
على كقول الذيب هذى طبيعتى
كذا طبعه أم هل يقال لعقوة
طبيعته فعل الشرور الشنيعة
ينجيك من نار الاله العظيمة
مريداً بأن يهديك نحو الحقيقة
وعج عن سبيل الامة الغضبية
ولا تعرض عن فكرة مستقيمة
وزن ما عليه الناس بالمعدلية
بتبشير من قد جاءنا بالخليفة
ودين رسول الله خير البرية
به جاءت الرسل الكرام السجية
حوى كل خير فى عموم الرسالة
غدا عنه فى الاخرى بأقبح خيبة
واما هداه فهو فعل الربوبية
عدا عنه بل يجري بلاوجه حجة
تزيد عذاباً كاحتجاج مريضة
أمرنا بأن نرضى بمثل المصيبة
وما كان من مؤذ بدون جريمة
فلا نص يأتى فى رضاها بطاعة

وقد قال قوم من أولي العلم لا رضى
فإن إله الخلق لم يرضها لنا
وقال فريق نرتضى بقضائه
كما أنها للرب خلق وأنها
فترضى من الوجه الذي هو خلقه
ومعصية العبد المكلف تركه
فإن إله الخلق حق مقاله
كما أنهم في هذه الدار هكذا
وحكمته العليا اقتضت ما قضت من
يسوق أولي التعذيب بالسبب الذي
ويهدى أولي التنعيم نحو نعيمهم
وأمر إله الخلق بتبيين ما به
فمن كان من أهل السعادة أثمر
ومن كان من أهل الشقاوة لم ينل
ولا يخرج للعبد عما به قضى
فليس بمجبور عديم إرادة
ومن عجب الأشياء خلق مشيئة
وقولك هل أختار ترك الحسنة
وأختار أن لا أختار فعل ضلالة
وذا ممكن لكنه متوقف
فدونك فافهم ما به قد أجبت من
أشارت إلى أصل يشير إلى الهدى

بفعل المعاصي والذنوب الكبيرة
فلا نرتضى مسخوطة بمشيئة
إليه وما فينا فيلقى بسخطة
لخلق كسب كفعل الغريزة
ونسخط من وجه اكتساب الخطيئة
لما أمر المولى وإن بمشيئة
بأن العباد في نعيم وجنة
بل البهم في الآلام أيضاً ونعمة
مفروق بعلم ثم أيد ورحمة
يقدره نحو العتاب بعزة
بأعمال صدق في خشوع وخشية
يسوق أولي التنعيم نحو السعادة
أوامره فيه بتدبير صنعة
بأمر ولا نهى بتقدير شقوة
ولكنه مختار حسن وسوءة
ولكنه شاء بخاق الإرادة
بها صار مختار الهدى والضلالة
كقولك هل أختار ترك المشيئة
ولو نلت هذا الترك فزت بتوبة
على ما يشاء الله من ذي المشيئة
معان إذا انحلت بفهم غريزة
ولله رب الخلق أدمل مدحتي

﴿ تمت قصيدة الإمام ابن تيمية ﴾

عقيدة السلف واصحاب الحديث

« للامام المحدث المفسر شيخ »

« الاسلام ابى عثمان »

« اسماعيل الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩ هـ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا قاضى القضاة بدمشق نظام الدين عمر بن ابراهيم بن محمد بن مفلح الصالحى الحنبلى اجازة مشافهة أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن المحب المقدسى اجازة ان لم يكن سماعاً أخبرنا الشيخان جمال الدين عبد الرحمن ابن احمد بن عمر بن شكر وأبو عبد الله محمد بن المحب عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسين : قال الاول أخبرنا اسماعيل بن أحمد بن الحسين بن محمد العراقى سماعاً أخبرنا أبو الفتح عبد الله بن أحمد الخرقى اجازة وقال الثانى أخبرنا أحمد بن عبد الدائم رحمه الله وأخبرنا المحدث تاج الدين محمد بن الحافظ عماد الدين اسماعيل بن محمد بن بردس البعلى فى كتابه أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن اسماعيل بن الحباز شفاهاً أخبرنا أحمد بن عبد الدائم اجازة ان لم يكن سماعاً أخبرنا الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى أخبرنا الخرقى سماعاً أخبرنا أبو بكر عبد الرحمن بن اسماعيل الصابونى حدثنا والذى شيخ الاسلام أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن فذكره (وأخبرنا) قاضى القضاة عز الدين عبد الرحيم بن محمد بن الفرات الحنفى اجازة مشافهة أخبرنا محمود

ابن خليفة بن محمد بن خلف المنبجي اجازة اخبرنا الجلال عبد الرحمن بن احمد ابن عمر بن شكر بنصه قال

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله عليه وعلى آله واصحابه الكرام (أما بعد) فاني لما وردت آمد طبرستان وبلاد جيلان متوجها الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الكرام سألت اخواني في الدين أن أجمع لهم فصولا في أصول الدين التي استمسك بها الذين مضوا من أئمة الدين وعلماء المسلمين والسلف الصالحين وهدوا ودعوا الناس اليها في كل حين ونهوا عما يضادها وينافيها جملة المؤمنين المصدقين المتقين ورأوا في اتباعها وعادوا فيها وبدعوا وكفروا من اعتقد غيرها وأحرزوا لانفسهم ولمن دعواهم اليها بركتها وخيرها وافضوا الى ما قدموه من ثواب اعتقادهم لها واستمسكهم بها وإرشاد العباد اليها وحملهم اياهم عليها فاستخرت الله تعالى وأثبت في هذا الجزء ما تيسر منها على سبيل الاختصار رجاء ان ينفع به اولو الاباب والابصار والله سبحانه يحقق الظن ويجزل علينا المن بالتوفيق والاستقامة على سبيل الرشd والحق بيمينه وفضله: قلت وبالله التوفيق

أصحاب الحديث حفظ الله احياءهم ورحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة والنبوة ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله أو شهد له بها رسوله صلى الله عليه وسلم على ماوردت الاخبار الصحاح به ونقلته العدول الثقات عنه ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يعتقدون تشبيهها لصفاته بصفات خلقه فيقولون انه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه في قوله عز من قائل قال (يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي) ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليبدين على النعمتين او القوتين تحريف المعتزلة الجهمية أهلكتهم الله ولا يكيّفونهما بكيف أو تشبيههما بأيدي الخلقين تشبيه المشبهة خذلهم الله وقد اعاد الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكليف ومن عليهم

بالتعريف والتفهم حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه وتركوا القول بالتعليل والتشبيه واتبعوا قول الله عز وجل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الاخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والارادة والمشية والقول والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة والفرح والضحك وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات الربوبين المخلوقين بل ينتهون فيها الى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير زيادة عليه ولا اضافة اليه ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا ازالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر ويجرونه على الظاهر ويكون علمه الى الله تعالى ويقررون بان تأويله لا يعلمه الا الله كما اخبر الله عن الراسخين في العلم انهم يقولونه في قوله تعالى (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب)

ويشهد اصحاب الحديث ويعتقدون ان القرآن كلام الله وكتابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي ينزل به جبريل على الرسول صلى الله عليه وسلم قرآنا عربيا قوم يعلمون بشيرا ونذيرا كما قال عز من قائل (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) وهو الذي بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم امته كما أمر به في قوله تعالى (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك) فكان الذي بلغهم بأمر الله تعالى كلامه عز وجل وفيه قال صلى الله عليه وسلم آمنعوتني ان ابلاغ كلام ربي وهو الذي تحفظه الصدور وتتلوه الالسنه ويكتب في المصاحف كيف ما تصرف بقراءة قارىء ولا فظ لا فظ وحفظ حافظ وحيث تلى وفي أى موضع قرىء وكتب في مصاحف أهل الاسلام ألواح صبيانهم وغيرها كله كلام الله جل جلاله غير مخلوق فمن زعم انه مخلوق فهو كافر بالله العظيم . سمعت

الحاكم ابا عبد الله الحافظ يقول سمعت ابا الوليد حسان بن محمد يقول سمعت الامام ابا بكر محمد بن اسحق بن خزيمة يقول القرآن كلام الله غير مخلوق فمن قال ان القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم لا تقبل شهادته ولا يعاد ان مرض ولا يصلي عليه ان مات ولا يدفن في مقابر المسلمين ويستتاب فان تاب والا ضربت عنقه . فاما اللفظ بالقرآن فان الشيخ ابا بكر الاسماعيلي الجرجاني ذكر في رسالته التي صنفها لاهل جيلان أن من زعم ان لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فقد قال بخلق القرآن وذكر ابن مهدي الطبري في كتابه الاعتقاد الذي صنفه لاهل هذه البلاد أن مذهب أهل السنة والجماعة القول بان القرآن كلام الله سبحانه ووحيه وتنزيله وأمره ونهيه غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر بالله العظيم وأن القرآن في صدورنا محفوظ وبالسنتنا مقروء وفي مصاحفنا مكتوب وهو الكلام الذي تمكلم الله عز وجل به ومن قال ان القرآن بلفظي مخلوق أو لفظي به مخلوق فهو جاهل ضال كافر بالله العظيم . وانما ذكرت هذا الفصل بعينه من كتاب ابن مهدي لاستحساني ذلك منه فانه اتبع السلف أصحاب الحديث فيما ذكره مع تبحره في الكلام وتصانيفه الكثيرة فيه وتقدمه وتبرزه عند أهله اه

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال قرأت بخط أبي عمرو المستملى سمعت أبا عثمان سعيد بن اشكاب يقول سألت اسحاق بن ابراهيم عن اللفظ بالقرآن فقال لا ينبغي ان يناظر في هذا القرآن كلام الله غير مخلوق . وذكر محمد بن جرير الطبري رحمه الله في كتابه الاعتقاد الذي صنفه في هذه وقال: أما القول في الفاظ العباد بالقرآن فلا اثر فيه نعلمه عن صحابي ولا تابعي الا عن في قوله الغنى والشفاء وفي اتباعه الرشد والهدى ومن يقوم قوله مقام الائمة الاولى ابي عبد الله احمد بن حنبل رحمه الله فان ابا اسماعيل الترمذي حدثني قال سمعت ابا عبد الله احمد بن حنبل رحمه الله يقول اللفظية جهمية قال الله تعالى (فأجره حتى يسمع كلام الله) ممن يسمع . قال سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم

يذكرون عنه رضى الله عنه انه كان يقول من قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع: قال محمد بن جرير ولا قول في ذلك عندنا يجوز ان نقوله غير قوله اذ لم يكن لنا فيه امام نأتم به سواء وفيه الكفاية والمقنع وهو الامام المتبع رحمة الله عليه ورضوانه . هذه الفاظ محمد بن جرير التي نقلتها نفسها الى ما هاهنا من كتاب الاعتقاد الذي صنفه . قلت وهو أعنى محمد بن جرير قد نفى عن نفسه بهذا الفصل الذي ذكره في كتابه كل ما نسب اليه وقذف به من عدول عن سبيل السنة أو ميل الى شيء من البدعة والذي حكاه عن احمد رضى الله عنه وارضاه ان اللفظية جهمية فصحيح عنه وانما قال ذلك لان جهما وأصحابه صرحوا بخلق القرآن والذين قالوا باللفظ تدرجوا به الى القول بخلق القرآن وخافوا أهل السنة في ذلك الزمان من التصريح بخلق القرآن فذكروا هذا اللفظ وأرادوا به ان القرآن بلفظنا مخلوق فلذلك سماهم احمد رحمه الله جهمية . وحكي عنه أيضاً انه قال اللفظية شر من الجهمية

وأما ما حكاه محمد بن جرير عن احمد رحمه الله ان من قال لفظى بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع فانما أراد ان السلف من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ ولم يحوجهم الحال اليه وانما حدث الكلام في اللفظ من أهل التعمق وذوى الحق الذين أتوا بالمحدثات وبحثوا عما نهوا عنه من الضلالات وذميم المقالات وخاضوا فيما لم يخض فيه السلف من علماء الاسلام فقال الامام احمد هذا القول في نفسه بدعة ومن حق المتدين ان يدعه ولا يتفوه به ولا بمثله من البدع المبتدعة ويقتصر على ما قاله السلف من الاثمة المتبعة ان القرآن كلام الله غير مخلوق ولا يزيد عليه الا تسكفير من يقول بخلقه . اخبرنا الحاكم ابو عبيد الله الحافظ حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الخراجي بمرور حدثنا يحيى بن سالوكه عن ابيه عبد الكريم السندی قال قال وهب بن زمعة اخبرني الباساني قال سمعت عبد الله ابن المبارك يقول من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن ومن قال لأؤمن بهذا الكلام فقد كفر . ويعتقد أهل الحديث ويشهدون ان الله سبحانه وتعالى

فوق سبع سموات على عرشه كما نطق به كتابه في قوله عز وجل في سورة الاعراف (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه) وقوله في سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش) وقوله في سورة الفرقان (ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً) وقوله في سورة السجدة (ثم استوى على العرش) وقوله في سورة طه (الرحمن على العرش استوى) .
يثبتون له من ذلك ما أثبتته الله تعالى ويؤمنون به ويصدقون الرب جل جلاله في خبره ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من استوائه على العرش ويمرون على ظاهره ويكلون علمه الى الله ويقولون (آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب) كما أخبر الله تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون ذلك ورضيه منهم فائتي عليهم به .

اخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن ابراهيم بن محمد بن يحيى المعلى حدثني محمد بن داود بن سليمان الزاهد اخبرني علي بن محمد بن عبيد أبو الحسن الحافظ من أصله العتيق حدثنا أبو يحيى بن بشر الوراق حدثنا محمد بن الاشرس الوراق أبو كنانة حدثنا أبو المغيرة الحنفى حدثنا قرة بن خالد عن الحسن عن ابيه عن ام سلمة في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قالت الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والاقرار به ايمان والجحود به كفر . وحدثنا أبو الحسن بن اسحق المدني حدثنا احمد بن الخضر بن الحسن الشافعي حدثنا شاذان حدثنا ابن مخلد بن يزيد القهستاني حدثنا جعفر بن ميمون قال سئل مالك بن انس عن قوله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اراك الا ضالا وأمر به ان يخرج من مجلسه . اخبرنا أبو محمد المجلدي العدل حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن مسلم الاسفراييني حدثنا أبو الحسين علي بن الحسن حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر بن ميمون الرملي عن جعفر بن

عبدالله قال جاء رجل الى مالك بن أنس يعني يسأله عن قوله (الرحمن على العرش استوى) قال فما رأيت وجدا من شيء كوجده من مقالته وعلاه الرخصاء وأطرق القوم فجعلوا ينتظرون الامر به فيه ثم سرى عن مالك فقال الكيف غير معلوم والاستواء غير مجهول والایمان به واجب والسؤال عنه بدعة وأنا لاخاف أن تكون ضالا ثم أمر به فأخرج * أخبرنا به جدی أبو حامد احمد بن اسماعيل عن جد والدي الشهيد وأبو عبدالله محمد بن عدي بن حمدويه الصابوني حدثنا محمد بن احمد بن أبي عون النسوي حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا مهدي بن جعفر الرملي حدثنا جعفر بن عبدالله قال جاء رجل لمالك بن أنس فقال يا أبا عبدالله (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى قال فإريت مالك وجدا من شيء كوجده من مقالته وذكر بنحوه * وسئل ابو علي الحسين بن الفضل البجلي عن الاستواء وقيل له كيف استوى على عرشه فقال أنا لأعرف من أنباء الغيب إلا مقدار ما كشف لنا وقد أعلمنا جل ذكره انه استوى على عرشه ولم يخبرنا كيف استوى * أخبرنا أبو عبدالله الحافظ أخبرنا أبو بكر محمد بن داود الزاهد أخبرنا محمد ابن عبد الرحمن السامي حدثني عبدالله بن احمد بن شبيب المروزي سمعت علي بن الحسين بن شقيق يقول سمعت عبدالله بن المبارك يقول نعرف ربنا فوق سبع سموات على العرش استوى باثنا منه خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية انه هاهنا وأشار الى الارض . وسمعت الحاكم أبا عبدالله في كتابه التاريخ الذي جمعه لاهل نيسابور وفي كتابه معرفة الحديث اللذين جمعهما ولم يسبق الى مثلهما يقول سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هاني . يقول سمعت أبا بكر محمد بن اسحق ابن خزيمة يقول من لم يقل بأن الله عز وجل على عرشه فوق سبع سمواته فهو كافر بربه حلال الدم يستتاب فان تاب وإلا ضربت عنقه والقي على بعض المزابل حتى لا يتأذى المسلمون ولا المعاهدون بنين رائحة جيفته وكان ماله فيثا لا يرثه احد من المسلمين إذ المسلم لا يرث الكافر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى

كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تسكييف بل يثبتون ما أثبتته رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتهون فيه اليه ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكلمون علمه الى الله وكذلك يثبتون ما أنزله الله عز اسمه في كتابه من ذكر المجيء والاتيان المذكورين في قوله عز وجل (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) وقوله عز اسمه (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) وقرأت في رسالة الشيخ أبي بكر الاسماعيلي الى أهل جيلان ان الله سبحانه ينزل الى السماء الدنيا على ما صح به الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم : وقد قال الله عز وجل (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) وقال (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) ونؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف فلو شاء سبحانه أن يبين لنا كيفية ذلك فعل فأنهينا الى ما أحكمه وكففتنا عن الذي يتشابه إذ كنا قد أمرنا به في قوله عز وجل (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الالباب) .

أخبرنا أبو بكر بن زكريا الشيباني سمعت أبا حامد بن الشرقى يقول سمعت أحمد السلمي وأبادود الخفافى يقولان سمعنا اسحق بن ابراهيم الحنظلى يقول قال لي الامير عبد الله بن طاهر يا أبا يعقوب هذا الحديث الذى ترويه عن رسول الله صل الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا كيف ينزل قال قلت أعز الله الامير لا يقال لامر الرب كيف انما ينزل بلا كيف * حدثنا أبو يعقوب اسحق بن ابراهيم العدل حدثنا محبوب بن عبد الرحمن القاضى حدثنى أبو بكر بن احمد بن محبوب حدثنا احمد بن حمويه حدثنا ابو عبد الرحمن العباسى حدثنا محمد بن سلام سألت عبد الله بن المبارك عن نزول ليلة النصف من شعبان فقال عبد الله ياضعيف ليلة النصف ينزل في كل ليلة فقال الرجل يا أبا عبد الله كيف

ينزل أليس يخلو ذلك المكان منه فقال عبد الله ينزل كيف شاء وفي رواية أخرى لهذه الحكاية أن عبد الله بن المبارك قال للرجل إذا جاءك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصغ له . سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول سمعت ابراهيم بن ابي طالب يقول سمعت احمد بن سعيد بن ابراهيم بن عبد الله الرباطي يقول حضرت مجلس الامير عبد الله بن طاهر ذات يوم وحضر اسحق بن ابراهيم يعني ابن راهويه فسئل عن حديث النزول أصحيح هو قال نعم فقال له بعض قواد عبد الله يا أبا يعقوب أنزعم ان الله ينزل كل ليلة قال نعم قال كيف ينزل فقال له اسحق أثبتته فوق حتى أصف لك النزول فقال الرجل أثبتته فوق فقال اسحق قال الله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) فقال الامير عبد الله يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة فقال اسحق أعز الله الامير ومن يحيى ، يوم القيامة من بمنه اليوم . وخبر نزول الرب كل ليلة الى سماء الدنيا خبر متفق على صحته مخرج في الصحيحين من طريق مالك بن أنس عن الزهري عن الاغر وأبي سلمة عن أبي هريرة . أخبرنا ابو علي زاهر بن احمد حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد حدثنا ابو مصعب حدثنا مالك . وحدثنا ابو بكر بن زكريا حدثنا ابو حاتم على بن عبيدان حدثنا محمد بن يحيى قال ومما قرأت على ابن نافع وحدثني مطرف عن مالك رحمه الله وحدثنا ابو بكر بن زكريا أخبرنا ابو القاسم عبد الله بن ابراهيم ابن باكويه حدثنا يحيى بن محمد حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن ابن شهاب الزهري عن أبي عبد الله الاغر وأبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فاستجب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له »

ولهذا الحديث طرق الى أبي هريرة رواه الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رحمه الله ورواه يزيد بن هرون وغيره من الأئمة

عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ومالك عن الزهري عن الأعرج
عن أبي هريرة ومالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وعبيد الله
ابن عمر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة وعبد الأعلى بن أبي
المساور وبشير بن أبي سلمان عن أبي حازم عن أبي هريرة . ورواه نافع بن جبير
ابن مطعم عن أبيه وموسى بن عقبة عن اسحق بن يحيى عن عبادة بن الصامت
وعبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبد الله وعبيد الله بن أبي رافع
عن علي بن أبي طالب وشريك عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله
ابن مسعود ومحمد بن كعب بن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء وابو الزبير عن جابر
وسعيد بن جبير عن ابن عباس وعن أم المؤمنين عائشة وأم سلمة رضى الله عنهم .
وهذه الطرق كلها مخرجة بأسانيدھا في كتابنا الكبير المعروف بالانتصار وفي
رواية الاوزاعي عن يحيى بن كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا مضى نصف الليل أو ثلثاه ينزل الله الى
السماء الدنيا فيقول هل من سائل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من
مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح » . وفي رواية سعيد بن مرجانة عن
أبي هريرة زيادة في آخره وهي « ثم يسط يديه فيقول من يقرض غير معدوم
ولا ظلوم » . وفي رواية أبي حازم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم « ان الله ينزل الى سماء الدنيا في ثلث الليل الاخير فينادى هل من سائل
فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له فلا يبقى شيء فيه الروح الا علم به الا الثقلان الجن
والانس » قال وذلك حين تصبح الديكة وتنشق الحمير وتنبج الكلاب . وروى
هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن ميمون عن عطاء بن يسار
عن رفاعة الجهني حدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا مضى ثلث
الليل أو شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله الى السماء الدنيا فيقول لا أسأل من عبادي
غير من يستغفرني فأغفر له من يدعوني فأستجيب له من يسألني أعطيته حتى
ينفجر الصبح » . أخبرنا ابو محمد المجلدي أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا محمد

بن يحيى حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسراييل عن أبي اسحق عن أبي مسلم
 الاغر قال أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة أنهما شهدا على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأنا أشهد عليهما أنهما سمعا النبي صلى الله عليه وسلم يقول «إن الله يمهل
 حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول هبط الى السماء الدنيا فيقول هل من مذنب
 هل من مستغفر هل من سائل هل من داع حتى تطلع الشمس» * أخبرنا أبو محمد
 المجلدى حدثنا أبو العباس الثقفي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا شبابة بن ثوار
 عن يونس بن أبي اسحق عن أبي مسلم الاغر قال أشهد على أبي سعيد وأبي
 هريرة أنهما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله يمهل حتى إذا كان
 ثلث الليل هبط الى هذه السماء ثم أمر بأبواب السماء ففتحت فقال هل من سائل
 فأعطيه هل من داع فأجيبه هل من مستغفر فأغفر له هل من مضطرب فكشف عنه
 ضربه هل من مستغيث أغنيته فلا يزال ذلك مكانه حتى يطلع الفجر في كل ليلة من
 الدنيا» * أخبرنا أبو محمد المجلدى أنبأنا أبو العباس يعني الثقفي حدثنا مجاهد بن
 موسى والفضل بن سهل قالوا حدثنا يزيد بن هرون حدثنا سهل عن أبي اسحق
 عن الاغر أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أنه قال «إذا كان ثلث الليل نزل تبارك وتعالى الى السماء الدنيا فقال
 ألا هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى مؤله ألا هل من تائب يتاب
 عليه» * حدثنا الاستاذ أبو منصور بن حماد حدثنا أبو اسماعيل بن أبي الظما
 ببغداد حدثنا أبو منصور الرمادي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سهل عن
 أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينزل
 الله تعالى في كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول أنا الملك أنا الملك ثلاثاً من يسألني
 فأعطيه من يدعوني فاستجيب له من يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى
 يطلع الفجر» * سمعت الاستاذ أبا منصور على أثر هذا الحديث الذي أملاه
 علينا يقول سئل أبو حنيفة عنه فقال ينزل بلا كيف وقال بعضهم ينزل نزولا
 يليق بالربوبية بلا كيف من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق بل بالتجلى

والتلى لانه جل جلاله منزّه أن تكون صفاته مثل صفات الخلق كما كان منزهاً أن تكون ذاته مثل ذوات الخلق فمجيبه واتيانه ونزوله علي حسب مايليق بصفاته من غير تشبيه وكيف * وقال الامام أبو بكر محمد بن اسحق بن خزيمة في كتاب التوحيد الذي صنّفه وسمعت من حامده ابى طاهر رحمه الله تعالى

باب

ذكر أخبار ثابتة السند رواها علماء الحجاز والعراق في نزول الرب الى السماء الدنيا كل ليلة من غير صفة كيفية النزول مع اثبات النزول نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه متيقن بما في هذه الاخبار من ذكر النزول من غير أن نصف الكيفية لان نبينا صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا الى السماء الدنيا وأعلمنا انه ينزل والله عز وجل ولي نبيه صلى الله عليه وسلم بيان ما بالمسلمين اليه الحاجة من أمر دينهم فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الاخبار من ذلك النزول غير متكلفين للنزول بصفه الكيفية إذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف كيفية النزول * أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو محمد الصيدلاني حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا احمد بن صالح المصري حدثنا ابن وهب أنبأنا مخزومة بن بكير عن ابيه رحمه الله وأخبرنا الحاكم حدثنا محمد بن يعقوب الاصبم واللفظ له حدثنا ابراهيم بن حنيفة حدثنا ابن وهب عن مخزومة ابن بكير عن أبيه قال سمعت محمد بن المنكدر يزعم انه سمع أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول « نعم اليوم يوم ينزل الله تعالى فيه الى السماء الدنيا قالوا وأى يوم قالت يوم عرفة » * وروت عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت « ينزل الله تعالى في النصف من شعبان الى السماء الدنيا ليلا الى آخر النهار من الغد فيعتق من النار بعدد شعر معز بنى كلب ويكتب الحاج وينزل ازراق السنة ولا يترك أحداً إلا غفر له إلا مشركاً او قاطع رحم او عاقاً او مشاحناً » * أخبرنا ابو طاهر بن خزيمة حدثنا جدي الامام حدثنا

الحسن بن محمد الزعفراني حدثنا اسماعيل بن عليّة عن هشام الدستوائي (ح) قال الامام وحدثنا الزعفراني عبد الله بن بكر السهمي حدثنا هشام الدستوائي (ح) وحدثنا الزعفراني حدثنا يزيد يعني ابن هرون الدستوائي (ح) وحدثنا محمد بن عبد الله بن ميمون بالاسكندرية حدثنا الوليد عن الازاعي جميعهم عن يحيى بن أبي كثير عن عطاء بن يسار حدثني رفاعة بن عرابة الجهني (ح) قال الامام وحدثنا ابو هشام بن زياد بن ايوب حدثنا مبشر بن اسماعيل الحلي عن الازاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار حدثني رفاعة بن عرابة الجهني قال صدرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فجعلوا يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يأذن لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ما بال شق الشجرة الذي يلي النبي صلى الله عليه وسلم أبغض إليكم من الآخر فلا يرى من القوم إلا باكيًا قال يقول ابو بكر الصديق ان الذي يستأذنك بعدها لسفيه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه وكان اذا حاف قال والذي نفسي بيده أشهد عند الله مامنكم من أحد يؤمن بالله واليوم الآخر ثم يسدد الا سلك به في الجنة ولقد وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب واني لأرجو أن لا يدخلوها حتى يؤمنوا ومن صلح من أزواجهم وذرياتهم يساكنكم في الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اذا مضى شطر الليل أو قال ثلثاء ينزل الله الى السماء الدنيا ثم يقول لا أسأل عن عبادي غيري من ذا الذي يسألني فأعطيته من ذا الذي يدعوني فأجيبه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له حتى ينفجر الصبح » هذا لفظ حديث الوليد .

قال شيخ الاسلام قلت فلما صح خبر النزول عن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر به أهل السنة وقبلوا الخبر وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعتقدوا تشبيهاً له بنزول خلقه وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله سبحانه لا تشبه صفات الخلق كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عما يقول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً واعنهم لعنا كثيراً . وقرأت لابي عبد الله

ابن ابي حفص البخاري وكان شيخ بخاري في عصره بلا مدافعة و ابو حفص كان من كبار اصحاب محمد بن الحسن الشيباني قال ابو عبد الله اعنى ابن ابي حفص هذا عبد الله بن عثمان وهو عبدان شيخ مرو يقول سمعت محمد بن الحسن الشيباني يقول قال حماد بن ابي حنيفة قلنا لهؤلاء ارايتهم قول الله عز وجل (وجاء ربك والملك صفا صفا) قالوا اما الملائكة فيجئون صفا صفا واما الرب تعالى فانا لا ندرى ما عني بذلك ولا ندرى كيفية مجيئه فقلت لهم انا لم نكلفكم ان تعلموا كيف جيئته ولكننا نكلفكم ان تؤمنوا بمجيئه ارايتهم من انكر ان الملك لا يجي صفا صفا ما هو عندهم قالوا كافر مكذب قلت فكذلك ان انكر ان الله سبحانه لا يجي فهو كافر مكذب * قال ابو عبد الله ابن ابي حفص البخاري ايضا في كتابه ذكر ابراهيم عن الاشعث قال سمعت الفضيل بن عياض يقول اذا قال لك الجهمي انا لا نؤمن برب ينزل عن مكانه فقل انت انا اؤمن برب يفعل ما يشاء * وروى يزيد بن هرون في مجلسه حديث اسماعيل بن ابي خالد عن قيس بن ابي حازم عن جرير بن عبد الله في الرؤية وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « انكم تنظرون الى ربكم كما تنظرون الى القمر ليلة البدر » فقال له رجل في مجلسه يا ابا خالد ما معنى هذا الحديث فغضب وحرده وقال ما اشبهك بصبيغ واحوجك الى مثل ما فعل به ويلك ومن بدرى كيف هذا ومن يجوز له ان يجاوز هذا القول الذي جاء به الحديث او يتكلم فيه بشيء من تلقاء نفسه الا من سغه نفسه واستخف بدينه اذا سمعتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعوه ولا تبدلوا فيه فانكم ان اتبعتموه ولم تماروا فيه سلمتم وان لم تفعلوا هلكتم: وقصة صبيغ الذي قال يزيد بن هرون لاسائل ما اشبهك بصبيغ واحوجك الى مثل ما فعل به هي ما رواه يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ان صبيغا التميمي اتى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن (الذاريات ذروا) قال هي الرياح ولولا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما قلته قال فاخبرني عن (الحاملات وقرا) قال هي السحاب ولولا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما قلته قال فاخبرني

عن (المقسمات أمراً) قال الملائكة ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته قال فاخبرني عن (الجاريات يسرا) قال هي السفن ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته قال ثم أمر به فضرب مائة سوط ثم جعله في بيت حتى اذا برأ دعا به ثم ضربه مائة سوط أخرى ثم حمله على قتب وكتب الى ابني موسى الاشعري أن حرم عليه مجالسة الناس فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى الأشعري فخاف بالايمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجده شيئاً فكتب عمر اليه ما أخاله الا قد صدق خل بينه وبين مجالسة الناس * وروى حماد بن زيد عن قطن بن كعب سمعت رجلاً من بني عجل يقال له فلان خلته ابن زرة يحدث عن أبيه قال رأيت صبيغ بن عثل بالبصرة كأنه بغير أجرب يحجي الى الخلق فكلما جلس إلى قوم لا يعرفونه ناداهم أهل الحلقة الاخرى عزمة أمير المؤمنين * وروى حماد بن زيد أيضاً عن يزيد بن أبي حازم عن سليمان بن يسار أن رجلاً من بني تميم يقال له صبيغ قدم المدينة فكانت عنده كتب فجعل يسأل عن متشابه القرآن فبلغ ذلك عمر فبعث اليه وقد أعد له عراجين النخل فلما دخل عليه جلس فقال من أنت قال أنا عبد الله صبيغ قال وأنا عبد الله عمر ثم أهوى اليه فجعل يضربه بتلك العراجين فما زال يضربه حتى شجه فجعل الدم يسيل على وجهه فقال حسبك يا أمير المؤمنين فقد والله ذهب ما كنت أجدر في رأسي * أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي أخبرنا محمد بن محمود الفقيه المروزي بها حدثنا محمد بن عمير الرازي حدثنا أبو زكريا يحيى بن ايوب العلاف التميمي بمصر حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا أشهب بن عبد العزيز سمعت مالك بن انس يقول إياكم والبدع قيل يا أبا عبد الله وما البدع قال أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته لا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون * أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن عمر الزاهد الخفاف أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي الفقيه حدثنا الربيع بن سليمان سمعت الشافعي رحمه الله يقول لان القاه بكل ذنب ما خلا الشرك أحب الى من أن القاه

بشيء من الأهواء. أخبرني أبو طاهر محمد بن الفضل حدثنا أبو عمر والخيبري حدثنا
أبو الأزر حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ابن جعفر برقان قال سأل رجل عمر بن عبد
العزیز عن شيء من الأهواء فقال الزم دين الصبي في الكتاب والاعرابي والله عما
سوى ذلك. أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا محمد بن يزيد سمعت أبا يحيى القزاز
يقول سمعت العباس بن حمزة يقول سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول سمعت
سفيان بن عيينة يقول كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته
والسكوت عنه. أخبرنا أبو الحسين الحفاف حدثنا أبو العباس محمد بن اسحاق
السرّاج حدثنا اسماعيل بن أبي الحرث حدثنا الهيثم بن خارجة سمعت الوليد بن
مسلم قال سألت الأوزاعي وسفيان ومالك بن أنس عن هذه الأحاديث في
الصفات والرؤية قال أروها كما جاءت بلا كيف. قال الامام الزهري امام الائمة
في عصره وعين علماء الامة في وقته على الله البيان وعلى الرسول البلاغ وعلينا
التسليم. وعن بعض السلف قدم الاسلام لا يثبت الا على قنطرة التسليم. أخبرنا
أبو طاهر بن خزيمة حدثنا جدي الامام احمد بن نصر حدثنا أبو يعقوب الحسن
حدثنا كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم «ان هذا الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء قيل يا رسول
الله ومن الغرباء قال الذين يحيون سنتي من بعدى ويعلمونها عباد الله». أخبرنا عبد الله
الحافظ سمعت أبا الحسن المسكاري يقول سمعت علي بن عبد العزيز يقول سمعت
أبا القاسم بن سلام يقول المتبع للسنة كالقالبض على الجمر وهو اليوم عندي أفضل
من ضرب السيف في سبيل الله. وروى عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق
قال دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لم
يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم قال عز وجل لنبيه
صلى الله عليه وسلم (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) أخبرنا
عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس المعقلي حدثنا احمد بن عبد الجبار العطاردي
حدثني أبي وعبد الرحمن الضبي عن القاسم بن عروة عن محمد بن كعب القرظي

قال دخلت على عمر بن العزيز فجعلت أنظر اليه نظراً شديداً فقال انك لتنظر الى
نظراً ما كنت تنظره الى وأنا بالمدينة فقال تعجبي فقال ومم تعجب قال قلت وما
حال من لونك ونحل من جسمك ونقي من شعرك قال كيف ولو رأيته بعد ثلاثة
في قبوري وقد سالت حدثائي على وجنتي وسال منخراي في في صديداً كنت لي
أشد نكرة ، حدثني حديثاً كنت حدثتني به عن عبد الله بن عباس قال قلت
حدثني عبد الله بن عباس يرفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
« لكل شيء شرف وأشرف المجالس ما استقبل به القبلة لا تصلوا خلف نائم
ولا يحدثوا قبلوا الحية والعقرب وان كنتم في صلاتكم ولا تستروا الجدر بالثياب
ومن نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر في النار ألا أنبئكم بشراركم قالوا
بلى يا رسول الله قال الذي يجلد عبده ويمنع رفقته وينزل وحده أفلا أنبئكم بشر
من ذلکم الذي يبغض الناس ويبغضونه أفلا أنبئكم بشر من ذلکم الذي لا يقبل
عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنباً أفلا أنبئكم بشر من ذلکم الذي لا يرجو
خيره ولا يؤمن شره من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن
أحب أن يكون أغني الناس فليكن بما في يده الله أوثق منه بما في يد غيره ومن أحب
أن يكون أكرم الناس فليثق بالله ان عيسى عليه السلام قام في قومه فقال يا بني
اسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ولا
تظلموا ولا تكافئوا ظالماً بظلمه فيبطل فضلكم عند ربكم الأمور ثلاثة أمر بين
رشدته فاتبعوه وأمر بين غيه فاجتنبوه وأمر اختلافتم فيه فكلوه لله عز وجل »
ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة وبكل ما أخبر
الله سبحانه من أهوال ذلك اليوم الحق واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما
يروونه ويلقونه هنالك في ذلك اليوم الهائل من أخذ الكتب بالآيمان والشمالك والاجابة
عن المسائل الى سائر الزلازل والبلابل الموعودة في ذلك اليوم العظيم والمقام الهائل
من الصراط والميزان ونشر الصحف التي فيها ما قيل من الخير والشر وغيرها *
ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعته الرسول صلى الله عليه وسلم للمذنب أهل التوحيد

ومرتکبي الکبائر كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا
ابو سعید بن حمدون أنبأنا ابو حامد بن الشرقي حدثنا احمد بن يوسف السلمي
حدثنا عبد الرازق أنبأنا معمر عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
« شفاعتی لاهل الکبائر من أمتی » وأخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد أخبرنا محمد
ابن المسيب الاغیانی حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبد السلام بن حرب الملائی
عن زياد بن خيشمة عن نعمان بن قراد عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « خیرت بین الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتی الجنة فاخترت
الشفاعة لانها أعم وأکفی أترونها المؤمنین المتقين لا ولكنها للمذنبین المتلوثین
« الخطائین » » أخبرنا أبو محمد المجلدی أخبرنا ابو العباس السراج حدثنا قتيبة
ابن سعید حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو (ح)
وأخبرنا ابو طاهر بن خزيمة أخبرنا جدی الامام محمد بن اسحق بن خزيمة
حدثنا علي بن حجر بن اسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو عن سعید بن أبي
سعید المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك
يوم القيامة فقال « لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت
من حرصك على الحديث ان أسعد الناس بشفاعتی يوم القيامة من قال لا اله الا
الله خالصا من قبل نفسه »

ويؤمنون بالحوض والکوتر وادخال فريق من الموحدين الجنة بغير حساب
ومحاسبة فريق منهم حسابا يسيرا وادخالهم الجنة بغير سوء يسهم وعذاب
يلحقهم وادخال فريق من مذنبهم النار ثم اعتاقهم أو إخراجهم منها والحاقهم
بأخوانهم الذين سبقوهم اليها ولا يخلدون في النار فلما الكفار فانهم يخلدون
فيها ولا يخرجون منها أبدا ولا يترك الله فيها من عصاة اهل الايمان احدا *

ويشهد اهل السنة ان المؤمنین يرون ربهم تبارك وتعالى بابصارهم وينظرون
اليه على ماورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « انکم
تروون ربکم كما ترون القمر ليلة البدر » والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية لا للمرئي

والاخبار الواردة في الرؤية مخرجة في كتاب الانتصار بطرقها
ويشهد اهل السنة ان الجنة والنار مخلوقتان وانهما باقيتان لا يفنيان ابداً
وان اهل الجنة لا يخرجون منها ابداً وكذلك اهل النار الذين هم اهلها خلقوا لها
لا يخرجون ابداً وان المنادي ينادى يومئذ يا اهل الجنة خلود ولا موت ويا اهل
النار خلود ولا موت على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم *

ومن مذهب اهل الحديث ان الايمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة
وينقص بالمعصية قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق سألت أبا عبد الله احمد
ابن حنبل رحمه الله عن الايمان في معنى الزيادة والنقصان فقال حدثنا الحسن بن
موسى الاشيب حدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عن عمر بن
حبیب قال الايمان يزيد وينقص فقل وما زيادته وما نقصانه قال اذا ذكرنا الله
فحمدناه وسبحناه فذلك زيادته واذا غفلنا وضيعنا ونسينا فذلك نقصانه: أخبرنا
ابو الحسن بن أبي اسحق المزكي حدثنا أبي حدثنا أبو عمرو الحيري حدثنا محمد بن
يحيى الذهلي ومحمد بن إدريس المكي واحمد بن شداد الترمذي قالوا حدثنا الحميدي
حدثنا يحيى بن سليم سألت عشرة من الفقهاء عن الايمان فقالوا قول وعمل * وسألت
هشام بن حسان فقال قول وعمل * وسألت ابن جرير فقال قول وعمل * وسألت
سفيان الثوري فقال قول وعمل * وسألت المثني بن الصباح فقال قول وعمل *
وسألت محمد بن مسلم الطائفي فقال قول وعمل * وسألت فضيل فقال قول
وعمل * وسألت نافع بن عمر الجمحي فقال قول وعمل * وسألت سفيان بن
عيينة فقال قول وعمل * وأخبرنا أبو عمرو الحيري حدثنا محمد بن يحيى ومحمد
بن إدريس سمعت الحميدي يقول سمعت سفيان بن عيينة يقول الايمان
قول وعمل يزيد وينقص فقال له أخوه ابراهيم بن عيينة يا أبا محمد تقول
ينقص فقال اسكت يا صبي بل ينقص حتى لا يبقى منه شيء * وقال الوليد بن
مسلم سمعت الاوزاعي ومالكاً وسعيد بن عبد العزيز ينكرون على من يقول

إقرار بلا عمل ويقولون لا ايمان إلا بعمل قلت فمن كانت طاعاته وحسناته أكثر فانه أكمل ايمانا ومن كان قليل الطاعة كثير المعصية والغفلة والاضاعة فايامانه ناقص * (سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ) يقول سمعت أبا بكر محمد ابن احمد بن باكويه الحلاب يقول سمعت أبا بكر محمد بن اسحق بن خزيمة يقول سمعت احمد بن سعيد الرباطي يقول قال لي عبد الله بن طاهر يا أحمد أنكم تبغضون هؤلاء القوم جهلا وأنا أبغضهم عن معرفة اولاء انهم لا يرون للسلطان طاعة واثناني انه ليس للايمان عندهم قدر والله لا أستجيز أن أقول إيمانى كإيمان يحيى بن يحيى ولا كإيمان احمد بن حنبل وهم يقولون إيماننا كإيمان جبرائيل وميكائيل * وسمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هاني يقول سمعت أبا بكر محمد بن شعيب يقول سمعت اسحق بن ابراهيم الحنظلي يقول قدم ابن المبارك الرى فقام اليه رجل من العباد الظن انه يذهب مذهب الخوارج فقال له يا أبا عبد الرحمن ما تقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر قال لا أخرجه من الايمان فقال يا أبا عبد الرحمن على كبر السن صرت مرجئا فقال لا تقبلنى المرجئة المرجئة تقول حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة ولو علمت انى قبلت منى حسنة لشهدت انى في الجنة ثم ذكر عن أبي شوذب عن سلمة بن كهيل عن هذيل بن شرحبيل قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الارض لرجح * (سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله) بن محمد بن زكريا الشيباني يقول سمعت يحيى بن منصور القاضى يقول سمعت محمد بن اسحق ابن خزيمة يقول سمعت الحسين بن حرب أخا احمد بن حرب الزاهد يقول أشهد أن دين احمد بن حرب الذى يدين الله به ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص *

ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وان اذنب ذنوبا كثيرة صفات وكبائر فانه لا يكفر بها وإن خرج من الدنيا غير تائب تائب منها ومات على التوحيد والاخلاص فان أمره الى الله عز وجل ان شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالما غانما

غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه ثم استصحبه الى يوم القيامة من الآثام والاوزار وان شاء عفا عنه وعذبه مدة بعذاب النار واذا عذبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها الى نعيم دار القرار

وكان شيخنا سهل بن محمد رحمه الله يقول المؤمن المذنب وإن عذب بالنار فإنه لا يلقي فيها القاء الكفار ولا يبقى فيها بقاء الكفار ولا يشقى فيها شقاء الكفار . ومعنى ذلك ان الكافر يسحب على وجهه الى النار ويلقى فيها منكوساً في السلاسل والاغلال والانكال الثقـال والمؤمن المذنب اذا ابتلى بالنار فإنه يدخل النار كما يدخل المجرم في الدنيا السجن على الرجل من غير القاء وتنكيس . ومعنى قوله لا يلقي في النار القاء الكفار ان الكافر يحرق بدنه كله كلما نضج جلده بدل جلد آخر غيره ليندوق العذاب كما بينه الله في كتابه في قوله تعالى (ان الذين كفروا باً يأتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليندوقوا العذاب) : وأما المؤمنون فلا تلفح وجوههم النار ولا تحرق أعضاء السجود منهم إذ حرم الله على النار أعضاء سجوده . ومعنى قوله لا يبقى في النار بقاء الكفار ان الكافر يخلد فيها ولا يخرج منها أبداً ولا يخلد الله من مذنب المؤمنين في النار أحداً . ومعنى قوله لا يشقى بالنار شقاء الكفار ان الكفار يئأسون فيها من رحمة الله ولا يرجون راحة بحال وأما المؤمنون فلا ينقطع طمعهم من رحمة الله في كل حال وعاقبة المؤمنين كلهم الجنة لأنهم خلقوا لها وخلقت لهم فضلاً من الله ومنه

واختلف أهل الحديث في ترك المسلم صلاة الفرض متعمدا فكفره بذلك احمد بن حنبل وجماعة من علماء السلف وأخرجوه به من الاسلام للخبر الصحيح « بين العبد والشرك ترك الصلاة فمن ترك الصلاة فقد كفر » وذهب الشافعي وأصحابه وجماعة من علماء السلف رحمة الله عليهم أجمعين الى انه لا يكفر مادام معتقداً لوجوبها وإنما يستوجب القتل كما يستوجب المرتد عن الاسلام وتأولوا الخبر من ترك الصلاة جاحداً كما أخبر سبحانه عن يوسف عليه السلام انه قال

(اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) ولم يك تلبس بكفر فارقه ولكن تركه جاحداً له *

ومن قول أهل السنة والجماعة في اكساب العباد انها مخلوقة لله تعالى لا يمترون فيه ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه ويشهدون ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء عنه لاجبة لمن أضله الله عليه ولا عذر له لديه : قال الله عز وجل (قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهذاكم أجمعين) وقال (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني) الآية وقال (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس) الآية : سبحانه وتعالى خلق الخلق بلا حاجة اليهم فجعلهم فرقتين فريقاً للنعيم وفريقاً للجهنم عدلاً وجعل منهم غوياً ورشيداً وشقياً وسعيداً وقريباً من رحمته وبعيداً لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون * أخبرنا أبو محمد المجلدي أخبرنا أبو محمد العباس السراج حدثنا يوسف عن موسى أخبرنا جرير عن الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكاً بأربع كلمات رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد فوالذي نفسي بيده ان أحدكم لي عمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ثم يدركه ما سبق له في الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها »

ويشهد أهل السنة ويعتقدون ان الخير والشر والنفع والضرر بقضاء الله وقدره لا مرد لهما ولا محيص ولا محيد عنهما ولا يصيب المرء إلا ما كتب له ربه ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله له لم يقدروا عليه ولو جهدوا أن يضرروه بما لم يقضه الله لم يقدروا . على ما ورد به الخبر عن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : وقال الله عز وجل (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) الآية

ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم مع قولهم بأن الخير والشر من الله وبقضائه لا يضاف الى الله تعالى ما يتوهم منه نقص على الانفراد فلا يقال يا خالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان وان كان لا مخلوق الا والرب خالقه وفي ذلك ورد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستفتاح «تباركت وتعاليت والخير في يديك والشر ليس اليك» ومعناه والله أعلم والشر ليس مما يضاف اليك إفراداً وقصداً حتى يقال لك في المناداة يا خالق الشر او يا مقدر الشر وان كان هو الخالق والمقدر لها جميعاً لذلك أضاف الخضر عليه السلام ارادة العيب الى نفسه فقال فيما أخبر الله عنه في قوله (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيها) ولما ذكر الخير والبر والرحمة أضاف ارادتها الى الله عز وجل فقال (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) ولذلك قال مخبراً عن ابراهيم عليه السلام انه قال (واذا مرضت فهو يشفين) فأضاف المرض الى نفسه والشفاء الى ربه وان كان الجميع منه *

ومن مذهب أهل السنة والجماعة ان الله عز وجل يريد لجميع أعمال العباد خيرا وشرها لم يؤمن أحد الا بمشيئته ولم يكفر أحد إلا بمشيئته ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولو شاء أن لا يعصى ما خلق ابليس : فكفر الكافرين وایمان المؤمنين بقضائه سبحانه وتعالى وقدره وارادته ومشيئته أراد كل ذلك وشاءه وقضاه ويرضى الايمان والطاعة ويسخط الكفر والمعصية قال الله عز وجل (ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفروا) وتشكروا يرضه لكم) * ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث ان عواقب العباد مبهمه لا يدري أحد بم يختم له ولا يحكمون لواحد بعينه انه من أهل الجنة ولا يحكمون على أحد بعينه انه من أهل النار لان ذلك مغيب عنهم لا يعرفون على ما يموت عليه الانسان ولذلك يقولون انا مؤمنون ان شاء الله * ويشهدون لمن مات على الاسلام ان عاقبته الجنة فان الذين سبق القضاء عليهم من الله انهم يعذبون بالنار مدة لدنوبهم

التي اكتسبوها ولم يتوبوا منها فانهم يردون أخيراً الى الجنة ولا يبقى أحد في النار من المسلمين فضلاً من الله ومنه ومن مات والعياذ بالله على الكفر فردّه الى النار لا ينجو منها ولا يكون لمقامه فيها منتهى . فأما الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه بأعيانهم بأنهم من أهل الجنة فإن أصحاب الحديث يشهدون لهم بذلك تصديقاً للرسول صلى الله عليه وسلم فيما ذكره ووعدده لهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يشهد لهم بها إلا بعد أن عرف ذلك والله تعالى أطلع رسوله صلى الله عليه وسلم على ما شاء من غيبه وبيان ذلك في قوله عز وجل (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول) وقد بشر صلى الله عليه وسلم عشرة من أصحابه بالجنة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة بن الجراح وكذلك قال لثابت بن قيس بن شماس أنت من أهل الجنة قال أنس بن مالك فلقد كان يمشي بين أظهرنا ونحن نقول انه من أهل الجنة *

ويشهدون ويعتقدون ان افضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وانهم الخلفاء الراشدون الذين ذكر صلى الله عليه وسلم خلافتهم بقوله فيما رواه سعيد بن نبهان عن سفينة « الخلافة بعدي ثلاثون سنة » وبعد انقضاء أيامهم عاد الامر الى الملك العضوض على ما أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم * وثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم باختيار الصحابة واتفاقهم عليه وقولهم قاطبة رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فرضيناه لديانا وقولهم قد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يؤخره وأرادوا أنه صلى الله عليه وسلم قدمك في الصلاة بنا أيام مرضه فصلينا وراءك بأمره فمن ذا الذي يؤخره بعد تقديمه إياك . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في شأن أبي بكر في حال حياته بما يبين للصحابة انه أحق الناس بالخلافة بعده فلذلك اتفقوا عليه واجتمعوا فانتفعوا بمكانه والله وارفعوا به وارفعوا حتى قال أبو هريرة رضى الله عنه والله

الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف لما عبد الله: ولما قيل له مه يا أبا هريرة قام بحجة صحة قوله فصدقوه فيه وأقروا به * ثم خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه إياه واتفاق الصحابة عليه بعده وإنجاز الله سبحانه بمكانه في اعلاء الاسلام واعظام شأنه وعده * ثم خلافة عثمان رضي الله عنه بإجماع أهل الشورى واجماع الاصحاب كافة ورضاهم به حتى جعل الأمر إليه * ثم خلافة علي رضي الله عنه ببيعة الصحابة إياه وعرفه ورآه كل منهم رضي الله عنه أحق الخلق وأولاهم في ذلك الوقت بالخلافة ولم يستجيزوا عصيانه وخلافه فكان هؤلاء الاربعة الخلفاء الراشدين الذين نصر الله بهم الدين وقهر وقسر بمكانهم للملحدين وقوى بمكانهم الاسلام ورفع في أيامهم للحق الأعلام ونور بضياءهم ونورهم وبهائم الظلام وحق بخلافتهم وعده السابق في قوله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) الآية وفي قوله (أشداء على الكفار) فمن أحبهم توولاهم ودعا لهم ورعى حقهم وعرف فضلهم فاز في الفائزين ومن أبغضهم وسبهم ونسبهم الى ما تنسبهم الروافض والخوارج لعنهم الله فقد هلك في الهالكين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله » وقال « من أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن سبهم فعليه لعنة الله »

ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرها من الصلوات خلف كل امام مسلم برأ كان أو فاجراً : ويرون جهاد الكفرة معهم وان كانوا جورة فجرة ويرون الدعاء لهم بالاصلاح والتوفيق والصلاح ولا يرون الخروج عليهم وان رأوا منهم العدول عن العدل الى الجور والحيف . ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع الى طاعة الامام العدل ويرون الكف عما شجر بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطهير الاسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم . ويرون الترحم على جميعهم والموالاتة لكافتهم . وكذلك يرون تعظيمهم قدر

أزواجه رضى الله عنهم والدعاء لهم ومعرفة فضلهم والاقرار بأنهم أمهات المؤمنين * ويعتقدون ويشهدون أن أحداً لا ينجب له الجنة وإن كان عمله حسناً وطريقه مرتضى إلا أن يتفضل الله عليه فيوجبها له بمنه وفضله إذ عمل الخير الذي عمله لم يتيسر له إلا بتيسير الله عز اسمه فلو لم ييسره له لم يهد له أبداً قال الله عز وجل (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء) في آيات سواها *

ويعتقدون ويشهدون أن الله عز وجل أجل لكل مخلوق أجلاً وإن نفساً إن تموت إلا بأذن الله كتاباً مؤجلاً وإذا انقضى أجل المرء فليس إلا الموت وليس له عنه فوت قال الله عز وجل (ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وقال (وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتاباً مؤجلاً) * ويشهدون أن من مات أو قتل فقد انقضى أجله قال الله عز وجل (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) * ويقتنون أن الله سبحانه خلق الشياطين يوسوسون للآدميين ويعتدون استزلالهم ويطردون لهم قال الله عز وجل (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن اطعتموهم انتم لمشركون) . وإن الله يسلبهم على من يشاء ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء قال الله عز وجل (واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركه في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا) وقال (إنه ليس لك سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه) الآية

ويعتقدون أن في الدنيا سحراً وسحرة إلا أنهم لا يضررون أحداً إلا بأذن الله قال الله عز وجل (وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله) ومن سحر منهم واستعمل السحر واعتقد أنه يضر أو ينفع بغير إذن الله تعالى فقد كفر . وإذا وصف ما يكفر به استتيب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وإن وصف ما ليس بكفر

او تسكلم بما لا يفهم نهي عنه فان عذر . وان قال السحر ليس بحرام وانا اعتقد اباحته وجب قتله لانه استباح ما اجمع المسلمون على تحريمه .

ويحرم اصحاب الحديث المسكر من الاشرية المتخذة من العنب او الزيت او التمر او العسل او الذرة او غير ذلك مما يسكر يحرمون قليله وكثيره ويجتنبونه ويوجبون به الحد * ويرون المسارعة الى اداء الصلوات واقامتها في اوائل الاوقات افضل من تأخيرها الى آخر الاوقات . ويوجبون قراءة فاتحة الكتاب خلف الامام ويأمرون بأتمام الركوع والسجود حتما واجبا ويعدون اتمام الركوع والسجود بالطمأنينة فيها والارتفاع من الركوع والانتصاب منه والطمأنينة فيه وكذلك الارتفاع من السجود والجلوس بين السجدين مطمئين فيه من اركان الصلاة التي لا تصح الا بها . ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام وبصلة الارحام وافشاء السلام واطعام الطعام والرحمة على الفقراء والمساكين والايتام والاهتمام بأمور المسلمين والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والبدار الى فعل الخيرات اجمع . ويتحاجون في الدين ويتباغضون فيه ويتقون الجدل في الله والخصومات فيه ويتجانبون اهل البدع والضلالات ويعادون اصحاب الالهواء والجهالات . ويققدون بالسلف الصالحين من ائمة الدين وعلماء المسلمين ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين . ويبغضون اهل البدع الذين احدثوا في الدين ما ليس منه ولا يحبونهم ولا يصحبونهم ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم ويرون صون آذانهم عن سماع اباطيلهم التي اذا مرت بالاذان وقرت في القلوب ضرت وجرت اليها الوسوس والخطرات الفاسدة . وفيه انزل الله عز وجل قوله (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتي يخوضوا في حديث غيره) وعلامات البدع على اهلها بادية ظاهرة واظهرا ياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحجة اخبار النبي صلى الله عليه وسلم واحتقارهم لهم وتسميتهم اياهم حشوية وجهلة وظاهرية ومشبهة اعتقاداً منهم

في اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم انها بمعزل عن العلم وان العلم ما يليق به
الشیطان اليهم من نتائج عقولهم الفاسدة ورساوس صدورهم المظلمة وهو اجس
قلوبهم الخالية من الخير وحججهم العاطلة بل شبههم الداحضة الباطلة . أو ائلك
الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى ابصارهم . ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله
يفعل ما يشاء * سمعت الحاكم ابا عبد الله الحافظ يقول سمعت ابا علي الحسين
ابن علي الحافظ يقول سمعت جعفر بن احمد بن مناف الواسطي يقول سمعت
احمد بن سنان القطاف يقول ليس في الدنيا مبتدع الا وهو يبغض اهل الحديث
فاذا ابتدع الرجل نزعت حلاوة الحديث من قلبه * وسمعت الحاكم يقول
سمعت ابا الحسن محمد بن احمد الحنظلي ببغداد يقول سمعت محمد بن اسماعيل
الترمذي يقول كنت انا واحمد بن الحسن الترمذي عند امام الدين ابني عبد الله
احمد بن حنبل فقال له احمد بن الحسن يا ابا عبد الله ذكروا لابن ابني قتيلة بمكة
اصحاب الحديث فقال اصحاب الحديث قوم سوء فقام احمد بن حنبل وهو
ينفض ثوبه ويقول زنديق زنديق حتى دخل البيت * وسمعت الحاكم
أبا عبد الله يقول سمعت ابا نصر احمد بن سهل الفقيه ببخارى يقول سمعت ابا نصر
ابن سلام الفقيه يقول ليس شيء اثقل على اهل الاحاد ولا ابغض اليهم من سماع
الحديث وروايته باسناده وسمعت الحاكم يقول سمعت الشيخ ابا بكر احمد بن
اسحق بن ايوب الفقيه وهو يناظر رجلا فقال الشيخ ابو بكر حدثنا فلان فقال
له الرجل دعنا من حدثنا الى متى حدثنا فقال الشيخ له قم يا كافر فلا يحل لك
ان تدخل داري بعد هذا ابدأ ثم التفت اليها وقال ما قلت لاحد ما تدخل داري
الا هذا * سمعت ابا منصور محمد بن عبد الله بن حماد العالم الزاهد يقول سمعت ابا
القاسم جعفر بن احمد المقرئ الرازي يقول قرأ على عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي وانا
اسمع سمعت ابني يقول غني به الامام في بلده اباه ابا حاتم محمد بن ادريس الحنظلي
الرازي يقول علامة أهل البدع الوقعة في اهل الاثر وعلامة الزنادقة تسميتهم اهل
الاثر خشوية يريدون بذلك إبطال الاثر وعلامة القدرية تسميتهم اهل السنة مجبرة

وعامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة وعامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبية قلت وكل ذلك عصبية ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث . قلت أنا رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنهم اقتسموا القول فيه فسماه بعضهم ساحراً وبعضهم كاهناً وبعضهم شاعراً وبعضهم مجنوناً وبعضهم مفتوناً وبعضهم مفتر يا مختلفاً كذاباً وكان النبي صلى الله عليه وسلم من تلك المعائب بعيداً بريئاً ولم يكن إلا رسولاً مصطفى نبياً قال الله عز وجل (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً) كذلك المبتدعة خذلهم الله اقتسموا القول في حملة أخباره ونقل آثاره ورواة أحاديثه المقتدين به المهتدين بسنته فسماهم بعضهم حشوية وبعضهم مشبهة وبعضهم نابتة وبعضهم ناصبة وبعضهم جبرية وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعائب بريئة زكية نقيية وليسوا إلا أهل السنة الماضية والسيرة المرضية والسبل السوية والحجج البالغة القوية قد وفقهم الله جل جلاله لاتباع كتابه ووحيه وخطابه والاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم في أخباره التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل وزجرهم فيها عن المنكر منها وأعانهم على التمسك بسيرته والاهتداء بملازمة سنته وشرح صدورهم لحبته ومحبة أئمة شريعته وعلماء أمته ومن أحب قوماً فهو معهم يوم القيامة بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء مع من أحب » وأحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة وعلمائهم وانصارهم وأوليائهم وبعضهم لأئمة البدع الذين يدعون إلى النار ويدلون أصحابهم على دار البوار وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلاً منه جل جلاله * أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ أسكنه الله وإيانا الجنة حدثنا محمد بن إبراهيم بن الفضل المزكي حدثنا أحمد بن سلمة قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن سعيد كتاب الإيمان له فكان في آخره فإذا رأيت الرجل يحب سفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي وشعبة وابن المبارك وأبا الأحوص وشريكا ووكيعاً ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي

فأعلم انه صاحب سنة قال احمد بن سلامة رحمه الله فألحقت بخطي تحته ويحيى
واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه فلما انتهينا الى هذا الموضع نظر الينا اهل
نيسابور وقال هؤلاء القوم يبغضون يحيى بن يحيى فقلنا له يا أبا رجاء ما يحيى
بن يحيى قال رجل صالح امام المسلمين واسحق بن ابراهيم امام واحمد بن حنبل
أكبر من سميتهم كلهم وأنا ألحقت بهؤلاء الذين ذكر قتيبة رحمه الله ان من
أحبهم فهو صاحب سنة من أئمة اهل الحديث الذين بهم يقتدون وبهدبهم
يهتدون ومن جلتهم وشيعتهم أنفسهم يعدون وفي اتباعهم آثارهم يجدون جماعة
آخرين منهم محمد بن ادريس الشافعي وسعيد بن جبير والزهرى والشعبي
والتيمي ومن بعدهم كاليث بن سعد والاوزاعي والثوري وسفيان بن عيينة
الهلالي وحامد بن سلامة وحامد بن زيد ويونس بن عبيد وأيوب وابن عوف
ونظرائهم : ومن بعدهم مثل يزيد بن هرون وعبد الرزاق وجريير بن عبد الحميد
ومن بعدهم محمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن اسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج
القشيري وأبي داود السجستاني وأبي زرعة الرازي وأبي حاتم وابنه ومحمد بن مسلم
ابن واره ومحمد بن أسلم الطوسي وعثمان بن سعيد الدارمي ومحمد بن اسحق بن
خزيمة الذي كان يدعى امام الاثمة والمقرئ كان امام الاثمة في عصره ووقته وأبي
يعقوب اسحق بن اسماعيل البستي وجدى من قبل أبي أبوسعيد يحيى بن
منصور الزاهد الهروي وعدي بن حمدويه الصابوني ولديه سيفي السنة أبي
عبدالله الصابوني وأبي عبد الرحمن الصابوني وغيرهم من أئمة السنة المتمسكين
بها ناصرين لها داعين اليها والين عليها وهذه الجمل الذى أثبتنا في هذا الجزء
كانت معتقد جميعهم لم يخالف فيها بعضهم بعضاً بل أجمعوا عليها كلها واتفقوا
مع ذلك على القول بقهر أهل البدع واذلالهم واخزائهم وابعادهم واقصائهم
والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم والتقرب الى الله عز وجل بمجانبتهم
ومهاجرتهم قال الاستاذ الامام رحمه الله وأنا بفضل الله عز وجل متبع لأثارهم
مستضىء بأنوارهم ناصح لآخواني وأصحابي أن لا يزلقوا عن منارهم ولا يتبعوا
غير أقوالهم ولا يشتغلوا بهذه المحدثات من البدع التي اشتهرت فيما بين المسلمين

وظهرت وانتشرت ولو جرت واحدة منها على لسان واحد في عصر أو لثقة الأئمة لهجروه وبدعوه ولسكذبوه وأصابوه بكل سوء ومكروه ولا يغرن أخوانى حفظهم الله كثرة أهل البدع ووفور عددهم فإن ذلك من أمارات اقتراب الساعة اذ الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم قال « ان من علامات الساعة واقترابها أن يقل العلم ويكثر الجهل » والعلم هو السنة والجهل هو البدعة ومن تمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بها واستقام عليها ودعا اليها كان أجره أوفر وأكثر من أجر من جرى على هذه الجملة في أوائل الاسلام والملة اذ الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم قال له « أجر خمسين فقيل خمسين منهم قال بل منكم » انما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لمن يعمل بسنته عند فساد أمته . وحدث في كتاب الشيخ الامام جدي أبى عبد الله محمد بن عدى بن حمدويه الصابوني رحمه الله أخبرنا ابو العباس الحسن بن سفيان الثوري ان العباس بن صبيح حدثهم حدثنا عبد الجبار بن طاهر حدثني معمر بن راشد سمعت ابن شهاب الزهري يقول تعلم سنة أفضل من عبادة مائتي سنة . أخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيباني أخبرنا ابو العباس محمد بن عبد الرحمن الدغولي سمعت محمد بن حاتم المظفرى يقول كان أبو معاوية الطريير يحدث هرون الرشيد فحدثه بحديث أبى هريرة « احتج آدم وموسى » فقال عيسى بن جعفر كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما قال فوثب به هرون وقال يحدثك عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتعارضه بكيف قال فما زال يقول حتى سكته عنه هكذا ينبغي للمرء ان يعظم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق وينكر أشد الانكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذى سلكه هرون الرشيد رحمه الله مع من اعترض على الخبر الصحيح الذى سمعه بكيف على طريق الانكار له والابتعاد عنه ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد من الرسول صلى الله عليه وسلم . جعلنا الله سبحانه من الذين يستمعون القول فيتعبدون أحسنه ويتمسكون في دنياهم مدة حياتهم بالكتاب والسنة وجنبنا الالهواء المضلة والآراء المضمحلة والاسواء المذلة فضلا منه ومنته . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . (تمت الرسالة)

تحذير اهل الايمان
عن الحكم بغير ما انزل الرحمن
﴿ تأليف ﴾

الشيخ أبي هبة الله اسماعيل بن ابراهيم الخطيب الحسنى
الاسعردى الأزهرى السلفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وبه أسـتـعين)

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق المبين * والحبل
المديد المتين * الذى من اعتصم به فقد تمسك بالعروة الوثقى . وكان من
الناجين * ومن أعرض عنه ولم يرفع له رأساً فقد خاب وخسر ذلك الأبعد
الاشقي . وكان من النادمين الندامة الكبرى . الداعين على أنفسهم بالويل
والثبور حيث لا ينفع ندم ولا أنين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى
جاءنا من ربه بتلك الشريعة الوافية . الكافية الشافية . الناجعة النافعة .
الجامعة المانعة . المغنية الغنى التام عن جميع الشرائع والقوانين * وعلى آله
وأصحابه . وأحبابه . الذين جاهدوا والذين يجاهدون فى نصر دين الله .
وإعلاء كلمة الله . جميع المعارضين والمضادين * من المشركين والمارقين المنافقين
المعاندين المعادين * المحادين المشاقين * لله ولرسوله الصادق المصدوق الامين *

بيان أعظم أسباب التأخر والتقهقر

﴿ أما بعد ﴾ فاني ارى ان الجهل قد عم الحاضر والبادى . وخيم بأطنابه على القاصى والدانى . وعلم الكتاب والسنة . الذى هو من كل شر جنة . مع أنه المنار الذى يهتدى به المجدون ويسترشده المسترشدون . ومن لا نصيب له وافر منه فهو راكب متن عمياء . وخابط خبط عشواء . وهو الى الضلال أقرب منه الى الهدى . والى الردى أدنى منه الى السلامة والنجا . قد خبت ناره . ووات الادبار أنصاره . ورأوا شيئاً هيناً أو فرياً . واتخذوه وراءهم ظهيراً . قد أهملوه وضيعوه وهجروه هجر القلى وقطعوه . وأولعوا بعلوم لا تسمن ولا تغنى من جوع ولا تنفع للظمان لها . وأكبوا عليها إكباب المقامر على ملهاه . ووقفوا أعمارهم العزيزة على نحو كتب الفلاسفة وكتب القيل والقال . وفضول العلوم التى لاتأتى بباطل ونوال . لا فى دين ولا فى دنيا أصلاً وقطعاً . وهم مع هذا يحسبون أنهم يحسنون صنعا . فهم ولا شئك من الاخسرين أعمالاً . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا فلذلك أظلمت منهم القلوب والبصائر . وعميت منهم السرائر . فلا يتنبهون للخطوب التى تحل بهم . وإن تنبهوا فقلما تجد فيهم من يفدى نفسه فى سبيل دفع ذلك الملم المدلهم . فكل يقول أنا مالي . حسبي مراقبة حالي . والدين له رب يحميه . يحوطه ويعليه . وهذه كلمة حق أريد بها باطل أفما قرأ عمره القرآن هذا القائل . فيرى أمر ربه بالدفاع عن دينه وشرعته . وبذل الجهد المستطاع فى إعلاء كلمته . نعم قال عبد المطلب البيت له رب يحميه . لما لم يجد عنده من الاسباب الظاهرية ما يقاوم به أبرهة الفيل ويكفيه . فالتجأ فى المعنى الى ربه . وأظهر له عجزه عن ذبه . حتى كان ما كان . أما والانسان يتمكن من نصر الحق أدنى تمكن ولو بالبيان . بالقلم او اللسان . فلا يسوغ له التأخر عن ذلك كيف ما كان * لماذا اذا اهتضم فى شئ من حقوقه يسعى

أقصى جهده ويبذل غاية وسعه في الحصول على مطلوبه . ويدأب الليل والنهار
ويتوسل بكل الوسائل حتى البعيدة المتوهمة الوصول الى مرغوبه . ماذا الا
لنقص وضعف في الايمان . وانحطاط في الهداية والعرفان . فلا يتألم أدنى تألم
إذا أصيب بأكبر شيء في دين الله . ويتألم أشد التألم إذا أصيب بأحق شيء في
دنياه . فهو لا هم كما قال القائل لابنه كما انشده في المدخل *

ابني إن من الرجال بهيمة * في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله * فإذا أصيب بدنيه لم يشعر
هذا حال أغلب خواصنا الا القليل الذي وفقه الله وقليل ما هم . فما بالك
بعوامنا فهم كما قال القائل *

لم يبق من جل هذا الناس باقية * ينالها الوهم إلا هذه الصور
وكما قال الثاني *

واعلم بأن عصبة الجهال * بهائم في صور الرجال
وكما قال الثالث

لا تخدعك الحي ولا الصور * تسعة أعشار من ترى بقر
ترام كالسحاب منتشراً * وليس فيه لطاب مطر
في شجر السرو منهم شبهه * له رواء وما له ثمر
وكما قال الرابع :

لأبأس بالقوم من طول ومن غلظ * جسم البغال وأحلام العصافير
وأحسن من هذا كله قوله تعالى (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن
يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو
فاحذرهم) فلذلك ترى غالب الناس اليوم الى اوضاع القوانين البشرية الشيطانية
أميل وأطوع منهم إلى اوضاع القساوان الالهى . والوحي السماوى . وترى
المتشدين المتحذلقين الذين يزعمون أنهم يريدون ترقية الامة ولم شعشعها . وضم
شمعها . بأفكارهم الفاسدة . وآرائهم الكاسدة . وسياساتهم المخالفة المناهضة

لسياسات الشريعة الحققة الصادقة . لا يقومون مقامها ولا يجلسون مجلسها الا حثوا فيه الناس اتباع كل صادق وناقد الذين يميلون مع كل ريح ولم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق على ما يتمكنون به من مقتضيات أهوائهم النفسانية . ومشتهيات أطباعهم البهيمية الشيطانية . من قواين أهل الكفر والصليب والتشبه بهم في الافعال والاقوال . فترى لذلك قلوب الناس من قريب وبعيد وحاضر وباد إلا من عصمه الله من الافراد متماثلة على قبولها غير مكترئين بالقانون الذي نزل من عند الله . وبينه لنا رسول الله المعصوم الصادق المصدوق الذي ما ينطق عن هوى . ان هو إلا وحى يوحى صلى الله عليه وآله وسلم حتى جعلوا التحاكم اليها . والتعويل في الاحكام عليها . وجعلوا لهم محاكم سموها بأسماء ليست من حقيقتها في شئ بل هي معها على طرفي نقيض . فسموا شرعية وعدلية وحقوقية وغير ذلك من الاسماء . التي لا حقيقة لها بل هي الغول أو العنقاء . فالشرعية في الحقيقة هي الخدعية . والعادلة هي العدلية لكن عن نهج الشريعة المحمدية . والحقوقية هي الحقوقية لكن بمعنى كونها محل ضياع الحقوق الخالقية والمخلوقة . قد نسوا القرآن وأطرحوه خلف ظهورهم بالكلمية . واعتاضوا عنه بقوانين الكفار وآراء ابتدعوها تقولوا على الشريعة الغراء الاحدية . ولم يرضوا بحكم الله ورسوله فيهم ورضوا بأحكام الكفار وآرائهم . فتمسسا لها من عقول . لا تشتري ولا بالبقول . وهم مع هذا يزعمون أنهم من العقل على جانب عظيم . لا يلحقهم فيه الحديث ولا القديم . وليت شعري أى عقل يكون لمن لا يرضى بحكم أحكم الحاكمين . واعلم العالمين . وأعدل العادلين . ويرضى بحكم أجهل الجاهلين وأظلم الظالمين *

وما أرى مثل هؤلاء القوم من ذوى الابصار المطموسة . والبصائر المعكوسة . الا مثل الجمل يتأذى من رائحة المسك والورد الفواح . ويحيا بالعدرة والغائط في المستراح . فسحقا لامثال هذه العقول سحقا . ومحققا لمن اللهم محقا . فلما تمادى بنا ذلك الحال . ومرت به علينا سنون وأحوال . حتى فتح الله تعالى لعباده

باب حرية المقال . بعد ما قد كانوا ألجهم الاستبداد المفرط بلجوم السكوت على مر
الاحوال . والقهم حجر الصمت على ما هو أعيان الداء العضال . غير أنه وقع
الناس في اضطراب وارتباك وجدال . وتفرق الناس فرقا مختلفا لمسالك والمذاهب .
وتحزبوا أحزابا غير مؤتلفة المشارب . وكان من تلك الفرق جمعية الاتحاد المحمدي .
المتجمعة لطلب العمل بالشرع الاحمدي . قوى الله عضدها . وأيد ساعدها .
وأخذ بأيادها . وبدد شمل أعادها . ألهمني الله تعالى ان اكتب نبذة شافية
صدور الذين اوتوا العلم والذين يريدون أنهم بهدي ربهم يهتدون على
شريطة الاختصار في المقال حذرا من السامة والملال . وأبين اضطراب الناس
الى الشريعة جدا وأجمع بعض الآيات الدالة على اغناء القرآن بالسنة النبوية
المبينة له عن جميع الشرائع السابقة . والقوانين البشرية الشيطانية اللاحقة . ليكونوا
على بصيرة من أمرهم . ويحذروا من كيد عدوهم ومكرهم

﴿ فاقول ﴾ وانا ابرأ الى الله من القوة والحول . وأستغفره من زلال العقل
والقول . معلوم لكل من عنده أدنى مسكة من عقل ان الله سبحانه وتعالى لم
يخلق هذا الخلق عبثا كما قال تعالى (أخلصتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون)
وكما قال (أخلصب الانسان أن يترك سدى) أى مهمل همل لا يؤمر ولا ينهى كما
قال الشافعى — أو لا يشاب ولا يعاقب كما قال غيره والقولان واحد لان
الثواب والعقاب غاية الامر والنهى فهو سبحانه خلقهم للامر والنهى في الدنيا
والثواب والعقاب في الآخرة — وكما قال تعالى (وما خلقت الانس والجن إلا
ليعبدون) ولا فرق بين إبقاء العبادة على ظاهر معناها أو تفسيرها بالمعرفة كما
يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فانهما متلازمان فالمعرفة لا تكون بدون
عبادة والعبادة لا تكون بدون معرفة * وأما ما يستدل به بعض من لا إمام له بعلم
الحديث مما يروى عن الله تبارك وتعالى أنه قال « كنت كنزاً لا أعرف فأحببت
أن أعرف فخلقت خلقاً فعرفتهم بي فعرفوني » فقد قال حفاظ الحديث ونقادته إنه
لا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف * إذا تمهد هذا فنقول ليعلم أن حاجة الناس

إلى الشريعة ضرورية جداً فوق حاجتهم إلى كل شيء ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها . — ألا ترى أن أكثر العالم يعدشون بغير طبيب ولا يكون الطبيب في بعض المدن الجامعة وأما أهل البدو كلهم وأهل الكفور كلهم وعامة بني آدم فلا يحتاجون الى طبيب وهم أصح أبداناً وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب ولعل أعمارهم متقاربة وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم وجعل لكل قوم عادة وعرفاً في استخراج ما يهجم عليهم من الادواء حتى ان كثيراً من أصول الطب إنما أخذت من عوائد الناس وعرفهم وتجاربهم *

وأما الشريعة فبناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية . فبناها على الوحي المحض . بخلاف الطب فبناه على تعريف المنافع والمضار التي للبدن وعليه . مما قد لا تمس الحاجة اليه . وغاية ما يقدر في عدمه موت البدن وتعطل الروح عنه . — وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة وهلاك الابد * وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت فليس الناس قط الى شيء أحوج منهم الى معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والقيام به والدعوة اليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع اليه وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الاكبر إلا بالعبور إلى هذا الجسر * ثم لفظ الشريعة يتكلم به كثير من الناس ولا يفرق بين الشرع المنزل من عند الله تعالى وهو الكتاب والسنة الذي بعث الله به رسوله فان هذا الشرع ليس لاحد من الخلق كائناً من كان الخروج عنه ولا يخرج عنه إلا كافر وبين الشرع الذي هو اقوال أئمة الفقه وآراؤهم التي أدى اليها اجتهادهم ووصلت اليها أفهامهم كأبي حنيفة ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من الائمة المجتهدين رضى الله عنهم أجمعين فهؤلاء أقوالهم تعرض على الكتاب والسنة ويحتج لها بهما لما هو معلوم من حديث الحاكم والثابت من طرق في الصحيح أن المجتهد يصيب ويخطئ فان أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر على اجتهاده

والله يغفر له خطاه لكنه لا يتابع عليه . فما وافقها أو كان أشبه بهما فهو الصواب وما خالفها فهو خطأ لا يجوز لمن تبينه واطلع عليه متابعة من ذهب إليه . وإذا قلد المقلد أحدهم حيث يجوز له التقليد كان جائزاً وليس اتباع أحدهم بعينه واجبا على جميع الامة كاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم . ولا يحرم تقليد أحدهم كما يحرم اتباع من يتكلم بغير علم * وأما ان اضاف أحد الى الشريعة مالم يس منها من أحاديث مفتراة أو تأويل النصوص بخلاف مراد الله ونحو ذلك فهذا من نوع التبديل فيجب الفرق بين الشرع المنزل والشرع المؤول والشرع المبدل *

ولأنحك هنا بقاعدة عظيمة . وفائدة جسيمة . تتعرف فيها حال كل قول يرد عليك ينسب الى الشرع وهي انه اما ان يكون هذا القول موافقا لقول الرسول أولا يكون — والثاني إما أن يكون موافقا لشرع من قبله وإما ان لا يكون . وهذا الثالث إن كان لا عن شبهة دليـل بل عن محض اتباع الهوى فهو المبدل كالاديان التي شرعها الشياطين على السنة أوليائهم قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقال تعالى (وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعموهم انكم لمشركون) وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) — وإن كان عن شبهة دليل فهو المؤول وفي هذا كان الصحابة رضی الله اذا قال أحدهم برأيه شيئا مما لم يجد فيه نص كتاب أو سنة عن النبي واضطر لمعرفة الحكم الذي يرضاه الله ورسوله يقول ان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله برى . منه كما قال ذلك ابن مسعود وروى عن أبي بكر وعمر * وما كان شرعا لغيره وهو لا يوافق شرعه فقد نسخ كالسبت وتحريم كل ذى ظفر وشحم الثرب (١) والكليتين فان اتخذ السبت عيداً وتحريم هذه الطيبات

(١) الثرب وزان فلس شحم رقيق على الكرش والامعاء اه مصباح

قد كان شرعاً ثم نسخ . فالاقسام ثلاثة اجمالاً وأربعة تفصيلاً فاحتفظ كل الاحتفاظ على هذه القاعدة تنفعك *

ثم دين الانبياء كلهم الاسلام كما قد أخبر الله بذلك عنهم في غير موضع من القرآن - وكما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « انا معشر الانبياء ديننا واحد » . وهو الاستسلام لله وحده وذلك انما يكون بطاعته فيما أمر به في ذلك الوقت فطاعة كل نبي هي من دين الاسلام اذ ذلك فاستقبال صخرة بيت المقدس مثلاً كان من دين الاسلام قبل النسخ ثم لما أمر باستقبال الكعبة صار استقبالها من دين الاسلام ولم يبق استقبال الصخرة من دين الاسلام ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الاسلام فانهم تركوا طاعة الله وتصديق رسوله واعتاضوا عن ذلك بمبدل أو منسوخ *

وبالجملة فدين الاسلام هو دين الاولين والآخرين من النبيين والمرسلين . وقوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) عام في كل زمان ومكان * فنوح و ابراهيم ويعقوب والاسباط وموسى وعيسى والحواريون كلهم دينهم الاسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له والاستسلام له ظاهراً وباطناً وعدم الاستسلام لغيره كما قد بين ذلك عنهم القرآن فدينهم كلهم واحد وان تنوعت شرائعهم كما قال الله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين)

والله تبارك وتعالى قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بشرائع الاسلام الظاهرة وحقائق الايمان الباطنة * ففي مسند احمد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الاسلام علانية والايمان في القلب » وفي البخاري ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الايمان والاسلام والاحسان فن لم يقم بشرائع الاسلام الظاهرة امتنع ان يحصل له حقائق الايمان الباطنة - ومن حصلت

له حقائق الايمان الباطنة فلا بد ان يحصل له حقائق شرائع الاسلام الظاهرة فان القلب ملك والاعضاء جنوده فتمت استقام الملك وصلاح استقامت جنوده وصلاحته كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ألا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد الا وهى القلب » فاذا كان في القلب حقائق الايمان الباطنة فقد صلح فلا بد أن تكون سائر جسده صالحاً فان لم يكن جسده صالحاً امتنع ان يكون في باطنه حقائق الايمان كاخلاص الدين لله وحبه وخشيته والتوكل عليه والاناثة اليه *

وأصل الايمان والتقوى الايمان برسل الله . وجماع ذلك الايمان بخاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فالإيمان به يتضمن الايمان بجميع كتب الله ورسوله *
وأصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسل وبما جاءوا به فان هذا هو الكفر الذى يستحق صاحبه العذاب الاكبر في الآخرة فان الله تعالى أخبر فى كتابه انه لا يعذب أحدا الا بعد بلوغ الرسالة قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا) وقال تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتيناه داود زبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصضهم عليك وكلم الله موسى تكليماً رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال تعالى (وأنبياء الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتىكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتىكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين)

وقال تعالى في أهل النار (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) وقال تعالى فيهم (كلما التقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير) فآخبر انه كلما التقى في النار فوج وسئلوا عن النذير اقرؤا بأنه جاءهم فكذبوه فدل ذلك على انه لا يلقى فيها الا من كذب النذير وقال تعالى في خطابه لابليس (لاملاّن جهنم منك ومن تبعك منهم اجمعين) فآخبر انه يملؤها بابليس ومن تبعه فاذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم فعلم انه لا يدخل النار الا من تبع الشيطان وهذا يدل على انه لا يدخلها من لا ذنب له فان من لا يتبع الشيطان لا يكون مذنباً وما تقدم يدل على انه لا يدخلها إلا من قامت عليه الحجة بالرسالة وهذا المعنى في القرآن كثير .

واذا أحطت علماً بهذه المقدمات التي مهدناها لك علمت علم اليقين أن الاعتياض عن القانون السماوي الذي جاء به الصادق المصدق صلوات الله وسلامه عليه وآله بالقانون الارضي الانساني الشيطاني الذي لا يخلو مهما توافقت عليه الآراء . وتطابقت عليه الأملاء . من غلط وخطأ . لاسيما اذا كان ممن لا علم عندهم بمعاني كتاب الله . وسنة نبيه الداعي على بصيرة الى الله . بل غاية احدهم أن يكون قد تعلم بعض العلوم الآلية . وفضول العلوم التي قد لا يحتاج اليها في الدين بالكلية . هو من أعظم أسباب المقت والحرام . واكبر موجبات العقوبة والخذلان . كيف لا وهو اتخاذ لدين الله هزواً وهواً ولعباً وتبديل لنعمة الله بالنقمة وللشكران بالكفران وشرع دين لم يأذن به الله واتباع لغير سبيل المؤمنين ومشاقة ومحادة ومحاربة وخيانة لله ورسوله . وعشو عن ذكر الرحمن وإعراض عنه — الى غير ذلك من المفاسد والمحاذير التي لا تدخل تحت الحساب . ولا تضبطها أقلام الكتاب * قال الله تعالى (وذُر الذين اتخذوا دينهم هواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا) وقال تعالى (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دارالبوار . جهنم يصلونها وبئس القرار)

وقال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وقال تعالى (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) وقال تعالى (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين) وقال تعالى (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم) وقال تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) فإذا كان هذا حكم الباغين الخارجين عن طاعة الامام الذين شقوا عصا الجماعة فما بالك بمن دعا الناس كافة عرباً وعجماء مؤمنهم وكافرهم الى قانون اخترعه هو أو غيره من جنس الخيالات الباطلة فخرج هو وأخرج به عن طاعة الله وطاعة رسوله وحاربها وحادها وشاقها بمخالفة أمرها أليس هو أولى بذلك . بلى وربك فإنه رأس الفساد وأم الشرور والخبائث وما يعقله الا العالمون . وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) فأخبر سبحانه أن من ابتلاه بقرينه من الشياطين وأضله به انما كان بسبب اعراضه وعشوه عن ذلك الذي أنزله على رسوله فكان عقوبة هذا الاعراض أن قيض له شيطانا يقارنه فيصده عن سبيل ربه وطريق فلاحه وهو يحسب أنه مهتد حتى اذا وافى ربه يوم القيامة مع قرينه وعين هلاكه وافلاسه قال (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) وكل من أعرض عن الاهتداء بالوحي الذي هو ذكر الله فلا بد أن يقول هذا يوم القيامة .

(فان قيل) فهل لهذا عذر في ضلاله اذا كان يحسب أنه على هدى كما قال تعالى (ويحسبون أنهم مهتدون) - (قيل) لا عذر لهذا وأمثاله من الضلال الذين منشأ ضلالهم الاعراض عن الوحي الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولوطن

انه مهتدفانه مفرط باعراضه عن اتباع داعي الهدى فاذا ضل أي من تغريظه واعراضه وهذا بخلاف من كان ضلاله اعدم بلوغ الرسالة وعجزه عن الوصول اليها فذاك له حكم آخر والوعيد في القرآن انما يتناول الاول المعرض. وأما الثاني فان الله لا يعذب أحداً الا بعد قيام الحجة عليه كما قدمنا *

وقال تعالى (وقد آتيناك من لدنا ذكراً من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً) وقال تعالى (وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعباً) وقال تعالى (ومن أعرض عن ذكري) أي لم يتبع الذكر الذي أنزله وهو القرآن وليس المعنى ومن أعرض عن أن يذكرني بل هذا لازم المعنى فالذكر هنا مضاف اضافة الاسماء لا اضافة المصادر الى معمولاتها (فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) فأخبر سبحانه أن من أعرض عن ذكره وهو الهدى الذي من اتبعه لا يضل ولا يشقى فان له معيشة ضنكاً عكس من حفظ عهده فانه قد تكفل له أن يحييه حياة طيبة ويجزيه أجره في الآخرة بقوله تعالى (من عمل عملاً صالحاً من ذكر أو أنى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) *

وقال تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وقال تعالى (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) وقال تعالى (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً)

قال أهل التحقيق من أهل التفسير الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع . فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله *

قال المحقق ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين عن رب العالمين بعد هذه العبارة فهذه طواغيت العالم اذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم من عبادة الله الى عبادة الطاغوت وعن طاعته ومتابعة رسوله الى طاعة الطاغوت ومتابعته وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الامة وهم الصحابة ومن تبعهم ولا قصدوا قصدهم بل خالفوهم في الطريق والقصد معاً اهـ ولقد صدق والله فيما نطق هذا حال جلنا ان لم يكن كنا فلاحول ولا قوة الا بالله والى الله المشتكى من فساد قلوبنا ونياتنا وأحوالنا وأخلاقنا فقد بلغ الفساد بنا مبلغاً لا يمكن ان ينهض بنا ناهض لشيء من معالي الامور الا من ساعدته يد التوفيق وما أقبلهم بل ما أعزهم من الكبريت الاحمر *

ثم لو لم يكن في القرآن المجيد في الزجر عن اتباع القوانين البشرية غير هذه الآية الكريمة لكفت العاقل اللبيب الذي أوتي رشده واهمه صلاح قلبه عن تطلب غيرها فكيف والقرآن كله يدعو الى تحكيم ما أنزل الله . وعدم تحكيم ما عداه . اما تصريحاً وأما تلويحاً وله جاهد من جاهد ويجاهد من يجاهد من عباد الله المتقين من لدن بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى يوم تقوم الساعة . وقد صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « لا نزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا خلاف من خالفهم حتى يأتي أمر الله » — وانه قال : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » . فعلما بذلك ان من الممتنع بالسمع ان يتألاً العالم كلهم شرقاً وغرباً من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على اتباع القوانين البشرية وعدم المبالاة بالقانون الالهي بل لا بد ان يكون فيهم ولو واحد ينكر على هؤلاء الكل إما بلسانه ان أمكنه ذلك ولم يفتكوا

به وإما بقلبه ان لم يمكنه وظن الفتك به كما قد كان أيام الاستبداد *
والغرض بيان أن طائفة الحق لا تزال تقاتل وتجاهد على تحكيم ما أنزل
الله باللسان والبيان . والبدن والسنان . والمال وكل ممكن لنوع الانسان وان به
يتم نظام العدل والملاك والدين والدنيا وبه يستقيم أمر المعاش والمعاد وتكمل
لهم الراحة والأمن والحرية التامة . والسياسة العامة لجميع الملل والرايا المختلفة
الاصناف والالسنه والامزجة . ومن شك في هذا فلينظر الفرق بين حال الاسلام
في هذه القرون المتأخرة التي عطلت فيها حدود الشريعة وأحكامها وحاله في القرون
المتقدمة التي ما كانت على شيء أحفظ منها على أحكام الشريعة وارعى لها يجد
الفرق كما بين الثرى والثريا وكما بين الارض والسماء وكما قال الشاعر :

نزلوا بمكة في قبائل هاشم * ونزلت بالبيداء أبعد منزل

ألا ترى ان الصحابة رضى الله عنهم بعد وفاة نبيهم صلى الله تعالى عليه
وأآله وسلم فتحوا ما فتحوا من الاقاليم والبلدان . ونشروا الاسلام والايمان
والقرآن . في مدة نحو مائة سنة مع قلة عدد المسلمين وعددهم . وضيق ذات يدهم .
ونحن مع كثرة عددنا . ووفرة عددنا . وهائل ثروتنا . وطائل قوتنا . لا نزداد
الا ضعفاً وتقهقراً الى وراء . وذلاً وحقارة في عيون الاعداء . وذلك لان من لا
ينصر دين الله لا ينصره قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله
ينصركم ويثبت أقدامكم) فرتب نصره على نصره باقامة طاعته وطاعة رسوله
فأفهم أنه لا ينصر من لا ينصره وهو كذلك كما جرت به عادته وسنته في عبادته .
والمفهوم المخالف وان كان في حججه خلاف مبين في أصول الفقه ليس هذا موضع
بسطه فهذا المفهوم لا خلاف في صحته واعتماده لاعتماده بدلائل أخرى وشهادة
الواقع له * وهذا كما قال تعالى (واینصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)
فاخبر تعالى بانه ينصر من ينصر دينه - ثم بين تعالى الذين ينصرون دينه بقوله
(الذين ان مكنانهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف
ونہوا عن المنکر) فمن لم يكن موصوفا بهذه الصفات الأربع ممن مكنه الله تعالى

في الارض فلا حظ له في نصرة الله تعالى - وقال تعالى لأهل بدر (بلى ان تصبروا وتمتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) فعلق امداده لهم على شيئين هما عمادا النصر . الصبر وتقوى الله عز وجل - وقال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) فوعده ووعدته حق بنصره الرسل والمؤمنين في الدنيا والآخرة بالحجة والظفر والغلبة على مخالفيهم وأعدائهم . وهذا كقوله الآخر (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) فوعده بعلمهم على عدوهم في مقاوم الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلمهم عليهم في الآخرة كما قال (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة) - وقال تعالى (كتب الله لاغابن أنا ورسلي ان الله قوى عزيز) فأخبر سبحانه عن نفسه أنه كتب وجعل الغلبة له ولرسله وأتباعهم - وقال تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور) فخص المؤمنين بدفاعه عنهم ونصره لهم وجعل العلة في ذلك أنه لا يحب أضدادهم . فاذا كان قد كتبها له ولرسله وأتباعهم وأوليائهم وخصهم بالدفاع عنهم وعلل ذلك بأنه لا يحب الخوان والكفراء كان من المحال ان تكون الغلبة لأعدائه وأعداء رسله وهم الخونة الذين يخونون الله والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله عليهم ويعطونها *

ولا ينافي ذلك انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل في بعض المغازي فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين مثلاً يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن رضي الله عنه ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولا قاعدة أمرهم واساسهم والغالب منه هو الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والحنة لرفع درجاتهم . وزيادة اجورهم ومشوباتهم والحكم للغالب *

وبالجملة فقد ضمن الله تبارك وتعالى لكل من نصر دينه المبين . وأطاع رسوله الامين . ان ينصره في الدنيا والآخرة . فمن خذل دينه وخالف رسوله

استحق أكبر العذاب وأشد النكال في الدارين ولم يغن عنه لا مال ولا أحد من
الله فتيلا . - ألا ترى أن أهل أحد لما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن
يثبتوا في مكانهم عند الجبل ولا يزيألوه سواء كانت الدرلة للمسلمين أو عليهم
فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف
حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا فلما فشلوا وتنازعوا فقال
بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخاف أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة في نفر دون العشرة .
ونفر ينهبون أعقابهم كر عند ذلك المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير
رضى الله عنه وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دهورا وكانت صباحا حتى هزموا
وقتل من قتل . وذلك كله بشؤم مخالفة بعضهم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وعصيانهم له . وذلك معنى قوله تعالى (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسبونهم
بأذنه حتى اذا فشتم وتنازعتم في الامر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون
منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) - وألا
ترى أن أهل المدينة كانوا في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي أفضل أهل الدنيا
والآخرة لتمسكهم بطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثم تغيروا وبعض التغير فقتل
عثمان . وخرجت الخلافة خلافة النبوة من عندهم وصاروا رعية لغيرهم - ثم
تغيروا بعض التغير فجرى عليهم عام الحرة من النهب والقتل وغير ذلك من
المصائب ما لم يحجر عليهم قبل ذلك *

والذي فعل بهم ذلك وان كان ظالما متعديا فليس هو أظلم من فعل بالنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه ما فعل وقد قال الله تعالى (أو لما أصابتكم مصيبة
قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) وكذلك الشام كان أهلها
في أول الاسلام في سعادة الدنيا والدين ثم جرت فتن وخرج الملك من أيديهم
ثم سلب عليهم المناقب والملاحدة والنصارى بذنوبهم واستولوا على بيت المقدس
وقبر الخليل وفتحوا البناء الذي كان عليه وجعلوه كنيسة ثم صالح دينهم فأعزهم

الله ونصرهم على عدوهم لما أطاعوا الله ورسوله واتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم -
وكذلك أهل الاندلس كانوا رقودا في ظلال الأمن وخفض العيش والدعة
فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشمر والبطر فاشتغلوا بمعاصي الله تعالى واكبوا على
لهوهم ولم يتقوا مواقع سخط ربهم ومقته ففعل الله بهم ما لا يحصره قلم كاتب .
ولا يحصيه حساب حاسب . بتسليط عدوهم عليهم حتى مزقهم الله كل ممزق وفرقهم
أيادى سبأ وارتد بعضهم على عقبه ركونا الى الدنيا الفانية والخطوظ العاجلة .
ومن قرأ تاريخهم علم ما كان القوم عليه . وما صاروا اليه . وفي التاريخ
أكبر عبرة لمن اعتبر * دعك من هذا ولا أطول عليك المسافة ففي كتاب ربنا
ما فيه غنية عن كل شيء بهم لمن تدبره وعقله وصرف فيه شطراً آمن عمره كما صرف
في تلك العلوم التي لا طائل تحتها ولا محصل لها ولا تقوم على ساق * وسيرد
عليك ان شاء الله . في هذا المعنى الذي همنا حول جملة آيات متعددة فانتظر قليلا *
والغرض المقصود لنا الآن هنا بيان أن الصلاح والنجاح . والفوز والفلاح
وسعادة الدين والدنيا معاً منوط ومر بوط بنصرة دين الله لا سبيل له غير ذلك أبداً
ولذلك قال سيدنا مالك بن انس امام دار الهجرة رضى الله عنه ان يصلح آخر
هذه الامة الا بما صلح به أولها أو كما قال . والامر والله كما قال . وشاهد العيان .
يفنى من له عينان . عن البيان (هذا) *

ثم لنذكر بعض الآيات الصريحة لمن له نظر . وفهم وتدبر . في التحذير
عن اتباع غير ما أنزل الله فنقول قال تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من
الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل) فجعل ما خالف حكم
الكتاب ضلالة - وقال تعالى : (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى
كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون) - وقال تعالى (ألم تر الى
الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) - وقال تعالى (أفعير
الله ابتغى حكماً وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب
يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من المعترين) - وقال تعالى (أفمن

يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولو الالباب) - وقال تعالى (ويرى الذين اتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهتدى الى صراط مستقيم) فجعل الله تعالى في الآيتين المنزل هو الحق واذا كان هو الحق لا غير كان ما عده هو الباطل بلا مرية - وقال تعالى (فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين) فقسم الله تعالى الامر الى شيئين لاثالثهما . إما الاستجابة لله والرسول وما جاء به وإما اتباع الهوى . فكل ما لم يأت به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهو من الهوى - وقال تعالى (ياد اود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله . ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) فقسم سبحانه طريق الحكم بين الناس الى الحق وهو الوحي الذي أنزله على رسوله والى الهوى وهو ما خافه - وقال تعالى (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) قال الشافعي في الام : وأهواءهم يحتمل سبيلهم في أحكامهم ويحتمل ما بهوون . وأيهما كان فقد نهى عنه وأمر أن يحكم بينهم بما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم اه تم قال سبحانه (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيراً من الناس افاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) فأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالحكم بين أهل الكتاب بما أنزله الله عليه - ونهاه عن اتباع أهوائهم لما فيه من مخالفة المنزل اليه - وحذره أن يفتنوه فيحولوا بينه وبين بعض ما أنزله اليه وأعلمه أنهم ان تولوا عن الحكم الذي أنزله الله اليه فانما يريد أن يصيبهم ويبتليهم بسبب بعض ذنوبهم . فعلم منه أن التولى عن حكم الله وحكم رسوله الى حكم الاهواء سبب لاصابة الله بالمصايب . - وهذا كقوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس لينذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) - وقوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقوله

تعالى (فأصابهم سيأت ما كسبوا . والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيأت ما كسبوا) وقوله تعالى (وبدلهم سيئات ما كسبوا) وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) وقوله تعالى (فكلأ أخذنا بذنوبهم من أرسلنا عليه حاصبا . ومنهم من أخذناه الصيحة . ومنهم من خسفنا به الأرض . ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وقوله تعالى (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) وقوله تعالى (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) وقوله تعالى (مما خطيئتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً) وقوله تعالى (ولم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث رسولا في أمها يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) وقوله تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون)

وأخرج الامام احمد عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال لما فتحت قبرس فرق بين أهلها فبكي بعضهم الى بعض فرأيت أبا الدرداء جالسا وحده يبكي فقلت يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله فقال ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله عز وجل اذا أضاعوا أمره بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا الى ما ترى وأخرج عن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة (١) واتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بهم بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » : ورواه أبو داود باسناد حسن - وفي سنن ابن ماجه في باب العقوبات من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب قال أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال « يا معشر

(١) هي ان يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم الى أجل مسمى ثم يشتريها منه تحقداً بأقل من الثمن الذي باعها به اهـ

المهاجرين خمس اذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن . لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا . ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم . ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء فلولوا البهائم لم يطرؤا . ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله الا سلبوا الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم . وما لم تحكم أنتمهم بكتاب الله ويتخبروا مما أنزل الله الا جعل الله بأسهم بينهم » - وفي شرح الموطأ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال خمس بخمس . ما نقض قوم العهد الا سلبوا الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر . ولا ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت . ولا طففوا المكيال الا منعوا النبات واخذوا بالسنين . ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر » (قال) رواه ابن ماجه والطبراني وله شاهد (١) عن ابن عمر مرفوعاً نحوه عند ابن اسحق اهـ

وفي نهج البلاغة من كلام سيدنا علي كرم الله وجهه لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم الا فتح الله عليهم ما هو أضر منه - ومن كلام بعض السلف الصالح كلما أحدثتم ذنباً أحدث الله لكم من سلطانه عقوبة - وفي المشهور على الاسنة الجاري مجرى المثل السائر قولهم لو استقمنا ما انتقمنا وقال القائل
بذا قضى الله بين الخلق منذ خلقوا إن الخواف والاجرام في قرن
ولهذا المعنى الذي ألمعنا الآت بساحل بحره العميق شواهد من القرآن والسنة وكلام السلف الصالح لا نحصى لو ذهبنا الى تتبعها واستقصائها لطال بنا الكلام *

والقصد هنا بيان أن التولى عن حكم الله وحكم رسوله من أكبر الذنوب وانه سبب لانصباب المصائب . وتتابع النوائب فان الجزاء يكون من جنس العمل فمن تولى عن حكم الله وحكم رسوله تولى الله ورسوله عنه . ومن تولى الله ورسوله

(١) أقول لعله الذي قلناه عن سنن ابن ماجه قبل اهـ مولفه

عنه فهيهات أن يفلح ويعز بل يتركه الله أذل وأحقر ما يكون قال تعالى (أن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) وقال تعالى (أن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الآذلين) وفي مسند أحمد من حديث ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الآكلة على قصعتها قلنا يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ قال أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قالوا وما الوهن قال حب الحياة وكره الموت » فأخبر صلى الله عليه وآله وسلم أنه يوشك أن يتداعى عليكم من فرق الكفر وأمم الضلالة بعضهم بعضاً ليقاتلوكم ويكسروا شوكتكم ويغلبوا على ممالككم من الديار والأموال كما تتداعى الفئة الآكلة بعضهم بعضاً على قصعتهم التي يتناولونها من غير بأس ولا مانع فيأكلونها عفا صفوا فيستفرغون ما في صحنهم من غير تعب ينالهم أو ضرر يلحقهم أو بأس يمنهم - ثم لما سأله عن سبب ذلك هل هو من قلة عددهم أخبر بأنهم كثير ولكنهم غثاء كغثاء السيل الذي هو ما يجي فوق السيل مما يحتمله من البزورات والاضاح لقله نفهم وغنائهم ودناءة أقدارهم. وخفة أحلامهم - ثم أخبر بأن الله ينزع المهابة من قلوب عدوهم ويجعل في قلوبهم الوهن وبين لهم سببه بأنه حبهم البقاء في الدنيا وكرهتهم الموت - يدعوهم ذلك إلى إعطاء الدنية في الدين واحتمال الذل عن العدو وسأل الله العافية فقد ابتلينا به وكنا نحن المعنيين بذلك *

﴿ حكاية لطيفة ﴾ ساقها الامام محمد بن قتيبة الدينوري في كتابه تأويل مختلف الحديث قال وحدثني رجل من اصحاب الاخبار ان المنصور سمع ذات ليلة فذكر خلفاء بني أمية وسيرتهم وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أفشى أمرهم إلى أبنائهم المترفين فكان همهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وإيثار اللذات والدخول في معاصي الله عز وجل ومساخطه جهلاً منهم باستدراج الله تعالى وأماناً من مكروه تعالى فسلبهم الله تعالى الملك والعز ونقل عنهم النعمة

فقال له صالح بن علي يا أمير المؤمنين ان عبيد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربا فيمن اتبعه سأل ملك النوبة عنهم فأخبر فركب الى عبيد الله فمكلمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده فان رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك فأمر المنصور باحضاره وسأله عن القصة فقال يا أمير المؤمنين قدمت أرض النوبة بأثاث سلم لي فافترشته بها وأقت ثلاثا فأتاني ملك النوبة وقد خبر أمرنا فدخل على رجل طوال أفتى حسن الوجه فقعد على الأرض ولم يقرب الثياب فقلت ما يمنعك ان تقعد على ثيابنا فقال انى ملك وحق على كل ملك ان يتواضع لعظمة الله عز وجل اذ رفعه الله ثم أقبل علي فقال لى لم تشربون الخمر وهى محرمة عليكم في كتابكم . فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا وسفهاؤنا . قال فلم تطؤون الزرع وبدوا بكم . والفساد محرم عليكم فى كتابكم قلت يفعل ذلك جهالنا . قال فلم تلبسون الديباج والحريز وتستعملون الذهب والفضة وهو محرم عليكم فقلت زال عنا الملك وقل أنصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا . فأطرق مليا وجعل يقلب يده وينكت في الأرض ثم قال ليس ذلك كما ذكرت بل أنتم قوم استحلتم ما حرم عليكم وركبتم ما عنه نهيتهم وظلمتم فيما ملكنهم فسلبككم الله تعالى العز والبسكم الذل بذنوبكم والله تعالى فيكم نقمة لم تبلغ نهايتها وأخاف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدى فيصينى معكم وإنما الضيافة ثلاث فتزودوا ما احتجتم اليه وارتحلوا عن بلدى ففعلت ذلك اه وفي هذه الحكاية مقنع وكفاية لمن رزقه الله الهداية وجنبه طريق الغواية . وفما رأيتم وسمعتم به مما جرى باولئك الظالمين المستبدين . الخاسرين الابعدين . أكبر عبرة لمن اعتبر . وتبصرة لمن تبصر قال الشاعر :

ما مر يوم على حي ولا ابتكرا (١) * الا رأى عبرة فيه إن اعتبرا

(١) في القاموس بكر عليه واليه وفيه بكورا وبكر وابتكر وأبكر وبأكراه

أتاه بكرة اه

ولنرجع الآن لذكر بقية الآيات التي نحن بصددناها فنقول : وقال تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون أنهم إن يغفروا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين) فقسم سبحانه الأمر بين الشريعة التي جعله هو سبحانه عليها وأوحى إليه العمل بها وأمر الأمة بها . وبين اتباع أهواء الذين لا يعلمون فأمر بالاول ونهى عن الثانى . وقال تعالى (المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين . اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) فأمر باتباع المنزل منه خاصة ونهى عن اتباع أولياء من دونه فدل على أن من اتبع غيره فقد اتبع من دونه أولياء . وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلاما بأن طاعة الرسول يجب استقلالاً من غير حاجة إلى عرض ما أمر به على الكتاب بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه فانه أوفى الكتاب ومثله معه * وقد قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم من حديث أبى رافع انه قال « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدرى ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » — بخلاف أولى الأمر فانهم إما كانوا العلماء والأمراء . أو العلماء فقط . أو الأمراء فقط لانجب طاعتهم الا تبعا لطاعة الرسول فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته — ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة كما صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق — وقال انما الطاعة فى المعروف . وهو ما وافق ما جاء به الرسول ولهذا لم يأمر بطاعة أولى الأمر استقلالاً

بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول ايذانا بأنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول . وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) فأفاد ان آية محبة الله اتباعه صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاء به فمن لم تتمتع فيه هذه العلامة فهو ليس بمحب الله وهو كذلك فان دعوى المحبة مع المخالفة من الحماقات الظاهرة والا كاذيب التي لا تخفى على أحد . ولذلك يقول القائل وقد أجاد فيما أفاد *

تعصى الاله وأنت تزعم حبه * هذا لعمرى في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ولا يزيغ عنه * وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وآله وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وولده وأهله والناس اجمعين » * وفيها « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا الله وأن يكره أن يرجع الى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار » . وقال تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتر بصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) فالواجب على كل أحد آمن بالله واليوم الآخر محبة الله ورسوله المحبة الصحيحة الصادقة التي تقتضى المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات

قال ابو يعقوب النهرجوري كل من ادعى محبته تعالى ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة . وقال يحيى بن معاذ الرازي ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدود الله . فمن ادعى انه يحب الله ورسوله فيفترض عليه أن يبذل وسعه ويسعى جهده في إقامة حدود الله ونصرة دينه بالقول والفعل والمال وكل ممكن فان علامة المحب الصادق أن يسعى في حصول محبوبات محبوبه ويبذل

جهده وطاقته فيها وإلا فلو رأى محارم الله تنتهك وهو ساكت لا يغار ولا يغضب كما لو تعدى على أدنى حقوقه فهو حينئذ كذاب كذاب لا نصيب له من المحبة إلا مجرد الدعوى . وقال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أفادت الآية بطريق عكس النقيض الموافق المعلوم عند أرباب فن المنطق أن من لأسوة له حسنة في رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو ليس ممن يرجو الله واليوم الآخر . وكفى بهذا التهديد العظيم في التحذير للعاقل

وقال تعالى (لاتجعلوا دعا الرسول بينكم كدعاء بعضهم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوأذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) ولا فرق في الاستدلال بهذه الآية الكريمة على ما نحن بصده بين رجوع الضمير الى الله والى الرسول . وقال تعالى (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) . وقال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) فأقسم سبحانه بنفسه على نفى الايمان عن العباد حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل . ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجردة حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه . ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلموا تسليماً وينقادوا انقياداً لحكمه فإياك بمن حكم بغير ما أنزل الله فانه أولى بسلب الايمان عنه . وقال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) فأخبر سبحانه انه ليس لمؤمن أن يختار بعد قضائه وقضاء رسوله حياً أو ميتاً . ومن تخير فقد عصى الله ورسوله . ومن عصاهما فقد ضلّ ضلالاً مبيناً وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم) روي عن ابن عباس رضى الله عنهما في تفسيرها لاتقولوا

خلاف الكتاب والسنة . وقال مجاهد لا تقدموا لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقضى الله على لسانه . وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)

فليُنظر فانه اذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سببا لحبوط أعمالهم فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم وقوانينهم وأوضاعهم عامدين عالمين على ما جاء به ورفعها عليه أليس هذا أولى أن يكون محبطا لأعمالهم بلى وربك . قاله عز وجل لولا انه علم ان نظام العالم في الدين والدنيا معاً لا يقوم إلا بهذه الشريعة الجامعة المانعة العادلة تمام العدل لبعث رسولا ينسخ منها ما لا يوافق هذا الزمان بزعم المارقين كما قد كان يفعل قبل فلما جعل نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين فلم يرسل بعده من رسول كان ذلك دليلاً أي دليل على ان هذه الشريعة وافية كافية . كاملة شافية . كافية بجميع المصالح ديناً ودنياً لا يحتاج معها الى شيء من آراء الرجال وسياساتهم إلا فيما يكون استيضاحاً للحق الذي يرضاه الله ورسوله بعد معرفة مقاصد الشارع تمام المعرفة

ولذلك كان تقديم آراء الغير وعقولهم وأذواقهم ووجداناتهم وسياساتهم المخالفة المناهضة لسياسات الشريعة الحقبة الصحيحة محبطاً للعمل ألبتة وربما كان ردة ومروقاً عن الامة الاسلامية والملة الحنيفية أعاذنا الله تعالى .. قال تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) وقال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) فليحذر السياسيون أن يسوسوا الناس بغير ما أنزل الله فانهم مع انه لا يتم لهم أمر ولا يستقيم لهم حال يخشى عليهم من الردة والمروق من الدين فيكونون ممن خسر الدنيا والآخرة .. وقال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) فجعل من لوازم الايمان أن لا يذهبوا مذهباً اذا كانوا

معه الا باستئذانه فما بالك بالذهاب في دين الله والحكم بين الناس فانه أولى أن يكون من لوازم الايمان ان لا يذهبوا ذلك المذهب إلا بعد استئذانه بدلالة ما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم على انه أذن فيه .. وقال تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسل وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين . وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون) ثم قال تعالى (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) فبين ان المؤمنين ليس لهم إلا السمع والطاعة لحكم الله ورسوله وانه ليس لهم الى المخالفة سبيل أبداً ..

وقال تعالى (وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) . أخرج ابن ماجه في سننه عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطاً وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن يساره ثم وضع يده في الخط الاوسط فقال هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية * وقال تعالى (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) . فاذا كان قد أمرهم باتباع أحسن ما أنزل اليهم فيما يعترضهم فيه الأوامر الوجوب والندب أو الندب والاباحة على ما قيل في التفسير وأنذرهم مفاجأتهم العذاب إن لم يفعلوا ذلك فما الشأن فيما سبيله القطع فيه بالافتراض والتحتيم قولاً واحداً كالحكم بين الناس بما أنزل الله . وقال تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) . وقال تعالى (وهذا كتاب مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون) . وقال تعالى (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) فنبه على ان التولى عن حكم الله وحكم رسوله الى غيره كفر . وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفياً) . وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدون فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها

الانهار ومن يتول يعذبه عذاباً أليماً) وقال تعالى (وأطيعوا الرسول فإن توليتم فأنما على رسولنا البلاغ المبين) وقال تعالى (وقد آتيناك من لدنا ذكراً من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً) وقال تعالى (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه) وقال تعالى (فن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) أي صد الناس وصرفهم عنها (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) وقال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب) فأمر بالآثار والانتها ثم حذر عن المخالفة

(هذا) وكمن أمثال هذه الآيات الجليلة المحذرة عن مخالفة الكتاب والسنة وكفى بواحدة منها لمن أوتي رشده . ومن لا فلا تغنيه قراءة جميع الكتب الالهية عليه . ثم ليس العجب من قوم يدعون الاسلام يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . غلب عليهم هواهم . فأصمهم وأعمهم . حتى رفضوا العمل بقانون ربهم الذي انزله على نبيه وعملوا بقوانين اهل الكفر والصليب إقامة لرياساتهم وقضاء لشهواتهم . غفلة منهم عن اليوم الموعود الذي تجدد فيه كل نفس ما عملت من خير أو شر محضراً بين يديها . وانما العجب العجيب ممن يتزبون بزي أهل القرآن . ويتسمون بأسماء اهل الايمان . يختلفون الافك والفشار . ولا يخشون المسبة والعار . بلغوا من الجهل مبلغاً دونه جهل اليهود والنصارى فيزعمون ان الشريعة المحمدية مانعة لهم من ترقبهم . او معوقة عن مرامهم ومرامهم . فلا تصلح لاهل هذا الزمان . وانقطع حكمها ووقع في حيز خبر كان . فنسخوها بآرائهم الكاسدة . وأهوائهم الفاسدة . ومشتبهات اطباعهم الخبيثة العاطلة . ومقتضيات أميائهم الخسيسة الباطلة . مسخهم الله تعالى ظاهراً كما قد مسخهم باطناً ليكونوا عبرة للغابرين ومثلة في الحاضرين . فهو لاء المردة المارقون لادواء اتبع فيهم من تمكن الصوارم البوائر من رقابهم وقطع دابرهم حتى لا يقوى حزبهم . ولا يكثر جمعهم أبادهم الله ودمرهم وشتت شملهم ومزقهم كل ممزق .

وهؤلاء الاوغاد لم يقدرُوا الشريعة حق قدرها ولم يعلموا ان مبنائها على الحكم ومصالح العباد . في المعاش والمعاد . وانها عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه . وظله في ارضه وهي نوره الذي به أبصر المبصرون . وهداه الذي به اهتدى المهتدون . وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل . وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل . فهي قرة العيون وحياة القلوب ولذة الارواح . فيها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة وكل خير في الوجود فانما هو مستفاد منها وحاصل بها . وكل نقص في الوجود ففسببه من اضعائها . ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوى العالم وهي العصمة للناس وقوام العالم وبها يمسك الله السموات والارض أن تزولا . فاذا أراد الله تبارك وتعالى خراب الدنيا وطى العالم رفع اليه ما بقي من رسومها . فهي عمود العالم وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة .

والعجب ايضا من قوم لا يرون تمام الترقى إلا في التشبه بالكفار وعبدَةِ الاصنام . لزعمهم انهم بلغوا من التمدن والترقى مبالغاً لم يبلغه غيرهم من الانام فان هؤلاء ايضا قوم لا خلاق لهم قد قصروا نظرهم على النعيم الفاني العاجل . ونسوا النعيم المقيم الآجل . فهم أشبه بالانعام . بل هم أضل وان لبسوا ثياب الانام . دينهم ودينهم تقليد أولئك والنزى بزيهم والاحتذاء بهم في أقوالهم وأفعالهم ومطاعهم ومشاربهم وملابسهم فلهم في أولئك الاسوة التامة لاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فهم ليسوا ممن يرجو الله واليوم الآخر . وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وآله وسلم الثابت من طرق في الصحيح « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا اليهود والنصارى قال فمن » فانا لله وانا اليه راجعون

فاياكم اياكم عباد الله ومخالفة الشريعة التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه قيد شبر فان المخالفة والله الذي لا اله غيره عين الهلاك والعمى والخسران المبين * واياكم اياكم أن تظنوا ان الكتاب والسنة اللذين هما الشريعة

لم يفيا بجميع أحكام الحوادث فان هذا خطأ جسيم وبهتان عظيم فقد قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) وقال تعالى (ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) وقال تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكري لقوم يؤمنون) وقال تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الارض) وقال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) وقال تعالى (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) أى للحالة أو الالة أو للطريقة التي هي أقوم الحالات أو المال أو الطرق وقال تعالى (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً) وقال تعالى (ولقد جئناكم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون)

إذا تأمل المتأمل قوله (فصلناه على علم) وعرف عظم موقعه وبلاغته وعلم ان علوم العالمين أجمعين كلها تتلاشى وتضمحل في جنب علم الله تعالى بما ينفع ويصلح وما يضر ويفسد لم يشك ان القرآن قد تكفل ببيان مافيه صلاح المعاش والمعاد ونظام الدين والدنيا معا على اكمل وجه وأباهه حيث تولى تفصيله العليم الخبير الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض مما كان أو يكون وقال تعالى (قد أنزل الله اليكم ذكراً رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور) وقال تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبيناً فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً) وقال

تعالى (كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) وقال تعالى (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه أنيب) وقال تعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هدهم حتى يبين لهم ما يتقون) فبين سبحانه للعباد جميع ما يتقونه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال تعالى (فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)

قال أهل التفسير عموما الرد الى الله الرد الى كتابه والرد الى الرسول الرد اليه ذاته فى حياته والرد الى سنته وهى أقواله وأفعاله وتقريراته بعد وفاته . فأمر الله بالرد اليه والى الرسول ليس الا لأن كتاب الله ببيان الرسول فاصل للنزاع وقاطع للخلاف ولا بد . هذا فيما تنازع فيه المؤمنون . فما بالاك بما اتفقوا عليه فالرد فيه أوجب وأوجب وقال تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) وقال تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) فأنتم ترون انه سبحانه أخبر فى هذه الآيات أنه أنزل الكتاب لبيان حكم ما اختلف فيه الناس وجعله هدى وجعله رحمة وجعله شفاء للقلوب والصدور من الظلمات وجعله مخرجاً من الظلمات الى النور وجعله نوراً وجعل اليه التنازع والتحاكم الى غير ذلك من أوصافه التى لا تحصى فكيف يكون بهذه الاوصاف التى وصفه الله سبحانه بها وبالناس حاجة الى قوانين البشر وأوضاعهم وسياساتهم فما دام بالناس حاجة ما فى آية جزئية الى أى قانون ورأى لم يكن بتلك الاوصاف والله أصدق القائلين . فتبين بذلك أنه ما غادر صغيرة ولا كبيرة من أمور الدين والدنيا وما يتعلق بصلاح المعاش والمعاد الا وتكفل بها واحدة واحدة عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله قال الشرف البوصيري فى آيات القرآن

لها معان كوج البحر في مدد * وفوق جوهره في الحسن والقيم
فما تعد ولا تحصى عجائبها * ولا تسام على الاكثار بالسأم
قرت بها عين قاريها فقلت له * لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم
ولكن الافهام والعقول متفاوتة فمن يصادف فهمه المحز ويطبق المفصل فهذا
هو الذي له أجران — ومن يخطئه ولا يصيبه بعد بذل الوسع وهذا هو الذي
له أجر واحد كما ثبت ذلك في الصحيح — ومن فاهم ومستنبط من آية حكما ومن
فاهم ومستنبط حكمين ومن فاهم ومستنبط أكثر ففضل الله تعالى ليس بمحذور
عن أحد يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
« من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي »

وبالجملة فالقرآن متكفل بنظام المعاد والمعاش في التفرق والاجتماع على أكمل
وجه وأجمله لمن كحل بنور التوفيق بصيرته . وطهر بقاء الايمان سريره . ووجه
اليه همته . وصرف فيه مدته * قال الامام الشافعي في سورة العصر لو فكر الناس
كلهم في هذه السورة لكففتهم — وفي لفظ عنه لو لم ينزل الله على خلقه حجة
الا هذه السورة لكففتهم . وقد بين معناه وأوضح مغزاه الامام ابن القيم في
مفتاح دار السعادة بأبلغ وجه وأعلاه فقال ما نصه : ويبان ذلك أن المراتب
أربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله احداها معرفة الحق . الثانية عمله به
الثالثة تعليمه من لا يحسنه . الرابعة صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه . فذكر
تعالى المراتب الاربعة في هذه السورة . وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر
ان كل أحد في خسر الا الذين آمنوا وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به فهذه
مرتبة . وعملوا الصالحات وهم الذين عملوا بما علموه من الحق فهذه مرتبة أخرى .
وتواصوا بالحق وصى به بعضهم بعضا تعلما وارشادا فهذه مرتبة ثالثة . وتواصوا
بالصبر صبروا على الحق ووصى بعضهم بعضا بالصبر عليه والثبات فهذه
مرتبة رابعة . وهذا نهاية الكمال فان الكمال أن يكون الشخص كاملا في نفسه
مكملا لغيره . وكماله باصلاح قوته العلمية والعملية . فصلاح القوة العلمية بالايمان

وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات وتكميله غيره بتعليمه إياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل . فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره . والحمد لله الذي جعل كتابه كافيًا عن كل ما سواه شافيًا من كل داء هاديًا إلى كل خير اهـ

وأخرج الترمذي في جامعه عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ستكون فتن كقطع الليل المظلم قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل . من تركه تَجِبَرَا (وفي رواية من جبار) قصمه الله . ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين . ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تتشعب معه الآراء ولا تشيع منه العلماء ولا تملة الاتقياء . من علمه سبق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم » * وفي مراسيل أبي داود السجستاني عن يحيى بن جعدة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بكتاب في كتف قال « كفى بقوم ضلالة أن يبتغوا كتابا غير كتابهم إلى نبي غير نبيهم فأُنزل الله عز وجل أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم - * وعن أبي قلابة أن عمر مر بقوم من اليهود فسمعهم يذكرون دعاء من التوراة فانتسخه ثم جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرؤه ووجه النبي صلى الله عليه وسلم يتغير فقال رجل يا ابن الخطاب ألا ترى ما في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع عمر الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله عز وجل بعثني خاتما وأعطيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي الحديث اختصارا فلا يلهمنكم المتهاونون » فقلت لابي قلابة ما المتهاونون قال المتحبرون اهـ *

وأخرج البخاري في كتاب الاعتصام في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء » عن عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس رضي الله عنهما قال كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على

رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث (١) تقرأونه محضاً لم يشب (٢) وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً . ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم . لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم *

وأخرج البخاري فيه ومسلم في الوصايا عنه عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال وفيهم عمر بن الخطاب قال «هلم أكتب لكم كتاباً إن تضلوا بعده» فقال عمر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجد وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله تعالى واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قروا يكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً إن تضلوا بعده . ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكتروا اللغظ والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وسلم قال قوموا عني * قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم وغطهم *

فتأمل هذه الأحاديث وأعطاها حقها من التأمل الصادق تعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يحوجنا معشر أهل القرآن إلى كتاب آخر من الكتب السماوية بل اشتمل كتابنا على جميع ما فيها من المحاسن وعلى زيادات كثيرة لا توجد فيها فلماذا كان مصداقاً لما بين يديه من الكتب ومهيئاً عليها يقرر ما فيها من الحق ويبطل ما حرف منها وينسخ ما نسخ الله فيقر الدين الحق وهو جمهور ما فيها ويبطل الدين المبدل الذي لم يكن فيها والقليل الذي نسخ منها *

وأما قول ابن عباس رضي الله عنهما إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم وغطهم فقد قال المتكلمون في شرح هذا الحديث إن عمر رضي الله عنه كان أفقه من ابن عباس وأدق نظراً لا كتفائه بالقرآن وعلمه أن الله تعالى أكمل دينه بقوله

(١) أي أقرب نزولاً إليكم من عند الله (٢) أي لم يخلط به غيره اهـ

تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقوله (اليوم اكملت لكم دينكم) وأمنه الضلال على الأمة . — ولا يقال ان عمر رضى الله عنه لم يرتض أمره صلى الله عليه وسلم بكتابة الكتاب مخالفه وعصاه لانه رضى الله عنه فهم أن هذا الكتاب الذى أراد ان يكتبه لا يخرج عن كتاب الله لعلمه أنه معصوم في تبليغه عن ربه وتبئيت الله له لقوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى) وعلمه أنه لم يترك بيان شيء مما أنزله اليه ربه فخرج ذلك الامر منه في حال اشتداد الوجع به صلى الله عليه وسلم مخرج كلام النصوح الحريص على هداية شخص فهو لا يزال ينصح به بالعبارات المختلفة والاساليب المتعددة حتى يرسخ في فؤاده ما يريد منه فلذلك رأى عدم التثقل عليه صلى الله عليه وسلم في كتابة ذلك الكتاب مع الاستغناء عنه بالقرآن فافهم هذا المعنى فاعله أحسن شيء يندفع به الاعتراض على سيدنا عمر فيما صورته صورة المخالفة *

وفي تركه صلى الله عليه وسلم الانكار على عمر دلالة على حسن فهم عمر وتيقظه لم راده صلى الله عليه وسلم الذى هو الاخذ بكتاب الله بعده حتى لا يضلوا والا فلو كان مراده صلى الله عليه وسلم أن يكتب لهم ما لا يستغنون عنه مما لم يبينه لهم من قبل لم يتركه لاختلافهم ولا لغيره لقوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) كما لم يترك تبليغ غير ذلك لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه كما أمرهم في تلك الحال بثلاث كما أخرجه مسلم عن سعيد بن جبير أمرهم باخراج المشركين من جزيرة العرب واجازة الوفد بنحو ما كان يجيزهم وسكت عن الثالثة أو ذكرها ونسيها سعيد الراوي قالوا الثالثة هي تجهيز جيش اسامة رضى الله عنه ويحتمل أنها قوله « لا تتخذوا قبري وثنا يعبد » فانظر فانه لم يرجعه تنازعهم واختلافهم ولغظهم عنده عن بيان هذه الثلاث التى ما كان بينها لهم قبل فلو كان مضمون الكتاب الذى أراد أن يكتبه لهم مما لم يسبق بيانه ما كان ليسكت عن بيانه بحال فرضى الله عن عمر ما أدق نظره وأطف فهمه وأصوب فكره *

والقصد هنا ان الله لم يحوجنا بمنه وكرمه الى شيء آخر من الكتب السالفة كما كان أحوج أهل الانجيل لفهم التوراة واتباعها ليكون المسيح عليه السلام كان متبعاً في الاكثر لشريعة التوراة : ولذا قال (ولا تحل لكم بعض الذي حرم عليكم) فكيف يحوجنا الى شيء من قوانين البشر وأوضاعهم وسياساتهم حاشا لله ومعاذ الله * ومن ظن ذلك فان كان جاهلاً بين له وفهم والا فهو كافر حلال الدم والمال في جميع مذاهب علماء المسلمين قولاً واحداً فان من ظن ان هذه الشريعة الكاملة التي ما طرق العالم شريعة أكمل منها ناقصة تحتاج الى سياسة خارجة عنها تسكملها فهو كمن ظن أن بالناس حاجة الى رسول آخر غير رسولهم الذي يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث — وكذلك من ظن أن شيئاً من أحكام الكتاب والسنة النبوية الثابتة الصحيحة بخلاف السياسة والمصلحة التي يقتضيها نظام الدنيا فهو كافر قطعاً . ولا يظن ذلك الا من بلغ به الجهل بمرتبة الشريعة الغراء وأحكامها الحقة النقية البيضاء . اى أسفل سافلين * وايماناً فرد ظن ذلك أو تخاليج الشك في صدره في حكم من أحكامها فليعرض ذلك على أهل العلم بالكتاب والسنة حقيقة دون أهل الفلسفة وفصول العلوم حتى يتبين له حقيقة الحال . وتنقشع عن سماء قلبه سحائب الاوهام والضلال *

قال الحافظ ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة مانصه : وتأمل حكمته تبارك وتعالى في ارسال الرسل في الامم واحداً بعد واحد كلما مات واحد خلفه آخر لحاجتها الى تتابع الرسل والانبياء لضعف عقولها وعدم اكتفائها بآثار شريعة الرسول السابق فلما انتهت النبوة الى سيدنا محمد بن عبد الله رسول الله ونبيه أرسله الى أكمل الامم عقولاً ومعارف وأصحبها أذهاناً وأغزرها علوماً وبعثه بأكمل شريعة ظهرت في الارض منذ قامت الدنيا الى حين مبعثه فأغنى الله الامة بكامل رسوله وكامل شريعته وكامل عقولها وصحة أذهانها عن رسول يأتي بعده أقام له من أمته ورثة يحفظون شريعته ووكلمهم بها حتى يؤدوها الى نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم فلم يحتاجوا معه الى رسول آخر ولا نبي ولا محدث

« أى ملهم » ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « انه قد كان قبلكم في الامم محدثون فان يكن في امتي أحد فعمر » فجزم بوجود المحدثين في الامم وعلق وجودهم في أمتهم بحرف الشرط وليس هذا بنقصان في الامة عن قبلهم بل هذا من كمال أمتهم على من قبلها فانها لكانها وكمال نبيها وكمال شريعته لا تحتاج الى محدث بل ان وجد فهو صالح للمتابعة والاستشهاد لا أنه عمدة لانها في غنية بما بعث الله به نبيها عن كل منام أو مكاشفة أو الهام أو تحديث : وأما من قبلها فلا حاجة الى ذلك جعل فيهم المحدثون اه *

واذا ثبت أن الله تعالى قد أغنانا أهل الايمان والقرآن . بكتابه وسنة نبيه عن جميع الشرائع وقوانين أهل الافك والبهتان . فما وافقهما فهو العدل كما قال تعالى (فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين) قال تعالى (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) فأمره ان يحكم بينهم بالقسط وأن يحكم بما أنزل الله فدل ذلك على أن القسط هو ما أنزل الله ولذلك قال الله تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) . وما خالفهما فهو عين الظلم والبغى والعدوان وإن ظن انه عدل ومصلحة قال الله تعالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) وقال تعالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وقال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) * والله در البوصيرى حيث قال في آيات القرآن *

وكالصراط وكالميزان معدلة * فالقسط من غيرها في الناس لم يقم
نم الشرع الذي أنزل الله ويجب على حكام المسلمين العمل به كما انه عدل
كله رحمة كله ومصلحة كله وحكمة كله فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور
وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من
الشرع وان أدخلت فيه بشبهة * فليس في الشرع ظلم أو قسوة أو عبث أصلا بل

حكم الله أحسن الأحكام كما قال تعالى (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)
فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل وكل من حكم بغيره فقد ظلم :
ومن لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله واستحل أن يحكم بين
الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر فانه لا عبرة بما يراه
عدلاً من غير أن يكون موافقاً لما أنزل الله إذ مامن أمة الا وهي تأمر بالحكم
بالعدل لكن قد يكون العدل في دينها ماراً بالكبرهم بل كثير من المنتسبين الى
الاسلام يحكمون بعاداتهم الجارية بينهم التي لم ينزلها الله كسوالف البادية وكوامر
المطاعين فيهم ويرون ان هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة وهذا
هو الكفر . فهو لا اذا عرفوا انه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل
استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار والا كانوا جها لاضلالا يعلمون *
والحاصل ان الحكم بالعدل واجب مطلقاً في كل زمان ومكان على كل
أحد ولكل احد : والحكم بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو أكمل
أنواع العدل وأحسنها والحكم به واجب على النبي صلى الله عليه وسلم وكل
من اتبعه ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر ومن اعتقد ان يحكم بين الناس
يقول اي احد كان ولا يحكم بينهم بالكتاب والسنة فهو كافر وظالم لنفسه
وبغيره من المحكوم له وعايه والله حسن الختام *

وجملة القول أنا معشر أهل الايمان والقرآن لا يجوز لنا أن نتبع قانوناً سوى قانون
ربنا تبارك وتعالى ولا نرضاه ولا نقبله بل هو رد على ما جاء به بحكم الله ورسوله *
هذا ماوجب علينا كتابته شرعاً بحكم وجوب أداء الامانة التي ائتمنا الله عليها
معشر أهل العلم وما علينا إلا البلاغ . ان أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي
إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب * وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً
آمين والحمد لله رب العالمين *

(تمت الرسالة)

رسالة

في اثبات الاستواء والفوقية

— ومسألة —

الحرف والصوت في القرآن المجيد

وتنزيه الباري عن الحصر والتثيل والكمية

للشيخ العالم العلامة أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني

والد امام الحرمين توفي سنة ٤٣٨ هـ^(١)

—>>>◀◀◀—

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد

الحمد لله الذي كان . ولا مكان . ولا انس . ولا جان . ولا طائر . ولا حيوان . المنفرد بوحدايته في قدم ازليته والدايم في فردانيته في قدس صمدانيته .

(١) اقول ترجمه العلامة تاج الدين السبكي في طبقاته وأختصر منها ما بهم القراء فأقول هو الشيخ ابو محمد الجويني والد امام الحرمين أوجد زمانه علماً وزهداً وتقشفاً زائداً ونحرياً في العبادات كان يلقب بركن الاسلام له المعرفة التامة بالفقه والاصول والنحو والتفسير والادب وكان لفرط الديانة لا يجري بين يديه الا الجود والكلام اما في علم أو زهد ونحري على التحصيل : قال الامام القشيري كان المتأخرون في عصره والمحققون من أصحابنا يمتدنون فيه من السكمال والفضل والحاصل الحميدة انه لو جاز ان يبعث الله نبياً في عصره لما كان الا هو من حسن طريقته وزهده وكمال فضله : وقال شيخ الاسلام الصابوني في حقه لو كان الجويني من بني اسرائيل لنقل اليها شمله ولا فتخروا به : وقد شرع في كتاب سماه المحيط عزم فيه على عدم التقييد بالمذهب وان يقف على مورد الاحاديث لا يمتدداها ويتجنب جانب العصبية للمذاهب : وقد صنف تفسيراً كبيراً يشتمل على عشرة أنواع من العلوم في كل آية : وهذه النسخة وجدت في رواق الشام بدون تاريخ نسخها

ليس له سمي ولا وزير. ولا شبيه ولا نظير. المتفرد بالخلق والتصوير. المتصرف بالمشيئة والتقدير. (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) له الرفعة والعلاء . والحمد والثناء والعلو والأستواء . لا تحصره الاجسام . ولا تصوره الاوهام ولا تقفه الحوادث ولا الاجرام ولا تحيط به العقول ولا الافهام . له الاسماء الحسنى والشرف الاتم الاسنى والدوام الذى لا يبيد ولا يفنى . نصفه بما وصف به نفسه من الصفات التى توجب عظمتة وقدمه . مما أنزله في كتابه وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم في خطابه . ونؤمن بأنه الله الذى لا إله إلا هو الحي القيوم السميع البصير العليم القدير الرحمن الرحيم الملك القدوس العظيم لطيف خبير قريب مجيب متكلم شاء مرید فعال لما يريد يقبض ويبسط ويرضى ويغضب ويحب ويغض ويكره ويضحك ويأمر وينهى ذو الوجه الكريم والسمع السميع والبصر البصير والكلام المبين واليدين والقبضتين والقدرة والسلطان والعظمة والامتنان لم يزل كذلك ولا يزال . استوى على عرشه فبان من خلقه لا يخفى عليه منهم خافية . علمه بهم محيط وبصره بهم نافذ وهو في ذاته وصفاته لا يشبهه شيء من مخلوقاته ولا يمثل بشيء من جوارح مبتدعاته . هي صفات لا تقة بجلاله وعظمتة لا تمخيل كيفيتها الظنون ولا تراها في الدنيا العيون . بل نؤمن بحقائقها وثبوتها واتصاف الرب تعالى بها وننفي عنها تأويل المتأولين وتعطيل الجاحدين وتمثيل المشبهين تبارك الله أحسن الخالقين . فبهذا الرب نؤمن وإياه نعبد وله نصلي ونسجد . فمن قصد بعبادته الى اله ليست له هذه الصفات فانما يعبد غير الله وليس معبوده ذلك بآله . فكفر انه لا غفر انه . ونشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله اصطفاه لرسالته واختاره لبريته وأنزل عليه كتابه المبين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أكرم الآل وأفضل العبيد

وبعد فهذه نصيحة كتبها الى اخواني في الله أهل الصدق والصفاء والاخلاص الوفاء لما تعين على من محبتهم في الله ونصيحتهم في صفات الله عز وجل

فان المرء لا يكمل ايمانه حتى يحب لاختيه ما يحبه لنفسه. وفي الصحيح عن جرير بن عبد الله البجلي قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم. وعن تميم الداري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «الدين النصيحة ثلاثا قال لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم» أعرفهم أيدهم الله تعالى بتأييده ووقفهم لطاعته ومزيده انتم كنتم برهمة من الدهر متحيراً في ثلاث مسائل مسألة الصفات ومسألة الفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد وكنت متحيراً في الاقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها أو امرارها والوقوف فيها أو اثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل فأجد النصوص في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ناطقة منبهة بحقائق هذه الصفات. وكذلك في اثبات العلو والفوقية وكذلك في الحرف والصوت. ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم منهم من يؤول الاستواء بالقهر والاستيلاء ويؤول النزول بنزل الامر ويؤول اليمين بالقدرتين أو النعمتين ويؤول القدم بقدم صدق عند ربهم وأمثال ذلك ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائماً بالذات بلا حروف ولا صوت ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم

ومن ذهب الى هذه الاقوال وبعضها قوم لهم في صدرى منزلة مثل طائفة من فقهاء الاشعرية الشافعيين لاني على مذهب الشافعي رضى الله تعالى عنه عرفت فرائض ديني وأحكامه فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الاجلة يذهبون الى مثل هذه الاقوال وهم شيوخي ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم ثم انتم مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي اليها واجد الكدر والظلمة منها وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقروناً بها فكنت كالتحير المضطرب في تحيره المتململ من قلبه في قلبه وتغيره

وكنت أخاف من اطلاق القول باثبات العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه ومع ذلك فاذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله

صلى الله عليه وسلم أجدها نصوصاً تشير الى حقائق هذه المعاني وأجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد صرح بها مخبراً عن ربه واصفاً له بها وأعلم بالاضطرار انه صلى الله عليه وسلم كان يحضري مجلسه الشريف والعالم والجاهل والذكي والبليد والاعرابي والجاني ثم لا اجد شيئاً يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها لانصاً ولا ظاهراً مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها كما تأولها هؤلاء مشايخي الفقهاء المتكلمين مثل تأويلهم الاستيلاء بالاستواء ونزول الامر للنزول وغير ذلك ولم اجد عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يحذر الناس من الايمان بما يظهر من كلامه في صفته لديه من الفوقية واليدين وغيرها ولم ينقل عنه مقالة تدل على ان لهذه الصفات معاني اخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها مثل فوقية المروية (١) ويد النعمة والقدرة وغير ذلك وأجد الله عز وجل يقول (الرحمن على العرش استوى) (خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش) (يخافون ربهم من فوقهم) (اليه يصعد الكلم الطيب) (آمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض أم آمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً) (قل نزله روح القدس من ربك) (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلى أبلغ الأسباب السموات فاطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) وهذا يدل على ان موسى أخبره بأن ربه تعالى فوق السماء ولهذا قال وإني لأظنه كاذباً وقوله تعالى (ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) الآية : ثم اجد الرسول صلى الله عليه وسلم لما اراد الله تعالى ان يخصه بقربه عرج به من السماء الى السماء حتى كان قاب قوسين أو أدنى ثم قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح للجارية « أين الله فقالت في السماء » فلم ينكر عليها بحضرة أصحابه كيلاً (٢) يتوهوا ان الامر على خلاف ما هو عليه بل أقرها وقال اعتقها فانها مؤمنة : وفي حديث حبيب بن مطعم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله فوق عرشه فوق سمواته وسمواته فوق أرضه مثل القبة وأشار النبي صلى الله عليه

« ١ » لعله القهرية (٢) غلة للنبي قبله

وسلم بيده مثل القبة » وقوله صلى الله عليه وسلم « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الارض يرحمكم من في السماء » أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح وعن معاوية بن الحكم السلمي قلت يا رسول الله « أفلا أعتقها قال ادعها فدعوتها قال فقال لها أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعتقها فانها مؤمنة » (١) رواه مسلم ومالك في موطئه . وعن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من اشتكى منكم شيئاً أو اشتكى أخ له فليقل ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك أمرك فى السماء والارض كما رحمتك فى السماء اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على الوجع فيبرأ » أخرجه ابو داود : وعن ابى سعيد الخدرى قال بعث على من اليمين بذهبية في اديم مقروظ (٢) لم تحصل من ترابها فقسما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اربعة زيد الخير والاقرع بن حابس . وعيينة ابن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل شك عمارة فوجد من ذلك بعض اصحابه والانصار وغيرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الا تأمنوني وانا أمين من في السماء يأتيني خبر من في السماء صباحا ومساء » أخرجه البخارى ومسلم وعن ابن ابى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال ان الميت تجضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب أخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى

(١) ولفظ الحديث هكذا « كانت لي غنم بين احد والجوانية فيها جارية لي فأطلمتها ذات يوم فاذا الذئب قد ذهب منها بشاة وأنا رجل من بنى آدم فأسفت فصككتها فتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم تذكرت ذلك له فمظم ذلك علي فقلت يا رسول الله أفلا أعتقها قال ادعها فدعوتها فقال لها أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أعتقها فانها مؤمنة » أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي
(٢) قوله « بذهبية » تصغير ذهبية وفي رواية مسلم بذهب بغير تصغير : وقوله مقروظ أي مدبوغ بالقرظ : وقوله لم تحصل أي لم تخلص من تراب المدن فكأنها كانت تبرا وتخلصها بالسبك :

تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقول فلان فيقولون مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أدخلت حميدة وابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال ذلك حتى تنتهي الى السماء التي فيها الله عز وجل» الحديث (١) : — وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «والذي نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشها فتأبى عليه الا كان الذى في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها» أخرجه البخاري ومسلم: ابو داود حدثنا محمد بن الصباح حدثنا الوليد بن ابى نور عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة فنظر اليها فقال ما تسمون هذه قالوا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا والعنان قال هل تدرون ما بعد ما بين السماء والارض قالوا لا ندري قال ان بعد ما بينهما إما واحدة وإما اثنتان أو ثلاثة وسبعون سنة ثم السماء فوق ذلك حتى عدد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعله مثل ما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين اظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء ثم على ظهورهم العرش أسفله وأعله مثل ما بين سماء الى سماء ثم الله عز وجل فوق ذلك (٢) قال الامام الحافظ عبد الغنى في عقيدته لما ذكر حديث الاوعال قال رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه وقال حديث الروح رواه احمد والدارقطنى: وعن ابى هريرة قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق ان رحمته سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش» أخرجه البخاري ومسلم: محمد بن اسحاق عن معبد بن كعب بن مالك أن سعد بن معاذ لما حكم في قريظة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت حكماً حكاه الله به من فوق.

(١) رواه الامام احمد بن حنبل في مسنده والحاكم في مستدركه وقال هو على شرط البخاري ومسلم: (٢) الحديث حسنه الترمذي وهو ضعيف واعل بحهالة عبد الله بن عميرة:

سبع أرقعة (١) » وحديث المعراج عن أنس بن مالك ان مالك بن صعصعة حدثه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلته اسرى به وساق الحديث الى ان قال «ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بيم أمرت قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة واني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك واسأله التخفيف لأمتك قال فرجعت فوضع عنى عشرأ فرجعت إلى موسى فقال مثل ذلك فرجعت إلى ربي فوضع عنى عشرأ خمس مرات في كلها يقول فرجعت إلى موسى ثم رجعت إلى ربي» أخرجه البخاري ومسلم: وحديث أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج اليه الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي» متفق عليه: وعن ابن عمر قال «لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه ابو بكر رضي الله تعالى عنه فأكب عليه وقبل جبينه وقال بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً وقال من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت» (٢)

حدوثنا وتسفلنا هو فوقنا فاذا أشرنا اليه تقع الاشارة عليه كما يليق به لا كما تنوهم في الفوقية المنسوبة الى الاجسام لكننا نعلمها من جهة الاجمال والثبوت لا من جهة التمثيل والتكييف والله الموفق للصواب ومن عرف هيئة العالم ومركزه من علم الهيئة وانه ليس له الا جهتا العلو والسفل ثم اعتقد بينونة خالقه عن العالم فمن لوازم البينونة أن يكون فوقه لان جميع جهات العالم فوق وليس السفلى الا المركز وهو الوسط

(١) قال الحافظ الذهبي في كتابه العلو بعد ما اوردهذا الحديث هذا مرسل

(٢) هنا سقط في الاصل لم نهتد اليه من نسخ أخرى فمن عشر على نسخة

أخرى فيها النقص فليثبت له الفضل :

فصل

إذا علمنا ذلك واعتقدناه تخاصنا من شبه التأويل وعمادة التعطيل وحقاقة التشبيه والتمثيل واثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته والحق واضح في ذلك والصدور تنشرح له فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره والوقوف في ذلك جهل وعي مع كون أن الرب تعالى وصف لنا نفسه بهذه الصفات لتعرفه بها فوقفنا عن اثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا إياها فما وصف لنا نفسه بها إلا لثبت ما وصف به نفسه لنا ولا نقف في ذلك وكذلك التشبيه والتمثيل حقاقة وجهالة فمن وفقه الله تعالى للاثبات بلا تحريف ولا تكيف ولا وقوف فقد وقع على الأمر المطلوب منه إن شاء الله تعالى

فصل

والذي شرح الله صدرى في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء والنزول بنزول الأمر واليدين بالنعمتين والقدرتين هو علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب تعالى إلا ما يليق بالخلق ففهموا عن الله استواء يليق به ولا نزول يليق به ولا يدين تليق بعظمته بلا تكيف ولا تشبيه فلذلك حرقوا الكلام عن مواضعه وعطلوا ما وصف الله تعالى نفسه به ونذكر بيان ذلك إن شاء الله تعالى

لأريب أنا نحن وإياهم متفقون على إثبات صفات الحياة والسمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة والكلام لله ونحن قطعاً لانعقل من الحياة إلا هذا العرض الذي يقوم بأجسامنا وكذلك لانعقل من السمع والبصر إلا أعراضا تقوم بجوارحنا فكما أنهم يقولون حياته ليست بعرض وعلمه كذلك وبصره

كذلك هي صفات كما يليق به لا كما يليق بنا فكذلك نقول نحن حياته معلومة
وايست مكيفة وعلمه معلوم وليس مكيفا وكذلك سمعه وبصره معلومان ليس
جميع ذلك اعراضا بل هو كما يليق به

ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله وفوقيته معلومة أعني ثابتة
كثبوت حقيقة السمع وحقيقة البصر فأنهما معلومان ولا يكيفان كذلك فوقيته
معلومة ثابتة غير مكيفة كما يليق به واستواؤه على عرشه معلوم غير مكيف بحركة
أو انتقال يليق بالخلق بل كما يليق بعظمته وجلالة صفاته معلومة من حيث الجملة
والثبوت غير معقولة من حيث التكييف والتحديد فيكون المؤمن بها مبصراً من
وجه أعنى من وجه مبصراً من حيث الاثبات والوجود اعنى من حيث التكييف
والتحديد وبهذا يحصل الجمع بين الاثبات لما وصف الله تعالى نفسه به وبين
نفي التحريف والتشبيه والوقوف وذلك هو مراد الرب تعالى منا في ابراز صفاته
لنا لنعرفه به ونؤمن بحقائقها وننفي عنها التشبيه ولا نعطيها بالتحريف والتأويل
ولافرق بين الاستواء والسمع ولا بين النزول والبصر الكل ورد في النص

فان قالوا لنا في الاستواء شبهتم نقول لهم في السمع شبهتم ووصفتم ربكم
بالعرض فان قالوا لاعرض بل كما يليق به قلنا في الاستواء والفوقية لاحصر بل
كما يليق به فجميع ما يلزمونا به في الاستواء والنزول واليد والوجه والقدم والضحك
والتعجب من التشبيه تلزمهم به في الحياة والسمع والبصر والعلم فكما لا يجعلونها
هم اعراضا كذلك نحن لانجعلها جوارح ولا ما يوصف به المخلوق وليس من
الانصاف أن يفهموا في الاستواء والنزول والوجه واليد صفات المخلوقين فيحتاجوا
الى التأويل والتحريف

فان فهموا في هذه الصفات ذلك فيلزمهم أن يفهموا في الصفات السبع صفات
المخلوقين من الاعراض فما يلزمونا في تلك الصفات من التشبيه والجسمية تلزمهم
به في هذه الصفات من العرضية وما يلزمها ربهم به في الصفات السبع وينفون عنه
عوارض الجسم فيها فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبونا فيها الى

التشبيه سواء بسواء ومن انصف عرف ما قلنا واعتقده وقبل نصيحتنا ودان الله
بإثبات جميع صفاته هذه وتلك ونفى عن جميعها التشبيه والتعطيل والتأويل
والوقوف وهذا مراد الله تعالى منا في ذلك لأن هذه الصفات وتلك جاءت في
موضع واحد وهو الكتاب والسنة فاذا اثبتنا تلك بلا تأويل وحرطنا هذه
وأولناها كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض وفي هذا بلاع وكفاية ان
شاء الله تعالى

فصل

واذا ظهر هذا وبان انجلت الثلاث مسائل بأسرها وهي مسألة الصفات من
النزول واليد والوجه وأمثالها ومسألة العلو والاستواء ومسألة الحرف والصوت :
أما مسألة العلو فقد قيل فيها ما فتحه الله تعالى وأما مسألة الصفات فتساق مساق
مسألة العلو ولا نفهم منها ما نفهم من صفات المخلوقين بل يوصف الرب تعالى بها كما
يليق بجلاله وعظمته فتنزل كما يليق بجلاله وبعظمته ويدها كما يليق بجلاله وعظمته
ووجهه الكريم كما يليق بجلاله وعظمته فكيف ننكر الوجه الكريم ونحرف وقد
قال صلى الله عليه وسلم في دعائه « أسألك لذة النظر الى وجهك » وإذا ثبتت صفة
الوجه بهذا الحديث وبغيره من الآيات والنصوص فكذلك صفة اليدين
والضحك والتعجب ولا يفهم من جميع ذلك الا ما يليق بالله عز وجل وبعظمته
لا ما يليق بالمخلوقات من الأعضاء والجوارح تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

واذا ثبت هذا الحكم في الوجه فكذلك في اليدين والقبضتين والقدم
والضحك والتعجب كل ذلك كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته فيحصل بذلك
إثبات ما وصف الله تعالى نفسه به في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم
ويحصل أيضاً نفى التشبيه والتكليف في صفاته ويحصل أيضاً ترك التأويل
والتحريف المؤدى الى التعطيل ويحصل أيضاً بذلك عدم الوقوف بإثبات الصفات

وحقائقها على ما ياتي بجلال الله تعالى وعظمته لا على ما نعتله نحن من صفات المخلوقين
وأما مسألة الحرف والصوت فتساق هذا المساق فان الله تعالى قد تكلم
بالقرآن المجيد وبجميع حروفه فقال تعالى (الم) وقال (المص) وقال (ق) والقرآن
المجيد (وكذلك جاء في الحديث «فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما
يسمعه من قرب» وفي الحديث «لا أقول الم حرف ولسكن الف حرف لام حرف
ميم حرف» فهؤلاء ما فهموا من كلام الله تعالى الا ما فهموه من كلام المخلوقين فقالوا
ان قلنا بالحروف فان ذلك يؤدي الى القول بالجوارح واللاهوات (١) وكذلك اذا
قلنا بالصوت أدى ذلك الى الحلق والحنجرة عملوا في هذا من التخبط كما عملوا
فيما تقدم من الصفات

والتحقيق هو ان الله تعالى قد تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته فانه
قادر والقادر لا يحتاج الى جوارح ولا الى لهوات وكذلك له صوت كما يليق به
يسمع ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس الى الحلق والحنجرة كلام الله تعالى كما
يليق به وصوته كما يليق به ولا ننفي الحرف والصوت عن كلامه سبحانه
لافتقارهما منا الى الجوارح واللاهوات فانهما من جناب الحق تعالى لا يفتقران
الى ذلك وهذا ينشرح الصدر له ويستريح الانسان به من التعسف والتكلف
بقوله هذا عبارة عن ذلك

فان قيل فهذا الذي يقرأه القارئ هو عين قراءة الله تعالى وعين تكلمه
هو « قلنا لا بل القارئ يؤدي كلام الله تعالى والكلام انما ينسب الى من قاله
مبتدئاً لا الى من قاله مؤدياً مبلغاً ولفظ القارئ في غير القرآن مخلوق وفي القرآن
لا يتميز اللفظ المؤدي عن الكلام المؤدي عنه ولهذا منع السلف عن قول
لفظي بالقرآن مخلوق لانه لا يتميز كما منعوا عن قول لفظي بالقرآن غير مخلوق فان لفظ
العبد في غير التلاوة مخلوق وفي التلاوة مسكوت عنه كيلا يؤدي الكلام في ذلك الى
القول بخلق القرآن وما أمر السلف بالسكوت عنه بحسب السكوت عنه والله الموفق
(١) اللاهوات جمع لهات وهي اللجمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم : ويجمع ايضاً على لهي ولهات :

فصل

العبد اذا أيقن ان الله تعالى فوق السماء عال على عرشه بلا حصر ولا كيفية. وانه الآن في صفاته كما كان في قدمه صار لقلبه قبلة في صلاته وتوجهه ودعائه ومن لا يعرف ربه بأنه فوق سمواته على عرشه فانه يبقى ضائعاً لا يعرف وجهه معبوده لكن لو عرفه بسمعه وبصره وقدمه وتلك بلا هذا معرفة ناقصة بخلاف من عرف ان إلهه الذي يعبد فوق الاشياء فاذا دخل في الصلاة وكبر توجه قلبه الى جهة العرش منزها ربه تعالى عن الحصر مفرداً له كما افرد في قدمه وأزليته عالمًا ان هذه الجهات من حدودنا ولوازمنا ولا يمكننا الاشارة الى ربنا في قدمه وأزليته الا بها لأننا محدثون والمحدث لا بد له في اشارته الى جهة فتقع تلك الاشارة الى ربه كما يليق بعظمته لا كما يتوهمه هو من نفسه ويعتقد انه في علوه قريب من خلقه هو معهم بعلمه وسمعه وبصره واحاطته وقدرته ومشيتته وذاته فوق الاشياء فوق العرش ومتى شعر قلبه بذلك في الصلاة أو التوجه أشرق قلبه واستنار وأضاء بأنوار المعرفة والايمان وعكسته أشعة العظمة على عقله وروحه ونفسه فانشرح لذلك صدره وقوى ايمانه ونزه ربه عن صفات خلقه من الحصر والحلول وذاق حينذاك شيئاً من اذواق السابقين المقربين بخلاف من لا يعرف وجهه معبوده وتكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه فانها قالت في السماء عرفته بأنه على السماء فان في تأتي بمعنى على كقوله تعالى (يتيهون في الارض) أي على الارض : وقوله (لا صلبنكم في جذوع النخل) أي على جذوع النخل فن تكون الراجعة اعلم بالله منه لكونه لا يعرف وجهه معبوده فانه لا يزال مظلم القلب لا يستنير بأنوار المعرفة والايمان ومن أنكر هذا القول فليؤمن به ولا يجرب ولينظر الى مولاه من فوق عرشه بقلبه مبصراً من وجهه أعمى من وجهه كما سبق مبصراً من جهة الاثبات والوجود والتحقيق أعمى من جهة التحديد والحصر والتكليف فانه اذا عمل ذلك وجد ثمرته ان شاء الله تعالى ووجد نوره وبركته عاجلاً وآجلاً (ولا ينبؤك مثل خبير) والله سبحانه الموفق والمعين

فصل

في تقريب مسألة الفوقية من الافهام بمعنى من علم الهيئة لمن عرفه: لا ريب أن أهل هذا العلم حكموا بما اقتضته الهندسة وحكمها صحيح لأنه ببرهان لا يكابر الحس فيه بأن الأرض في جوف العالم العلوى وأن كرة الأرض في وسط السماء كبطيخة في جوف بطيخة والسماء محيطة بها من جميع جوانبها وإن سفلى العالم هو جوف كرة الأرض وهو المركز ونحن نقول جوف الأرض السابعة وهم لا يذكرون السابعة لأن الله تعالى أخبرنا عن ذلك وهم لا يعرفون ذلك وهذه القاعدة عندهم هي ضرورة لا يكابر الحس فيها أن المركز هو جوف كرة الأرض وهو منتهى السفلى والتحت وما دونه لا يسمى تحتاً بل لا يكون تحتاً ويكون فوقاً بحيث لو فرضنا خرق المركز وهو سفلى العالم إلى تلك الجهة لكان الخرق إلى جهة فوق ولو نفذ الخرق جهة السماء من تلك الجهة الأخرى لصعد إلى جهة فوق

وبرهان ذلك أنا لو فرضنا مسافراً سافر على كرة الأرض من جهة المشرق إلى جهة المغرب وامتد مسافر المشي على الكرة إلى حيث ابتدأ بالسير وقطع الكرة مما يراه الناظر أسفل منه وهو في سفره هذا لم تبرح الأرض تحته والسماء فوقه فالسماء التي يشهدها الحس تحت الأرض هي فوق الأرض لا تحتها لأن السماء فوق الأرض بالذات فكيف كانت السماء كانت فوق الأرض من أى جهة فرضتها ومن أراد معرفة ذلك فليعلم أن كرة الأرض النصف الاعلا منها ثقله على المركز والنصف الاسفل منها ثقله على النصف الاعلا أيضاً إلى جهة المركز والنصف الاسفل هو أيضاً فوق النصف الاعلا كما أن النصف الاعلا فوق النصف الاسفل ولفظ الاسفل فيه مجاز بحسب ما يتخيل للناظر وكذلك كرة الماء محيطة بكرة الأرض إلا سدسها والعمران على ذلك السدس والماء فوق الأرض كيف كان وإن كنا نرى الأرض مدحية على الماء فإن الماء فوقها وكذلك كرة الهواء محيطة بكرة الماء وهي فوقها وإذا كان الأمر كذلك فالسماء التي تحت النصف الاسفل

من كرة الارض هي فوقه لا تحته لان السماء على الارض كيف كانت فعلوها على الارض بالذات فقط لا تكون تحت الارض بوجه من الوجوه واذا كان هذا جسم وهو السماء علوها على الارض بالذات فكيف من ليس كمثله شيء وعلوه على كل شيء بالذات كما قال تعالى (سبح اسم ربك الاعلا) وقد تكرر في القرآن المجيد ذكر الفوقية (يخافون ربهم من فوقهم) (اليه يصعد الكلم الطيب) (وهو القاهر فوق عباده) لان فوقيته سبحانه وعلوه على كل شيء ذاتي له فهو العلي بالذات والعلو صفة الثلاثة به كما أن السفل والرسوب والانحطاط ذاتي الاكوان عن رتبة ربوبيته وعظمته وعلوه والعلو والسفل حد بين الخالق والمخلوق يتميز به عنه هو سبحانه على بالذات وهو كما كان قبل خلق الاكوان وما سواه مستقل عنه بالذات وهو سبحانه العلي على عرشه يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج الامر اليه فيحيي هذا ويميت هذا ويمرض هذا ويشفي هذا ويعز هذا ويذل هذا وهو الحي القيوم القائم بنفسه وكل شيء قائم به فرحم الله عبداً وصلت اليه هذه الرسالة ولم يعاجلها بالانكار وافتقر الى ربه في كشف الحق آناء الليل والنهار وتأمل النصوص في الصفات وفكر بعقله في نزولها وفي المعنى الذي نزلت له وما الذي أريد بعلمها من المخلوقات ومن فتح الله قلبه عرف أنه ليس المراد الا معرفة الرب تعالى بها والتوجه اليه منها وإثباتها له بحقائقها وأعيانها كما يليق بجلاله وعظمته بلا تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل ولا جهود ولا وقوف وفي ذلك بلاغ لمن تدبر وكفاية لمن استبصر ان شاء الله تعالى والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم والله سبحانه أعلم

(تمت الرسالة)

رسالة
نور اللمعة
في خصائص الجمعة

تأليف

العلامة المحدث الشيخ جلال الدين السيوطي
المتوفى سنة ٩١١ هـ رحمه الله

—>>><<<—

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خص هذه الامة المحمدية * بما ادخلها من الفضائل السنية *
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البرية (وبعد) فقد ذكر الاستاذ شمس
الدين ابن القيم في كتاب الهدى ليوم الجمعة خصوصيات بضعا وعشرين خصوصية
وقاته اضعاف ما ذكر : وقد رأيت استيعابها في هذه الكراسة منبها على أدلتها على
سبيل الاجاز وتبعتها فتحصلت منها على مائة خصوصية والله الموفق *

﴿ الخصوصية الأولى انه عيد هذه الأمة ﴾

أخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان
هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء الى الجمعة فليغتسل وان كان عنده
طيب فليمس منه وعليكم بالسواك » وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في جمعة من الجمع « معاشر المسلمين ان هذا
يوم جعله الله لكم عيداً فاغتسلوا وعليكم بالسواك »

﴿الخصوصية الثانية انه يكره صومه منفرداً﴾

لحديث الشيخين عن أبي هريرة رضى الله عنه «ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يصوم من أحكم يوم الجمعة إلا ان يصوم قبله أو بعده» وأخرج جابر قال «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الجمعة» وأخرج البخاري عن جويرية أم المؤمنين رضى الله عنها «أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال اصمت أمس قالت لا قال أترين ان تصومي غداً قالت لا قال فافطري» وأخرج الحاكم عن جنادة بن أبي أمية الأزدي قال «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من الأزد يوم الجمعة فدعانا الى طعام بين يديه فقلنا إنا صيام قال اصمت أمس قلنا لا قال أفصومون غداً قلنا لا قال فافطروا لا تصوموا يوم الجمعة منفرداً» وأخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا تخلصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخلصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا ان يكون في صوم يصومه أحدكم» قال النووي الصحيح من مذهبنا وبه قطع الجمهور كراهة صوم يوم الجمعة منفرداً: وفي وجه انه لا يكره إلا لمن لو صامه منعه من العبادة وأضعفه لحديث احمد والترمذي والنسائي وغيرهم عن ابن مسعود «أن النبي صلى الله عليه وسلم قلما كان يفطر يوم الجمعة» وأجاب الأول عنه بأنه صلى الله عليه وسلم كان يصوم الخميس فوصل الجمعة به واختلاف في الحكمة التي كره صومه لاجلها والصحيح كما قال النووي انه كره لانه يوم شرع فيه عبادات كثيرة من الذكر والدعاء والقراءة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فاستحب فطره ليكون اعون على أداء هذه الوظائف بنشاط من غير ملل ولا سآمة وهو نظير الحاج بعرفات فان الأولى له الفطر لهذه الحكمة: قال فان قيل لو كان كذلك لم تزل الكراهة بصوم قبله أو بعده لبقاء المعنى المذكور فالجواب انه يحصل له بفضيلة الصوم الذي قبله أو بعده ما يجبر به ما قد يحصل من فتور أو تقصير في وظائف يوم الجمعة بسبب صومه: وقيل الحكمة خوف المبالغة في تعظيمه بحيث يفتتن به كما افتتن قوم بالسبت. قال وهذا باطل منتقض بصلاة الجمعة وسائر ما شرع فيه من أنواع الشعائر والتعظيم مما ليس في غيره: وقيل الحكمة خوف

اعتقاد وجوبه قيل وهذا منتقض بغيره من الايام التي ندب صومها. وهذا ما ذكره النووي وحكي غيره قولاً آخر ان غلته كونه عيداً والعيد لا يصام واختاره ابن حجر وأيده بحديث الحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً «يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده» وروى ابن أبي شيبة عن علي قال «من كان منكم متطوعاً من الشهر فليصم يوم الخميس ولا يصوم يوم الجمعة فإنه يوم طعام وشراب وذكر» وقال آخرون بل الحكمة مخالفة اليهود فإنهم يصومون يوم عيدهم أي يفردونه بالصوم فنهى عن التشبه بهم كما خولفوا في يوم عاشوراء بصيام يوم قبله أو بعده وهذا القول هو المختار عندي لانه لا ينتقض بشيء.

﴿الخصوصية الثالثة انه يكره تخصيص ليلته بالقيام﴾

للحديث السابق لكن أخرج الخطيب في الرواة عن مالك من طريق اسمعيل بن ابي أويس عن زوجته بنت مالك بن انس ان أباه مالكا كان يحبي ليلة الجمعة «الخصوصية الرابعة قراءة الم تنزيل وهل أتى على الانسان في صباحها» أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال «كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة الم تنزيل السجدة وهل أتى على الانسان» وفي الباب عن ابن عباس وابن مسعود وعلي وغيرهم ولفظ ابن مسعود عند الطبراني يديم ذلك قيل والحكمة في قراءتها الاشارة الى ما فيها من ذكر خلق آدم وأحوال يوم القيامة لأن ذلك كان ويقع يوم الجمعة ذكره ابن دحية وقال غيره بل قصد السجود الزائد (١) وأخرج ابن أبي شيبة عن ابراهيم النخعي انه قال يستحب ان يقرأ في

(١) قال ابن القيم في الهدي ويظن كثير ممن لا علم عنده ان المراد تخصيص هذه الصلاة بسجدة زائدة ويسمونها سجدة الجمعة واذا لم يقرأ احد هذه السورة استحب قراءة سورة اخرى فيها سجدة ولهذا كره من كره من الاثمة المتداومة على قراءة هذه السورة في فجر يوم الجمعة دفماً لتوهم الجاهلين: وقال شيخ الاسلام ابن تيمية انما كان النبي صلى الله عليه وسلم وآله وسلم يقرأ هاتين السورتين في فجر الجمعة لانهما تضمنتا ما كان في يومها فانهما اشتملتا على خلق آدم وعلى ذكر المعاد وحشر العباد وذلك يكون يوم الجمعة وكان في هذا اليوم تذكير للامة بما كان فيه ويكون والسجدة جاءت تبعاً ليست مقصودة حتى يقصد المصلي قراءتها حيث اتفقت:

صباح يوم الجمعة بسورة فيها سجدة* وأخرج أيضاً عنه انه قرأ سورة مريم* وأخرج ابن عون قال كانوا يقرؤون في الصباح يوم الجمعة بسورة فيها سجدة*
﴿الخصوصية الخامسة ان صلاة صبحها أفضل الصلوات عند الله﴾

أخرج سعيد بن منصور في سننه عن ابن عمر انه فقد جهمان في صلاة الصبح فلما جاء قال ما شغلك عن هذه الصلاة أما علمت ان أوجه الصلاة عند الله غداة الجمعة من يوم الجمعة في جماعة المسلمين* وأخرجه البيهقي في الشعب مصر جابر فعه بلفظ «ان أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة» وأخرج البزار والطبراني عن أبي عبيدة بن الجراح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من الصلوات صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة في الجماعة وما احسب من شهدا منكم إلا مغفوراً له
﴿الخصوصية السادسة صلاة الجمعة﴾

واختصاصها بركعتين وهي في سائر الايام اربع
﴿الخصوصية السابعة انها تعدل حجة﴾

أخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال والحوادث بن أبي أسامة في مسنده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الجمعة حج المساكين»* وأخرج ابن زنجويه عن سعيد بن المسيب قال «الجمعة أحب الي من حجة تطوع»*
﴿الخصوصية الثامنة الجهر فيها: وصلوات النهار سرية﴾
﴿الخصوصية التاسعة قراءة الجمعة والمنافقين فيها﴾

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة بسورة الجمعة وإذا جاءك المنافقون» وأخرجه الطبراني في الاوسط بلفظ «بالجمعة يحرض بها المؤمنون» وفي الثانية «بسورة المنافقين يفزع بها المنافقين»
﴿الخصوصية العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة﴾
اختصاصها بالجماعة وأربعين وبمكان واحد من البلد وبأذن السلطان ندباً واشترطاً لما هو مقرر في كتب الفقه:

وأقوى ما رأيته للاختصاص بأربعين ما أخرجه الدارقطني في سننه عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال «مضت السنة ان في كل أربعين فما فوق ذلك جمعة»^(١)
 ﴿الخصوصية الرابعة عشرة اختصاصها بإرادة تحريق من تخلف عنها﴾
 أخرج الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة «لقد هممت أن أمر رجلاً يصلي بالناس ثم أحرق على قوم يتخلفون عن الجمعة بيوتهم»
 ﴿الخصوصية الخامسة عشرة الطبع على قلب من تركها﴾

أخرج مسلم عن ابن عمر وأبي هريرة قالاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين»
 وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن ماجه عن أبي الجعد الضمري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه» وأخرج الحاكم وابن ماجه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من ترك الجمعة ثلاثاً من غير ضرورة طبع الله على قلبه» وأخرج سعيد بن منصور عن أبي هريرة قال «من ترك ثلاث جمع من غير علة طبع الله على قلبه وهو منافق» وأخرج عن ابن عمر «قال من ترك ثلاث جمع متعمداً من غير علة ختم الله على قلبه بخاتم النفاق» وأخرج الاصبهاني في الترغيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ترك الجمعة من غير عذر لم يكن لها كفارة دون يوم القيامة» وأخرج عن سمرة «قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احضروا الجمعة وادنوا من الامام فإن الرجل يتخلف عن الجمعة فيمتخلف عن الجنة وانه لمن أهلها»

(١) أقول أخرجه أيضاً البيهقي وفيه عبد العزيز بن عبد الرحمن قال الامام احمد اضرب على حديثه فأنها كذب او موضوعة : وقال النسائي ليس بثقة وقال الدارقطني منكرو الحديث : وقال ابن حبان لا يجوز ان يحتج به : وقال البيهقي هذا الحديث لا يحتج بمثله : واما ما ذكره من المسكن الواحد وأذن السلطان ندباً أو أشد اما عالم يقيم عليه دليل من كتاب ولا سنة وانما هو اجتهاد الفقهاء في ذلك وليس هنا محل بسطه :

(الخصوصية السادسة عشرة مشروعية الكفارة لمن تركها)

أخرج أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم وابن ماجه عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من ترك الجمعة من غير عذر فليتصدق بدينار فإن لم يجد فبنصف دينار » وأخرج أبو داود عن قدامة بن وبرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فاتته الجمعة من غير عذر فليتصدق بدرهم أو نصف درهم أو صاع حنطة أو نصف صاع »

(الخصوصية السابعة عشرة الخطبة) (الخصوصية الثامنة عشرة الانصات)

روى الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا قلت لصاحبك انصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت » وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وانصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا » وأخرج أبو داود عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب امرأته ان كان لها ولبس من صالح ثيابه ثم لم يتخط رقاب الناس ولم يبلغ عند الموعظة كانت كفارة لما بينهما ومن لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظهراً » وأخرج ابن ماجه وسعيد بن منصور عن أبي بن كعب « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يوم الجمعة سورة براءة وهو قائم يذكر بأيام الله وأبو الرداء وأبو ذر يغمرني فقال متى أنزلت هذه السورة اني لم أسمعها الا الآن فأشار اليه أن اسكت فلما انصرفوا قال سألتك متى أنزلت هذه السورة فلم تخبرني فقال أبي ليس من صلاتك اليوم الا ما لغوت فذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وأخبره بالذي قال أبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أبي » وأخرج سعيد بن منصور عن أبي هريرة قال « لا تغل سبجان الله والامام يخطب يوم الجمعة » وأخرج عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم «من تسكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كالخمار يحمل أسفاراً والذي يقول له أنصت ليس له جمعة»

﴿الخصوصية التاسعة عشرة تحريم الصلاة عند جلوس الامام على المنبر﴾

أخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب قال خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام * وأخرج عن ثعلبة بن ابي مالك قال كنا على عهد عمر بن الخطاب يوم الجمعة نصلي فاذا خرج عمر تحدثنا فاذا تكلم سكتنا * قال النووي في شرح المذهب فاذا جلس الامام على المنبر حرم ابتداء صلاة النافلة وان كان في صلاة خففها بالاجماع نقله الماوردي وغيره * قال البغوي سواء كان صلى السنة أم لا * قال النووي ويمتنع بمجرد جلوس الامام على المنبر ولا يتوقف على الاذان نص عليه الشافعي والاصحاب

﴿قائدة﴾ قال سعيد بن منصور حدثنا هشام أنبأني أبو معشر عن محمد بن قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر سليكا أن يصلي ركعتين أمسك عن الخطبة حتى فرغ منها

﴿الخصوصية العشرون * النهي عن الاحتباء وقت الخطبة﴾

روى أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن ماجه عن معاذ ابن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الحبوة يوم الجمعة والامام يخطب * وأخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر * وقال أبو داود كان ابن عمر يحتجب والامام يخطب وكذلك أنس وجل الصحابة والتابعين قالوا لا بأس بها ولم يبلغني أن أحداً كرهه الا عبادة بن نسي * وقال الترمذي كره قوم الحبوة وقت الخطبة ورخص فيها آخرون وقال النووي في شرح المذهب لا تكره عند الشافعي ومالك واحمد والاوزاعي وأصحاب الرأي وغيرهم وكرهها بعض أهل الحديث للحديث المذكور وقال الخطابي والمعنى أنها تجلب النوم فيعرض طهارته للنقص وتمنع من استماع الخطبة

﴿الخصوصية الحادية والعشرون﴾ نفي كراهة النافلة وقت الاستواء ﴿
أخرج أبو داود عن أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كره الصلاة
نصف النهار الا يوم الجمعة وقال ان جهنم تسجر الا يوم الجمعة
﴿الخصوصية الثانية والعشرون﴾ لا تسجر جهنم في يومها ﴿للحديث المذكور
﴿الخصوصية الثالثة والعشرون استحباب الغسل لها﴾

روى الشيخان عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جاء
منكم الجمعة فليغتسل» وأخرجنا عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال «غسل الجمعة واجب على كل محتلم» وأخرج الحاكم عن أبي قتادة قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من اغتسل يوم الجمعة كان في طهارة
الى الجمعة الاخرى» وأخرج الطبراني عن أبي بكر الصديق وعمران بن حصين
قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه
وخطاياها فاذا أخذ في المشي كتب له بكل خطوة عشرون حسنة فاذا انصرف
من الصلاة أجزى بعمل مائتي سنة» وأخرج بسند رجاله ثقات عن أبي أمامة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان الغسل يوم الجمعة ليستل الخطايا من أصول
الشعر استلالا»

﴿الخصوصية الرابعة والعشرون ان للجماع فيه أجرين﴾

أخرج البيهقي في الشعب بسند ضعيف عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «أيعجز أحدكم ان يجمع أهله في كل جمعة فان له أجرين اثنين أجر غسله
وأجر غسل امرأته» وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن مكحول انه سئل عن
الرجل يغتسل من الجنابة يوم الجمعة قال من فعل ذلك كان له أجران

﴿الخصوصية الخامسة والعشرون الى التاسعة والعشرين﴾

(استحباب السواك والطيب والدهن وازالة الظفر والشعر)

أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال اشهد على رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم وان يستنّ وان يمس طيباً
ان وجد * وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن رجل من الصحابة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال « ثلاث حق على كل مسلم الغسل يوم الجمعة والسواك ويمس
من طيب ان كان » وأخرج البخاري عن سلمان قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويتدهن من دهنه
ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت
اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينها وبين الجمعة الاخرى » وأخرج الحاكم عن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الجمعة « أيها الناس اذا كان هذا
اليوم فاغتسلوا ولبمس أحدكم أطيب ما يجد من طيبه أو دهنه » وأخرج البزار
والطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقلم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل ان يخرج الى الصلاة » وأخرج في
الاوسط عن عائشة قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلم أظفاره يوم
الجمعة وقى من سوء الى مثلها » وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن راشد
ابن سعد قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون من اغتسل يوم
الجمعة واستاك وقلم أظفاره فقد اوجب وأخرج عن مكحول قال من قص أظفاره
وشاربه يوم الجمعة لم يمت من الماء الا صفرة وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي
شيبه عن حميد بن عبد الرحمن الحميدي قال كان يقال من قلم أظفاره يوم الجمعة
أخرج الله منه داء وأدخل فيه شفاء

﴿ الخصوصية الثلاثون استحباب لبس أحسن الثياب ﴾

أخرج احمد وأبو داود والحاكم عن أبي سعيد وأبي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة واستنّ ومس من طيب ان كان عنده
ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد ولم يتخط رقاب الناس ثم ركب
ما شاء الله ان يركب وانصت اذا خرج الامام كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة
التي قبلها » وأخرج احمد عن أبي أيوب الانصاري وأبي الدرداء والحاكم نحوه عن

أبي ذر * وأخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله قال «كان للنبي صلى الله عليه وسلم برد يلبسه في العيدين والجمعة» وأخرج أبو داود عن ابن سلام أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما على أحدكم أن وجد أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته» وأخرج ابن ماجه مثله من حديث عائشة والبيهقي في الشعب مثله من حديث أنس * وأخرج الطبراني في الاوسط عن عائشة قالت «كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبان يلبسهما في جمعة فاذا انصرف طويناها الى مثله» وأخرج في الكبير عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله وملائكته يصلون على أصحاب العائم يوم الجمعة»

﴿الخصوصية الحادية والثلاثون تبخير المسجد﴾

أخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة من مرسل حسن بن علي بن حسين ابن حسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باجمار المسجد يوم الجمعة وأخرج ابن ماجه من مرسل مكحول عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم ورفع أصواتكم وسلاحكم وجروها في كل جمعة» وأخرج ابن أبي شيبة وأبو يعلى عن ابن عمر أن عمر كان يحجر المسجد في كل جمعة

﴿الخصوصية الثانية والثلاثون التبكير﴾

روى الشيخان عن أنس قال كنا نبكر بالجمعة ونقبل بعد الجمعة وأخرج الشيخان عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال من اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» وأخرج البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من

أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا جلس الامام طواوا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر * وأخرج ابن ماجه والبيهقي عن ابن مسعود انه أتى الجمعة فوجد ثلاثة سبقوه فقال رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الناس يجلسون من الله يوم القيامة على قدر رواحهم الى الجمعة الاولى والثاني والثالث » قال البيهقي قوله من الله أى من عرشه وكرامته * وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال باكروا في الغداة بالدنيا الى الجمعة فان الله يبرز لاهل الجنة يوم الجمعة على كسب من كافور أبيض فيكون الناس عنده في الدنيا كعدوهم في الدنيا الى الجمعة * وأخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال عن القاسم بن مخمرة قال اذا راح الرجل الى المسجد كانت خطاه بخطوة درجة وبخطوة كفارة وكتب له بكل انسان جاء بعد قيراط قيراط

(الخصوصية الثالثة والثلاثون) الاستحب الابراء بها في شدة الحر

بمخلاف سائر الايام

أخرج البخارى عن أنس « كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اشتد الحر ابرد بالصلاة بغير الجمعة »

(الخصوصية الرابعة والثلاثون تأخير الغداء والقبلولة عنها)

أخرج الشيخان عن سهل بن سعد قال ما كنا نقيم ولا نتغدى إلا بعد الجمعة وأخرج البخارى عنه قال كنا نصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة ثم تكون القائلة * وأخرج سعيد بن منصور عن محمد بن سيرين قال كان يكره النوم قبل الجمعة ويقال فيه قولاً شديداً أو كانوا يقولون مثله مثل سرية اخفقوا وتدرى ما اخفقوا لم يصيبوا شيئاً

(الخصوصية الخامسة والثلاثون)

تضعيف أجر الذهاب إليها بكل خطوة أجر سنة

أخرج أحمد والاربعة والحاكم عن أوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من غسل يوم الجمعة واغتسل ثم بكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها» وأخرج أحمد بسند صحيح نحوه عن ابن عمر وأخرج أحمد ابن زنجويه في فضائل الأعمال عن يحيى بن يحيى الغساني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مشيك إلى المسجد وانصرافك إلى أهلك في الأجر سواء» وأخرج سعيد ابن منصور نحوه من مرسل الزهري ومكحول والطبراني في الأوسط من حديث أبي بكر الصديق في حديث «وإذا أخذ في المشي إلى الجمعة كان له بكل خطوة عمل عشرين سنة» وسنده ضعيف

(الخصوصية السادسة والثلاثون)

لها أذانان وليس ذلك لصلاة غيرها إلا الصبح

أخرج البخاري عن السائب عن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء فثبت الأمر على ذلك

(الخصوصية السابعة والثلاثون الاشتغال بالعبادة حتى يخرج الخطيب)

تقدم فيه أثر ثعلبة بن مالاك

(الخصوصية الثامنة والثلاثون قراءة الكهف)

أخرج الحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين» وأخرجه سعيد بن منصور موقوفاً بلفظ «أضاء له ما بينه وبين البيت العتيق»

وأخرج عن خالد بن معدان قال من قرأ سورة الكهف قبل ان يخرج الامام كانت له كفارة فيما بينه وبين الجمعة وبلغ نورها البيت العتيق * وأخرج مردويه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى عنان السماء يضيء له الى يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين» وأخرج الضياء في المختارة عن علي قال قال رسول الله عليه وسلم «من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم الى ثمانية أيام وان خرج الدجال عصم منه»

﴿الخصوصية التاسعة والثلاثون قراءة الكهف ليلتها﴾

أخرج الدارمي في مسنده عن أبي سعيد الخدري قال «من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق»

﴿الخصوصية الاربعون قراءة الاخلاص والمعوذتين والفاطحة بعدها﴾
أخرج أبو عبيد وابن الضريس في فضائل القرآن عن أسماء بنت أبي بكر قالت «من صلى الجمعة ثم قرأ بعدها قل هو الله أحد والمعوذتين والحمد سبعاً سبعاً حفظ من مجلسه ذلك الى مثله» وأخرج سعيد بن منصور عن مكحول قال «من قرأ فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد سبع مرات يوم الجمعة قبل ان يتكلم كفر عنه ما بين الجمعتين وكان معصوماً» وأخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال عن ابن شهاب قال «من قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين بعد صلاة الجمعة حين يسلم الامام قبل أن يتكلم سبعاً سبعاً كان مضموناً هو وماله وولده من الجمعة الى الجمعة»

الخصوصية الحادية والاربعون قراءة الكافرين والاخلاص من مغرب ليلتها
أخرج البيهقي في سننه عن جابر بن سمرة قال «كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين»

«الخصوصية الثانية والاربعون قراءة سورة الجمعة والمنافقين في عشاء ليلتها»

للحديث المذكور

«الخصوصية الثالثة والاربعون منع التحلق قبل الصلاة»

أخرج ابو داود من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة قال البيهقي يكره التحلق في المسجد اذا كانت الجماعة كثيرة والمسجد صغيراً وكان فيه منع المصلين عن الصلاة. (١)

«الخصوصية الرابعة والاربعون تحريم السفر فيه قبل الصلاة»

أخرج ابن ابى شيبه عن حسان بن عطية قال من سافر يوم الجمعة دعى عليه ان لا يصاحب ولا يعان على سفره وأخرج الخطيب في رواية مالك بسند ضعيف عن أبى هريرة مرفوعاً «من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه ان لا يصاحب في سفره ولا تقضى له حاجة» وأخرج الدينوري في المجاسة عن سعيد بن المسيب ان رجلاً أتاه يوم الجمعة يودعه لسفر فقال له لا تعجل حتى تصلى فقال أخاف ان تفوتنى أصحابي ثم عجل فكان سعيد يسأل عنه حتى قدم قوم فأخبروه ان رجله انكسرت فقال سعيد انى كنت أظن ان سيصيبه ذلك * وأخرج عن الازاعي قال كان عندنا صياد فكان يخرج في الجمعة لا يمنعه اداء الجمعة من الخروج فحسب به ويبغته فخرج الناس وقد ذهبت بغلته في الارض فلم يبق منها إلا اذناها وذنبها * وأخرج ابن أبى شيبه عن مجاهد ان قوماً خرجوا في سفر حين حضرت الجمعة فاضطرم عليهم خيامهم ناراً من غير نار يرونها

(١) وقال العراقي وحله اصحابنا والجمهور على بابه لانه ربما قطع الصفوف مع كونهم مأمورين يوم الجمعة بالتكبير والترأس في الصفوف الاول فالاول : وقد اختلف الائمة في الاحتجاج بحديث عمرو بن شعيب والله اعلم

« الخصوصية الخامسة والاربعون فيه تكفير الآثام »

أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهما ما لم تغش الكبائر » وأخرج عن سلمان قال « قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدري ما يوم الجمعة قال الله ورسوله أعلم قال هو اليوم الذي جمع الله فيه بين أبويكم لا يتوضأ عبد فيحسن الوضوء ثم يأتي المسجد لجمعة الا كانت كفارة لما بينهما وبين الجمعة الاخرى ما اجتنب الكبائر

الخصوصية السادسة والاربعون الامان من عذاب القبر لمن مات يومها أو ليلتها أخرج ابو يعلى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات يوم الجمعة وقي عذاب القبر » * وأخرج البيهقي في كتاب عذاب القبر عن عكرمة بن خالد الخزومي قال من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة ختم له بخاتم الايمان ووقي عذاب القبر *

(الخصوصية السابعة والاربعون)

(الامان من فتنة القبر لمن مات يومها أو ليلتها فلا يسأل في قبره)

أخرج الترمذي وحسنه والبيهقي وابن أبي الدنيا وغيرهم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن مسلم يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر » وفي لفظ « إلا برىء من فتنة القبر » وفي لفظ « إلا وقي الفتان » قال الحكميم الترمذي وحكته انه انكشف الغطاء عما له عند الله لان جهنم لا تسجر في هذا اليوم وتعلق فيه أبوابها ولا يعمل فيه سلطانها ما يعمل في سائر الايام فاذا قبض الله فيه عبداً كان دليلاً لسعادته وحسن ما به وانه لم يقبض في هذا اليوم العظيم إلا من كتب له السعادة عنده فلذلك يقيه فتنة القبر لان سببها إنما هو تمييز المنافق من المؤمن

(الخصوصية الثامنة والاربعون رفع العذاب عن أهل البرزخ فيه)

قال اليا فعي في روض الرياحين بلغنا ان الموتى لم يعذبوا ليلة الجمعة تشريفاً لهذا الوقت قال وبمحتمل اختصاص ذلك بعصاة المؤمنين دون الكفار

﴿الخصوصية التاسعة والاربعون اجتماع الارواح فيه﴾

أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب عن رجل من آل عاصم الجحدري انه رأى عاصم الجحدري في النوم فقال له أنا في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبدالله المزني فنتلاقى أخبركم قلت هل تعلمون بزيارتنا قال نعم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه

«الخصوصية الخمسون انه سيد الايام»

روى مسلم عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة» وأخرجه الحاكم بلفظ «سيد الايام يوم الجمعة الى آخره» ولأبي داود نحوه وزاد «وفيه تذب عليه وفيه مات وامن دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والانس» * وأخرج ابن أبي شيبة وابن ماجه والبيهقي في الشعب عن أبي لبابة بن عبد المنذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان يوم الجمعة سيد الايام وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الاضحى ويوم الفطر فيه خمس خلال فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه مات وفيه ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة»

وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن مجاهد قال اذا كان يوم الجمعة فزع البر والبحر وما خلق الله من شيء الا الانسان * وأخرج عبد الله بن احمد في فوائده الزهد عن أبي عمران الجوني قال بلغنا انه لم تأت ليلة الجمعة قط الا أحدثت لاهل السماء فزعة

﴿فائدة﴾ في بعض كتب الحنابلة: اختلف أصحابنا على ليلة الجمعة أفضل أو ليلة القدر فاختار ابن بطة وجماعة ان ليلة الجمعة أفضل وقال به أبو الحسن التيمي فيما عدا الليلة التي أنزل فيها القرآن وأكثر العلماء على ان ليلة القدر أفضل واستدل الاولون بحديث الليلة الغراء والغرة من الشيء خياره وبأنه جاء في فضل يومها ما لم يجيء ليوم ليلة القدر وأجابوا عن قوله تعالى (ليلة القدر خير من الف شهر) فان التقدير خير من الف شهر ليس فيها ليلة الجمعة كما ان تقديرها عند الاكثرين خير من الف شهر ليس فيها ليلة القدر وأيضاً فان ليلة الجمعة باقية في الجنة لان في يومها تقع الزيارة الى الله تعالى وهي معلومة في الدنيا بعينها على القطع وليلة القدر مظنون عينها انتهى ملخصاً *

«الخصوصية الحادية والخمسون انه يوم المزيد»

أخرج الشافعي في الام عن أنس بن مالك قال «اني جبريل برأة بيضاء فيها نكتة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذه قال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فان الناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد قال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل وما يوم المزيد قال ان ربك اتخذ في الفردوس واديا أفيحاً فيه كتب مسك فاذا كان يوم الجمعة أنزل الله فيه ناساً من الملائكة وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكالة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكتب فيقول الله أنار بكم قد صدقتم وعدى فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم

والسك على ما تمنيتم ولدى مزيد » فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير : وله طرق عن أنس وفي بعضها « انهم يمشون في جلوسهم هذا الى مقدار منصرف الناس من الجمعة ثم يرجعون الى غرفهم » أخرجه الآجري في كتاب الرؤية * وأخرج الآجري في كتاب الرؤية عن أبي هريرة « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان أهل الجنة اذا دخلوها نزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون فيبرز الله لهم عرشه ويتبدى لهم في رياضة من رياض الجنة وتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم أدنى على كئبان المسك والكافور وما يرون أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا الحديث وفيه الرؤية وسماع الكلام وذکر سوق الجنة * وأخرج أيضا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان أهل الجنة يزورون ربهم عز وجل في كل يوم الجمعة في كل يوم جمعة في رمال الكافور وأقربهم منه مجلسا أسرعهم اليه يوم الجمعة وأبكرهم غدواً » وعن أبي هريرة وعائشة رضى الله تعالى عنهما قالا « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة ليقومون يوم الجمعة يكتبون الانسان الاول والثاني والثالث حتى اذا خرج الامام طويت الصحف »

(الخصوصية الثانية والخمسون * انه مذكور في القرآن دون سائر أيام الاسبوع)
قال تعالى (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة)

(الخصوصية الثالثة والخمسون * انه الشاهد والمشهود في الآية وقد قسم الله به)
أخرج ابن جرير عن علي بن أبي طالب في قوله تعالى (وشاهد ومشهود) قال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة * وأخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال عن أبي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة » وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال

الشاهد الانسان والمشهود يوم الجمعة * وأخرج عن ابن الزبير وابن عمر قال
يوم الذبح ويوم الجمعة * وأخرج عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم «أكثرُوا على من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة»
(الخصوصية الرابعة والخمسون * انه المدخر لهذه الامة)

روى الشيخان عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
«نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيدانهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا
يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلّفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود
غداً والنصارى بعد غد» * ولمسلم عن أبي هريرة وحذيفة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت
وكان للنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة»
«الخصوصية الخامسة والخمسون * انه يوم المغفرة»

أخرج ابن عدي والطبراني في الأوسط بسند عن أنس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم «ان الله تبارك وتعالى ليس بتارك أحداً من المسلمين يوم
الجمعة الا غفر له» *

«الخصوصية السادسة والخمسون * أنه يوم العق

أخرج البخاري في تاريخه وأبو يعلى عن أنس قال «قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يوم الجمعة وليلة الجمعة أربعة وعشرون ساعة ليس فيها ساعة
الا والله فيها ستمائة عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار» وأخرجه ابن عدي
والبيهقي في الشعب بلفظ «ان لله في كل جمعة ستمائة الف عتيق»

«الخصوصية السابعة والخمسون * فيه ساعة الاجابة»

روى الشيخان عن أبي هريرة «ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم
الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً الا

أعطاه إياه وأشار بيده يقللها » ولمسلم عنه ان في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيراً الا أعطاه إياه هي ساعة خفية *

وقد اختلف أهل العلم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم في هذه الساعة على أكثر من ثلاثين قولاً فقيّل أنها رفعت أخرج عبد الرزاق عن عبد الله مولى معاوية قال قلت لأبي هريرة أنهم زعموا ان الساعة التي في يوم الجمعة يستجاب فيها الدعاء رفعت فقال كذب من قال ذلك * قلت فهي في كل جمعة قال نعم وقيل أنها في جمعة واحدة من كل سنة قاله كعب الاحبار لأبي هريرة فردّه عليه فرجع اليه أخرجه مالك وأصحاب السنن وقيل أنها مخفية في جميع اليوم كما أخفيت ليلة القدر في العشر * أخرج ابن خزيمة والحاكم عن أبي سلمة قال سألت أبا سعيد الخدري عن ساعة الجمعة فقال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال «قد أعلمتها ثم أنسيتهما كما أنسيت ليلة القدر » * وأخرج عبد الرزاق عن كعب قال لو أن انساناً قسم جمعته في جمع لآتى على تلك الساعة قال ابن المنذر معناه أنه يبدأ فيدعو في جمعة من أول النهار الى وقت معلوم ثم في جمعة يبتدىء من ذلك الوقت الى وقت آخر حتى يأتى على آخر النهار *

والحكمة في اخفائها بعث العباد على الاجتهاد في الطلب واستيعاب الوقت بالعبادة وقيل أنها تنتقل في يوم الجمعة ولا تلزم ساعة بعينها ذكره بعضهم احتمالاً وجزم به ابن عساكر وغيره ورجحه الغزالي والمحب الطبري وقيل هي عند أذان المؤذن لصلاة الغداة أخرجه ابن أبي شيبة عن عائشة : وقيل من طلوع الفجر الى طلوع الشمس رواه ابن عساكر عن أبي هريرة : وقيل عند طلوع الشمس حكاه الغزالي وقيل أول ساعة بعد طلوع الشمس حكاه الجبلي والمحب الطبري شارحاً التنبيه : وقيل في آخر الساعة الثالثة من النهار لحديث أبي هريرة مرفوعاً «وفي آخر ثلاث ساعات منه ساعة من دعا الله فيها استجيب له» أخرجه احمد وقيل اذا زالت الشمس حكاه ابن المنذر عن أبي العالية ورواه عبد الرزاق عن الحسن وروى ابن عساكر عن قتادة قال كانوا يرون الساعة المستجاب فيها

الدعاء اذا زالت الشمس: قال ابن حجر وكان مأخذهم في ذلك أنها وقت اجتماع الملائكة وابتداء دخول الجمعة والأذان ونحو ذلك : وقيل اذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة هـ أخرج ابن المنذر عن عائشة قالت يوم الجمعة مثل يوم عرفة فيه تفتح أبواب السماء وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً الا أعطاه قيل أية ساعة قالت اذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة : وقيل من الزوال الى مصير الظل ذراعاً أخرجه ابن المنذر عن أبي ذر : وقيل الى أن يخرج الامام حكاه القاضي ابو الطيب: وقيل الى ان يدخل في الصلاة حكاه ابن المنذر عن ابى السور العدوى: وقيل من الزوال الى غروب الشمس حكاه الذمارى في نكت التنبيه : وقيل عند خروج الامام رواه ابن زنجويه عن الحسن : وقيل ما بين خروج الامام الى أن تقام الصلاة رواه ابن المنذر عن الحسن والمروزي في كتاب الجمعة عن عوف بن حصرة : وقيل ما بين خروجه الى انقضاء الصلاة رواه ابن جرير عن موسى وابن عمر موقوفاً عن الشعبي : وقيل ما بين أن يحرم البيع الى أن يحل رواه ابن أبي شيبه وابن المنذر عن الشعبي : وقيل ما بين الاذان الى انقضاء الصلاة رواه ابن زنجويه عن ابن عباس : وقيل ما بين أن يجلس الامام على المنبر الى أن تنقضي الصلاة روى مسلم وأبو داود من حديث أبى موسى الاشعري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هي ما بين ان يجلس الامام الى ان تنقضي الصلاة : قال ابن حجر وهذا القول يمكن ان يتخذ مع اللذين قبله : وقيل من حين يفتتح الخطبة حتى يفرغها رواه ابن عبد البر بسند ضعيف عن ابن عمر مرفوعاً : وقيل عند الجلوس بين الخطبتين حكاه الطبري : وقيل عند نزول الامام من المنبر رواه ابن المنذر عن أبى بردة : وقيل عند اقامة الصلاة رواه ابن المنذر عن الحسن : وروى الطبراني بسند ضعيف عن ميمونة بنت سعد أنها قالت « يا رسول الله افتنا عن صلاة الجمعة قال فيها ساعة لا يدعو العبد فيها ربه الا استجاب له قالت أية ساعة هي يا رسول الله قال ذلك حين يقوم الامام » وقيل من بين اقامة الصلاة الى تمام الصلاة الحديث الترمذى وحسنه وابن ماجه عن عمرو بن عوف « قالوا أية ساعة

يارسول الله قال حين تقوم الصلاة الى الانصراف منها « ورواه البيهقي في الشعب بلفظ » ما بين ان ينزل الامام من المنبر الى ان تنقضي الصلاة « وقيل هي الساعة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيها الجمعة رواه ابن عساكر عن ابن سيرين : وقيل من صلاة العصر الى غروب الشمس رواه ابن جرير عن ابن عباس موقوفا والترمذي بسند ضعيف عن أنس بن مالك مرفوعا « التمسوا الساعة التي ترجى في يوم الجمعة بعد العصر الى غيوبة الشمس » ولا بن منده عن أبي سعيد مرفوعا « فالتمسوها بعد العصر أغفل ما يكون الناس » وقيل في صلاة العصر رواه عبد الرزاق عن يحيى بن اسحاق بن ابي طلحة مرفوعا مرسل : وقيل بعد العصر الى اخر وقت الاختيار حكاه الغزالي : وقيل من حين تصفر الشمس الى ان تغيب رواه عبد الرزاق عن طاوس : وقيل آخر ساعة بعد العصر أخرجه ابو داود والحاكم عن جابر مرفوعاً ولفظه « فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر » وأخرج اصحاب السنن عن ابي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً الا اعطاه اياه » فقال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته فقال قد علمت آية ساعة هي آخر ساعة في يوم الجمعة فقلت كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلي فيها فقال ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة قلت بلى قال فهو ذاك « وفي الترغيب للاصفهاني من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً « الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة آخر ساعة من يوم الجمعة قبل غروب الشمس أغفل ما يكون عنه الناس » : وقيل اذا تدلى نصف الشمس للغروب أخرجه الطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم « انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم آية ساعة هي قال اذا تدلى نصف الشمس للغروب »

فهذه جملة الاقوال في ذلك قال المحب الطبري أصبح الاحاديث فيها حديث أبي موسى في مسلم واشهر الاقوال فيها قول عبد الله بن سلام قال ابن حجر وماعداهما اما موافق لهما أو لاحدهما أو ضعيف الاسناد أو موقوف استند قائله الى اجتهاد دون توقيف ثم اختلف السلف أي القولين المذكورين ارجح فرجح كلا مرجحون فرجح حديث أبي موسى البيهقي وابن العربي والقرطبي وقال النووي انه الصحيح أو الصواب ورجح قول ابن سلام احمد بن حنبل وابن راهويه وابن عبد البر وابن الزماكانى من الشافعية

قلت وههنا أمر وذلك ان ماورده ابو هريرة على ابن سلام من انها ليست ساعة صلاة وارد على حديث أبي موسى ايضا لان حال الخطبة ليست ساعة صلاة ويتميز ما بعد العصر بانها ساعة دعاء وقد قال في الحديث يسأل الله شيئا وليس حال الخطبة ساعة دعاء لانه مأمور فيها بالانصات وكذلك غالب الصلاة ووقت الدعاء منها أما عند الاقامة أو في السجود أو التشهد فان حمل الحديث على هذه الاوقات اتضح ويحمل قوله وهو قائم يصلى على حقيقة في هذين الموضعين وعلى مجازه في الاقامة أي يريد الصلاة وهذا تحقيق حسن فتح الله به وبه يظهر ترجيح رواية أبي موسى على قول ابن سلام لابقاء الحديث على ظاهره من قوله « يصلى ويسأل » فانه أولى من حمله على انتظار الصلاة لانه مجاز بعيد وموهم ان انتظار الصلاة يشترط في الاجابة ولانه لا يقال في منتظر الصلاة قائم يصلي وان صدق انه في صلاة لان لفظ قائم يشعر بملابسة الفعل والذي استخير الله وأقول به من هذه الاقوال انها عند اقامة الصلاة وغالب الاحاديث المرفوعة تشهد له اما حديث مبمونة فصريح فيه وكذا حديث عمرو بن عوف ولا ينافي حديث أبي موسى لانه ذكر انها فيما بين ان يجلس الامام الى ان تنقضى الصلاة وذلك صادق بالاقامة بل منحصر فيها لان وقت الخطبة ليس وقت صلاة ولا دعاء ووقت الصلاة ليس وقت دعاء في غالبها ولا يظن انه أراد استغراق هذا الوقت قطعاً لانها خفيفة بالنصوص والاجماع ووقت الخطبة

والصلاة متسع وغالب الاقوال المذكورة بعد الزوال أو عند الاذان تحمل على هذا فترجع اليه ولا تتنافى وقد أخرج الطبراني عن عوف بن مالك الصحابي قال اني لارجو ان تكون ساعة الاجابة في احدى الساعات الثلاث اذا اذن المؤذن وما دام الامام على المنبر وعند الاقامة وأقوى شاهد له حديث الصحيحين وهو قائم يصلي فاحمل وهو قائم على القيام للصلاة عند الاقامة ويصلي على الحال المقدرة وتكون هذه الجملة الحالية شرطاً في الاجابة فانها مختصة بمن شهد الجمعة ليخرج من تخلف عنها هذا ما ظهر لي في هذا المحل من التقدير والله أعلم بالصواب :

وقال ابن سعد في طبقاته أخبرنا عفان بن مسلم حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا علي بن زيد بن جدعان أن عبد الله بن نوفل والمغيرة بن نوفل كانوا من قراء قریش وكانوا يبكرون الى الجمعة اذا طلعت الشمس يريدون بذلك الساعة التي ترجى فنام عبيد الله بن نوفل فدخل في ظهره دحة فقل هذه الساعة التي تريد فرفع رأسه فاذا مثل غمامة تصعد الى السماء وذلك حين زالت الشمس (فائدة) احتج من قال بتفضيل الليل على النهار بأن في كل ليلة ساعة اجابة

كما ثبت في الاحاديث الصحيحة وليس ذلك في النهار سوى في يوم الجمعة «الخصوصية الثامنة والخمسون الصدقة فيه تضاعف على غيرها من الايام» أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن كعب قال «الصدقة تضاعف يوم الجمعة» «الخصوصية التاسعة والخمسون الحسنة والسيئة فيه تضاعف»

أخرج ابن أبي شيبة عن كعب قال يوم الجمعة تضاعف فيه الحسنة والسيئة وأخرج الطبراني في الاوسط من حديث أبي هريرة مرفوعاً «تضاعف الحسنات يوم الجمعة» وأخرج حميد بن زنجويه في فضائل الاعمال من طريق الهيثم بن حميد قال أخبرني أبو سعيد قال بلغني ان الحسنة تضاعف يوم الجمعة والسيئة تضاعف يوم الجمعة «وأخرج عن المسيب بن رافع قال من عمل خيراً في يوم الجمعة ضعف بعشرة أضعافه في سائر الايام ومن عمل شراً فمثل ذلك»

« الخصوصية الستون قراءة حمّ الدخان يومها وليلتها »

أخرج الترمذى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حمّ الدخان في ليلة الجمعة غفر له » وأخرج الطبرانى والاصفهانى عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ حمّ الدخان في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة » * وأخرج الدارمى عن أبي رافع قال « من قرأ الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورا له وزوج من الخور العين » *

﴿ الخصوصية الحادية والستون * قراءة يس ليلتها ﴾

أخرج البيهقى في الشعب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ ليلة الجمعة حمّ الدخان ويس أصبح مغفورا له » وأخرجه الاصفهانى بلفظ « من قرأ يس في ليلة الجمعة غفر له »

﴿ الخصوصية الثانية والستون قراءة آل عمران فيه ﴾

أخرج الطبرانى بسند ضعيف عن ابن عباس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التى يذكّر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تغيب الشمس »

﴿ الخصوصية الثالثة والستون * قراءة سورة هود فيه ﴾

أخرج الدارمى في مسنده والبيهقى في الشعب وأبو الشيخ وأبن مردويه في تفسيرهما عن كعب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « أقرأوا سورة هود يوم الجمعة » *

« الخصوصية الرابعة والستون * قراءة البقرة وآل عمران ليلتها »

أخرج الاصفهانى في الترغيب بسنده عن عبد الواحد بن أيمن تابعى قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البقرة وآل عمران في ليلة الجمعة كان له من الاجر ما بين لبداء وعروباء فليبداء الارض السابعة وعروباء السماء السابعة » * وأخرج حميد بن زنجويه عن وهب بن منبه قال « من قرأ ليلة

الجمعة سورة البقرة وآكل عمران كان له نوراً ما بين عرياء وعجيباء فعرياء
العرش وعجيباء أسفل الارضين» *

« الخصوصية الخامسة والستون * جلبب الذاكر والمغفرة قبل صبح يومها »
أخرج الطبراني في الاوسط عن أنس قال « قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قال قبل صلاة الغداة يوم الجمعة ثلاث مرات استغفر الله العظيم
الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه غفرت ذنوبه وان كانت أكثر من
زبد البحر » *

« الخصوصية السادسة والستون * ما يقال ليلة الجمعة »

اخرج البزار عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل رجب
قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا شهر رمضان واذا كان ليلة الجمعة
قال هذه ليلة غراء ويوم ازهر »

﴿ الخصوصية السابعة والستون ﴾

الاكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يومها وليلتها

اخرج ابو داود والحاكم وصححه وابن ماجه عن اوس بن اوس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق
آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا من الصلاة على فيه فان
صلاتكم معروضة علي » * واخرج الطبراني في الاوسط عن أبي هريرة قال
« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلاة على في الليلة الزهراء واليوم
الازهر فان صلاتكم تعرض على » * واخرج البيهقي في الشعب عن ابي امامة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلاة على في كل يوم جمعة فمن
كان اكثرهم على صلاة كان اقربهم مني منزلة » * واخرج عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « اكثروا من الصلاة على في يوم الجمعة وليلة الجمعة
فمن فعل ذلك كنت شهيداً او شافعاً له يوم القيامة » * واخرج عن انس

مرفوعا « من صلى على في يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا » * واخرج عن علي « قال من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة وعلى وجهه نور » واخرج الاصبهاني في ترغيبه عن انس قال « قال رسول صلى الله عليه وسلم من صلى على في يوم الجمعة الف مرة لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة » * واخرج ابو نعيم في الحلية عن زيد بن وهب قال « قال لي ابن مسعود لا تدع اذا كان يوم الجمعة ان تصلى على النبي صلى الله عليه وسلم الف مرة تقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد النبي الامي » *

﴿ الخصوصية الثامنة والتاسعة والستون والسبعون ﴾

(عيادة المريض وشهود الجنائز وشهود النكاح والعق فيه)

اخرج الطبراني عن ابي امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى الجمعة وصام يومه وعاد مريضاً وشهد جنازة وشهد نكاحاً وجبت له الجنة » * واخرجه ابو يعلى من حديث ابي سعيد وزاد « وتصدق واعق » ولم يذكر شهود النكاح: واخرج البيهقي في شعب اليمان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اصبح يوم الجمعة صائماً وعاد مريضاً وشهد جنازة وتصدق بصدقة فقد اوجب » * واخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب عن جابر ابن عبد الله قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح يوم الجمعة صائماً وعاد مريضاً واطعم مسكيناً وشيع جنازة لم يقبعه ذنب اربعين سنة » قال البيهقي هذا يؤكد حديث ابي هريرة وكلاهما ضعيف *

﴿ الخصوصية الحادية والسبعون ﴾

أخرج البيهقي في الشعب عن انس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال هذه الكلمات سبع مرات في ليلة الجمعة فمات في تلك الليلة دخل الجنة ومن قالها يوم الجمعة فمات في ذلك اليوم دخل الجنة من قال اللهم انت ربي

لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وابن امك وفي قبضتك وناصيتي بيدك
أمسيت على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شرما صنعت ابوء بنعمتك
وابوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت »

« الخصوصية الثانية والسبعون »

اخرج ايضا عن عائشة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
ظهر في الصيف استحب أن يظهر ليلة الجمعة واذا دخل البيت في الشتاء استحب
أن يدخل البيت ليلة الجمعة » وأخرج مثله عن ابن عباس
« الخصوصية الثالثة والسبعون »

اخرج الطبراني عن عبد الله بن بسر صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم « انه كان اذا صلى الجمعة خرج فدار في السوق ساعة ثم رجع الى المسجد فقبل
الله لم يفعل هذا فقال رأيت سيد المرسلين يفعله » قلت كأن حكيمته امتثال قوله
تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله)
« الخصوصية الرابعة والسبعون انتظار العصر بعدها يعدل عمرة »

أخرج البيهقي في الشعب عن سهل بن سعد الساعدي قال « قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لكم في كل جمعة حجة وعمرة فالحججة الهجيرة الى الجمعة
والعمرة انتظار العصر بعد الجمعة »

« الخصوصية الخامسة والسبعون صلاة حفظ القرآن في ليلتها »

أخرج الترمذي والحاكم والبيهقي في الدعوات عن ابن عباس ان علياً قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم « تغلت هذا القرآن من صدرى فما أجدني اقدر
عليه فقال الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن وتنفع بهن من علمته ويثبت ماتعانت
في صدرك اذا كان ليلة الجمعة فان استطعت ان تقوم في ثلث الليل الآخر فانها
ساعة مشهورة والدعاء فيها مستجاب وقد قال اخي يعقوب لبيه سوف أستغفر
لكم ربى يقول حتى تأتى ليلة الجمعة فان لم تستطع فقم في وسطها فان لم تستطع

فقم في أولها فصل أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحَمَّ الدخان وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب وألم تنزيل السجدة وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل فاذا فرغت من التشهد فحمد الله وأحسن الثناء على الله وصل على وعلى سائر النبيين واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولاخوانك الذين سبقوك بالإيمان وقل في آخر ذلك اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني وارحمي ان اتكلف مالا يعينني وارزقي حسن النظر فيما يرضيك عنى اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام والعزة التي لا ترام أسألك يا الله يارحم بجلالك ونور وجهك ان تلزم قايي حفظ كتابك كما علمتني وارزقي ان اتلوه على النحو الذي يرضيك عنى اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام والعزة التي لا ترام أسألك يا الله يارحم بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري وأن تطلق به لساني وان تفرج به عن قلبي وتشرح به صدري وان تعمل به بدني فانه لا يعينني على الحق إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعاً باذن الله تعالى والذي بعثني بالحق ما اخطأ مؤمن قط قال ابن عباس فوالله ما لبث علي إلا خمساً أو سبعاً حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك المجلس فقال يا رسول الله اني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن فاذا قرأتهن على نفسي تغلتن وأنا أعلم اليوم أربعين آية ونحوها فاذا قرأتها على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني ولقد كنت أسمع الحديث فاذا رددته تغلت وأنا اليوم أسمع الاحاديث فاذا تحدثت بها لم انس منها حرفاً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك مؤمن ورب الكعبة «

« الخصوصية السادسة والسبعون زيارة القبور يومها وليأتها »

أخرج الحكيم الترمذي في نواذر الاصول والطبراني في الاوسط عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من زار قبر أبويه أو احدهما في كل جمعة غفر له وكتب برآ »

« الخصوصية السابعة والسبعون علم الموتى بزيارة الاحياء فيه »

أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب عن محمد بن واسع قال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده: وأخرجنا عن الضحاك قال من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة

(الخصوصية الثامنة والسبعون عرض اعمال الاحياء على أقاربهم من الموتى فيه)

أخرج الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الاعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله وتعرض على الانبياء وعلى الآباء والامهات يوم الجمعة فيفرون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضاً وشرافاً » وأخرج احمد بسند جيد عن أبي هريرة قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن اعمال بنى آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم »

﴿ الخصوصية التاسعة والسبعون يقول الطير فيه سلام سلام يوم صالح ﴾
أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي عن مطرف انه سمعه من الموتى يقولون ذلك كرامة له وهو بين النائم واليقظان * وأخرج الدينوري فى المجالسة عن بكر بن عبد الله المزنى قال ان الطير لتلقى الطير بعضها بعضاً ليلة الجمعة فتقول لها اشعرت ان الجمعة غداً

« الخصوصية الثمانون »

أخرج الطبرانى فى الاوسط عن انس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راح منا سبعون رجلاً الى الجمعة كانوا كسبعين موسى الذين وفدوا الى ربهم او افضل »

« الخصوصية الحادية والثمانون »

أخرج الطبرانى والبيهقي فى الشعب والاصبهانى فى الترغيب عن ابن عمر قال

« سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صام يوم الاربعاء والخميس والجمعة ثم تصدق يوم الجمعة بما قل من ماله او كثر غفر له كل عمله حتى يصير كيوم ولدته امه » وخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس انه كان يحب ان يصوم الاربعاء والخميس والجمعة ويخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بصومهم وان يتصدق بما قل او كثر فان فيه الفضل الكثير * وخرج البيهقي وضعفه عن انس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الاربعاء والخميس والجمعة بنى له قصراً في الجنة من لؤلؤ وياقوت وزمرد وكتب الله له براءة من النار » وخرج البيهقي عن ابى قتادة العدوي قال ما من يوم اكره الي ان اصومه من يوم الجمعة ولا احب ان اصومه من يوم الجمعة قبل وكيف ذلك قال يعجبني في ايام متتابعات لما اعلم من فضيلته واکره ان اخصه من بين الايام فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يخصه من بين الايام * وقال سعيد بن منصور في سننه حدثنا عبد العزيز بن محمد عن صفوان بن سليم قال اخبرني رجل من جشم عن ابي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم الجمعة كتب الله له عشرة ايام غراً من ايام الآخرة لا يشاكها ايام الدنيا »

﴿ الخصوصية الثانية والتمانون ﴾

اخرج البزار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان اذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان واذا كان ليلة الجمعة قال هذه ليلة غراء ويوم ازهر »

« الخصوصية الثالثة والتمانون »

اخرج الاصبهاني عن ابن عباس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب ركعتين في ليلة الجمعة يقرأ في كل واحدة منها بفاتحة الكتاب مرة واذا زلزلت خمس عشرة مرة هوّن الله عليه سكرات الموت واعاذه من عذاب القبر ويسرله الجواز على الصراط يوم القيامة »

«الخصوصية الرابعة والثمانون»

أخرج ابو نعيم في الحلية عن عائشة قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمت يوم الجمعة سلمت الايام » *

«الخصوصية السادسة والثمانون»

أخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة عن أبي هريرة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد يوم الجمعة أخذ بعضادتي الباب ثم قال اللهم اجعاني أوجه من توجه اليك وأقرب من تقرب اليك وأفضل من سألك ورغب اليك » قال النووي في الاذكار يستحب لنا نحن أن نقول من أوجه ومن أقرب ومن أفضل بزيادة من *

«الخصوصية السادسة والثمانون كراهة الحجامة فيه»

أخرج ابو يعلى عن الحسين بن علي قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في يوم الجمعة ساعة لا يجمع فيها أحد إلا مات » وقد ورد النهي عن الحجامة يوم الجمعة من حديث ابن عمر أخرجه الحاكم وابن ماجه وفي نسخة نبيط بن شريط من حديثه مرفوعاً « لا يجمع أحدكم يوم الجمعة ففيها ساعة من احتجم فيها فأصابه وجع فلا يلومن إلا نفسه » *

«الخصوصية السابعة والثمانون حصول الشهادة لمن مات فيه»

أخرج حميد بن زنجويه من مرسل إياس بن بكير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر » * وأخرج من مرسل عطاء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن مسلم أو مسلمة يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة الا وقي عذاب القبر وفتنة القبر ولقي الله لا حساب عليه وجاء يوم القيامة ومعه شهود يشهدون له »

«الخصوصية الثامنة والثمانون»

أخرج الاصبهاني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« من صلى الضحى أربع ركعات في يوم الجمعة في دهره مرة واحدة يقرأ بفاتحة الكتاب عشر مرات وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وقل أعوذ برب الناس عشر مرات وقل هو الله أحد عشر مرات وقل يا أيها الكافرون عشر مرات واية الكرسي عشر مرات في كل ركعة فإذا تشهد وسلم واستغفر سبعين مرة وسبح سبعين مرة قائلًا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم رفع الله عنه شر أهل السموات وأهل الأرض وشر الانس والجن »

« الخصوصية التاسعة والثمانون »

وقفة الجمعة تفضل غيرها من خمسة أوجه فيما ذكره القاضى بدر الدين ابن جماعة (أحدها) موافقة النبي صلى الله عليه وسلم فإن وقفته كانت يوم الجمعة وإنما يختار له الأفضل (الثانى) ان فيها ساعة إجابة (الثالث) ان الاعمال تشرف بشرف الازمنة كما تشرف بشرف الامكنة ويوم الجمعة أفضل أيام الاسبوع فوجب أن يكون العمل فيه أفضل (الرابع) ان في الحديث أفضل الايام يوم عرفة اذا وافق يوم الجمعة وهو أفضل من سبعين حجة في غير يوم الجمعة أخرجه رزين (الخامس) اذا كان عرفة يوم جمعة غفر الله لجميع أهل الموقف قيل له قد جاء ان الله يغفر لجميع أهل الموقف مطلقاً فما وجه تخصيص ذلك بيوم الجمعة في هذا الحديث فأجاب بأن الله يحتمل أن يغفر لهم فيه بغير واسطة وفي غيره يهب قوماً لقوم *

« الخصوصية التسعون »

أخرج الاصبهاني في الترغيب عن عبد الله بن عمرو رضى عنهما قال من كانت له حاجة الى الله فليصم الاربعاء والخميس والجمعة فاذا كان يوم الجمعة تطهر وراح الى الجمعة فتصدق بصدقة قلت أو كثرت فاذا صلى الجمعة قال اللهم اني اسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو عالم الغيب

والشهادة الرحمن الرحيم واسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم الذي ملأت عظمته السموات والارض الذي عنت له الوجوه وخشعت له الاصوات ووجلّت القلوب من خشيته ان تصلى على محمد وان تعطيني حاجتي وهي كذا وكذا فانه يستجاب له * واخرج ابن السني في عمل يوم وليلة عن عمرو بن قيس المزني قال بلغني ان من صام الاربعاء والجمعة ثم شهد الجمعة مع المسلمين ثم ثبت بتسليم الامام وقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله احد عشر مرات ثم مد يده الى الله عز وجل ثم قال اللهم اني اسألك باسمك العلى الاعلى الاعلى الاعلى الاعز الاعز الاكرم الاكرم الاكرم لا إله إلا الله الاجل العظيم الاعظم لم يسأل الله شيئاً الا اعطاه إياه عاجلاً وآجلاً ولكنكم تعجلون

« الخصوصية الحادية والتسعون »

(لا تفتح فيه أبواب جهنم وهذه غير الخصلة السابقة أنها لا تسجر فيه)

اخرج ابو نعيم عن ابن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان جهنم تسعر كل يوم وتفتح ابوابها الا يوم الجمعة فانها لا تفتح ابوابها ولا تسعر »

« الخصوصية الثانية والتسعون يستحب السفر ليلتها »

اخرج الطبراني عن ام سلمة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب ان يسافر يوم الخميس » واخرج في الاوسط عن كعب بن سعد قال « ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى سفر ويبعث بعثاً إلا يوم الخميس » وأصله في الصحيح ومن الاوسط أيضاً عن بريدة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفراً خرج يوم الخميس »

« الخصوصية الثالثة والتسعون »

أخرج عبد الله بن احمد في زوائد الزهد عن ثابت البناني قال بلغنا « أن الله ملائكة معهم ألواح من فضة وأقلام من ذهب يطوفون ويكتبون من صلى ليلة

الجمعة ويوم الجمعة في جماعة»

«الخصوصية الرابعة والتسعون»

أخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق محمد بن عكاشة عن محمود بن معاوية ابن حماد الكرماني عن الزهري قال «من اغتسل ليلة الجمعة وصلى ركعتين يقرأ فيهما قل هو الله أحد ألف مرة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه»

(الخصوصية الخامسة والتسعون زيارة الاخوان في الله)

أخرج ابن جرير عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض) الآية قال ليس اطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله

(الخصوصية السادسة والتسعون)

(لأنكره فيه الصلاة بعد الصبح ولا بعد العصر عند طائفة)

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن طاوس قال يوم الجمعة صلاة كله وان صح ذلك كان فيه تأييد لكون ساعة الاجابة قبل الغروب ولا يرد أنها ليست بساعة صلاة *

(الخصوصية السابعة والتسعون)

أخرج الدارقطني في الغرائب والخطيب في رواة مالك عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة فذلك مائة مرة في أربع ركعات لم يت حتى يرى منزله في الجنة أو يرى له» *

«الخصوصية الثامنة والتسعون»

أخرج الديلمي عن عائشة مرفوعاً «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يترك مجلس قومه عشية الجمعة» *

« الخصوصية التاسعة والتسعون »

أخرج ابن سعد في طبقاته عن الحسن بن علي رضي الله عنهما سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تعالى يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة يقول عبادي جاؤني سعيًا يتعرضون لرحمتي فاشهدكم اني غفرت لحسنهم وشفعت محسنهم في مسيئتهم واذا كان يوم الجمعة فمثل ذلك »

« الخصوصية الموفية للمائة »

قول الخطيب في تاريخه أخبرني محمد بن احمد بن يعقوب أخبرنا محمد بن نعيم الضبي حدثني ابو علي الحسين بن علي الحافظ حدثنا ابو جعفر احمد بن حمدان العابد حدثنا اسحاق بن ابراهيم القفصي حدثنا خالد بن يزيد العمري ابو الوليد حدثنا ابن ابى ذئب حدثنا محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول عرض هذا الدعاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو دعي به على شيء من المشرق الى المغرب في ساعة من يوم الجمعة لاستجيب لصاحبه لا اله الا انت يا حنان يا منان يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام

« الخصوصية الجادية بعد المائة »

أخرج الحاكم وابن خزيمة والبيهقي عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث الايام يوم القيامة على هيئتها ويبعث الجمعة زهرة منيرة أهلها يحفون بها كالعروس تهدي الى كريمها تضيء لهم يمشون في ضوءها ألوانهم كالثلج بياضاً وريحهم يسطع كالمسك يخوضون في جبال الكافور ينظر اليهم الثقلان لا يطرقون تعجباً حتى يدخلوا الجنة لا يخالطهم أحد الا المؤمنون المحتسبون هـ هذا آخر خصائص الجمعة والله أعلم هـ

(تمت الرسالة)

تفسير

سورة الكوثر

« للامام العلامة »

« شيخ الاسلام ابن تيمية »

« المتوفى سنة ٧٢٨ هـ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شئت هو الأبر *
قال شيخ الاسلام أبو العباس احمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية رحمه الله
سورة الكوثر ما أجلها من سورة وأغزر فوائدها على اختصارها وحقيقة
معناها تعلمها من آخرها فانه سبحانه تعالى يترشأنيء رسوله من كل خير فيبتر
ذكره وأهله وماله فيخسر ذلك في الآخرة ويبتر حياته فلا ينتفع بها ولا يزود
فيها صالحاً لمعاده فيبتر قلبه فلا يعي الخير ولا يؤهل لمعرفته ومحبهه والايان برسله
ويبتر أعماله فلا يستعمله في طاعة ويبتره من الانصار فلا يجد له ناصرأ ولا عوناً
ويبتر جميع القرب والاعمال الصالحة فلا يذوق لها طعماً ولا يجد لها حلاوة وان
بأشرها بظاهره فقلبه شارد عنها وهذا جزاء من شئنا بعض ما جاء به الرسول
ورده لاجل هواه أو متبوعه أو شيخه أو أميره أو كبيره كمن شئنا آيات الصفات
وأحاديث الصفات وتأولها على غير ما أراد الله ورسوله سفها وحملها على ما يوافق

مذهبه ومذهب طائفته أو تمنى أن لا تكون آيات الصفات أنزلت ولا أحاديث الصفات قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن أقوى علامات شنائته لها وكرهته لها انه اذا سمعها حين يستدل بها أهل السنة على مادلت عليه من الحق اشماز من ذلك وحاد عن ذلك لما في قلبه من البغض لها فأني شناً للرسول أعظم من هذا وكذلك أهل السماع الذين يرقصون على سماع الغناء والقصائد والدفوف والشابات واذا سمعوا القرآن يتلى ويقرأ في مجالسهم استطالوا ذلك واستنقلوه فأني شيء أعظم من هذا وقس على هذا سائر الطوائف في هذا الباب

وكذا من آثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة فلولا انه شانىء لما جاء به الرسول ما فعل ذلك حتى أن بعضهم لينسى القرآن بعد ان حفظه ويشغل بقول فلان وفلان واسكن من أعظم شناه ورده من كفر به وجعله وجعله أساطير الاولين وسحراً يؤثر فهذا أعظم وأطم ابتتاراً وكل من شناه له نصيب من الابتتار على قدر شنيته له فهو لاء شنه وعادوه جازاهم الله بأن يجعل الخير كله معادياً لهم فيترهم منه وخص نبيه صلى الله عليه وسلم بضد ذلك وهو أن أعطاه الكوثر وهو الخير الكثير الذي آتاه الله في الدنيا والآخرة فما أعطاه في الدنيا الهدى والنصر والتأييد وقرّة العين والنفس وانشرح الصدر ونعم قلبه بذكره وحببه بحيث لا يشبه نعيمه نعيم في الدنيا البتة وأعطاه في الآخرة الوسيلة والمقام المحمود وجعله أول من يفتح له ولايته باب الجنة وأعطاه في الآخرة لواء الحمد والحوض العظيم في موقف القيامة الى غير ذلك وجعل المؤمنين كلهم أولاده وهو أب لهم وهذا ضد حال الابتر الذي يشناه ويشناه ما جاء به .

وقوله (شائئك) أي مبغضك والابتر المقطوع النسل الذي لا يولد له خير ولا عمل صالح فلا يتولد عنه خير ولا عمل صالح * قيل لابن بكر بن عياش ان بالمسجد قوماً يجلسون ويجلس اليهم فقال من جلس للناس جلس الناس اليه ولكن (٢٩ - ٢)

أهل السنة يموتون ويحيى ذكركم وأهل البدعة يموتون ويموت ذكركم لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البدعة أماتوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فكان لهم نصيب من قوله (إن شئت لك هو الأبر) فالخذر الخذر أيها الرجل أن تذكر شيئا مما جاء به الرسول أو ترده لاجل هواك أو انتصاراً لمذهبك أو شيخك أو لاجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله والاخذ بما جاء به بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول مأسأله الله عن مخالفة أحداً فكان من أطيع أو يطاع تبعاً للرسول ولو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ما أطيع

فاعلم ذلك واسمع وأطع واتبع ولا تتبدع تكن أتر مردوداً عمالك بل لا خير في عمل أتر من الاتباع ولا خير في عامله : وقوله (إنا أعطيناك الكوثر) تدل هذه الآية على عطية كثيرة صادرة عن معط كبير غنى واسع وأنه تعالى وملائكته وجنده معه : صدر الآية بان الدالة على التأكيد وتحقيق الخبر وجاء الفعل بلفظ الماضي الدال على التحقيق وأنه أمر ثابت واقع ولا يدفعه ما فيه من الإيذان بأن إعطاء الكوثر سابق بالتقدير الأول حين قدرت مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة وحذف موصوف الكوثر ليكون أبلغ في العموم لما فيه من عدم التعيين وأتى بالصفة أي أنه سبحانه وتعالى قال (إنا أعطيناك الكوثر) والكوثر المعروف إنما هو نهر في الجنة كما قد وردت به الأحاديث الصحيحة الصريحة وقال ابن عباس الكوثر هو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه وإذا كان أقل أهل الجنة من له فيها مثل الدنيا عشر مرات فما الظن بما الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما أعده الله له فيها فالكوثر علامة وإمارة على تعدد ما أعده الله له من الخيرات واتصالها وزياتها وسمو المنزلة وارتفاعها وإن ذلك النهر وهو الكوثر أعظم أنهار الجنة وأطيبها ماء وأعذبها وأعلاها

وكذلك أنه أتى فيه بلام التعريف الدالة على كمال المسمى ونمامه كقوله زيد العالم زيد الشجاع أي لأعلم منه ولا أشجع وكذلك قوله (إنا أعطيناك الكوثر)

دل على انه أعطاه الخير كله كاملاً موفراً وان نال منه بعض أمته شيئاً كان ذلك ناله ببركة اتباعه والافتداء به مع ان له صلى الله عليه وآله وسلم مثل أجره من غير أن ينقص من أجر المتبع له شيء ففيه الإشارة الى ان الله تعالى يعطيه في الجنة بقدر أجور أمته كلهم من غير أن ينقص من أجورهم فانه هو السبب في هدايتهم ونجاتهم فينبغي بل يحب على العبد اتباعه والافتداء به وأن يمثل ما أمره به ويكثر من العمل الصالح صوماً وصلاةً وصدقةً وطهارةً ليكون له مثل أجره فانه اذا فعل المحذور مع ترك المأمور قوى وزره وصعبت نجاته لارتكابه المحذور وتركه المأمور وان فعل المأمور وارتركب المحذور دخل فيمن يشفع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه ناله مثل أجر ما فعله من المأمور والى الله إياب الخلق وعليه حسابهم وهو أعلم بحالهم أي بأحوال عبادته فان شفاعته لاهل الكبائر من أمته والمحسن انما أحسن بتوفيق الله له والمسئء لا حجة له ولا عذر

والمقصود ان السكوثر نهر في الجنة وهو من الخير الكثير الذي أعطاه الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة وهذا غير ما يعطيه الله من الاجر الذي هو مثل أجر أمته الى يوم القيامة فكل من قرأ أو علم أو عمل صالحاً أو علم غيره أو تصدق أو حج أو جاهد أو رابط أو تاب أو صبر أو توكل أو نال مقاماً من المقامات القلبية من خشية وخوف ومعرفة وغير ذلك فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجور ذلك العامل والله اعلم

وقوله (فصل لربك وانحر) أمر الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب الى الله والى عده وأمره وفضله وخلفه عكس حال اهل الكبر والتنفّر وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة في صلاتهم الى ربهم يسألونه إياها والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر وتركاً لاعانة الفقراء واعطائهم وسوء الظن منهم بربهم ولهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)

والنسك هي الذبيحة ابتغاء وجهه والمقصود ان الصلاة والنسك وهو النحر هما أجل ما يتقرب به الى الله فانه أتى فيها بالقاء الدالة على السبب لان فعل ذلك وهو الصلاة والنحر سبب للقيام بشكر ما اعطاه الله إياه من الكوثر والخير الكثير فشكر المنعم عليه وعبادته أعظمها هاتان العبادتان بل الصلاة أفضل نهايات العبادة وغاية الغايات كأنه يقول (إنا أعطيناك الكوثر) الخير الكثير وأنعمنا عليك بذلك لاجل قيامك لنا بهاتين العبادتين شكراً لأنعامنا عليك وهما السبب لأنعامنا عليك بذلك فقم لنا بهما فان الصلاة والنحر محفوظان بأنعام قبلهما وأنعام بعدهما وأجل العبادات المالية النحر وأجل العبادات البدنية الصلاة وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها من سائر العبادات كما عرفه أرباب القلوب الحية وأصحاب الهمم العالية وما يجتمع له في نحره من إيثار الله وحسن الظن به وقوة اليقين والوثوق بما في يد الله أمر عجيب اذا قارن ذلك الايمان والاخلاص وقد امثل النبي صلى الله عليه وسلم أمر ربه فكان كثير الصلاة له به كثير النحر حتى نحر بيده في حجة الوداع ثلاثاً وستين بدنة وكان ينحرف في الأعياد وغيرها وفي قوله (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر) اشارة الى انك لا تتأسف على شيء من الدنيا كما ذكر ذلك في آخر طه والحجرات وغير ذلك وفيها الاشارة الى ترك الالتفات الى الناس وما ينالك منهم بل صل لربك وانحر : وفيها التعريض بحال الابتر الشاني الذي صلاته ونسكه لغير الله

وفي قوله (ان شائئك هو الابتر) أنواع من التأكيد : أحدها تصدير الجملة بأن * الثاني الاتيان بضمير الفصل الدال على قوة الاسناد والاختصاص * الثالث مجيء الخير على افعال التفضيل دون اسم المفعول * الرابع تعريفه باللام الدالة على حصول هذا الموصوف له بتمامه وانه أحق به من غيره ونظير هذا في التأكيد قوله (لا تخف انك أنت الاعلى)

ومن فوائدها اللطيفة الالتفات في قوله (فصل لربك وانحر) الدالة على ان ربك مستحق لذلك وأنت جدير بأن تعبدته وتنحرف له والله أعلم
(تمت الرسالة)

رسالة

في علم الباطن والظاهر

« للامام العلامة »

« شيخ الاسلام ابن تيمية »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(مسألة) في طائفة من المتفجرة يدعون أن القرآن باطنًا وإن لذلك الباطن باطنًا إلى سبعة أبطن ويروون في ذلك حديثًا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لقرآن باطن وللباطن باطن إلى سبعة أبطن» ويفسرون القرآن بغير المعروف عن الصحابة والتابعين والائمة من الفقهاء ويزعمون أن عليًا قال لو شئت لأوقرت من تفسير فاتحة الكتاب كذا وكذا حمل جمل ويقولون إنما هو من علمنا إذ هو المدنى ويقولون كلامًا معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خص كل قوم بما يصالح لهم فانه امر قومًا بالامساك وقومًا بالانفاق وقومًا بالكسب وقومًا بترك الكسب ويقولون ان هذا ذكرته أشياخنا في العوارف وغيره من كتب المحققين وربما ذكروا أن حذيفة كان يعلم أسماء المنافقين خصه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحديث أبي هريرة «حفظت جرائين من علم» ويروون كلامًا عن أبي سعيد الخراز أنه قال : للعارفين خزائن أودعوها علومًا غريبة يتكلمون فيها بلسان الابدية يخبرون عنها بلسان الازلية ويقولون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان من العلم كهيمة المحزون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره الا أهل

الغرة بالله» فهل ما ادعوه صحيحاً أم لا . فسيدي يمين لنا مقالاتهم فان المملوك وقف على كلام لبعض العلماء ذكر فيه أن الواحدى قال : ألف أبو عبد الرحمن السلمي كتاباً سماه حقائق التفسير ان صح عنه فقد كفر ووقفت على هذا الكتاب فوجدت كلام هذه الطائفة منه وما شابهه مما رأى سيدي في ذلك وهل صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «للقراآن باطن» الحديث يفسرونه على ما يرونه من أذواقهم ومواجيدهم المردودة شرعاً أفتونا مأجورين

أجاب الشيخ رضي الله عنه الحمد لله رب العالمين . أما الحديث المذكور فمن الاحاديث المختلفة التي لم يبرها أحد من أهل العلم ولا يوجد في شيء من كتب الحديث ولكن يروى عن الحسن البصري موقوفاً أو مرسلًا «أن لكل آية ظهراً وبطناً وحداً ومطلعا» وقد شاع في كلام كثير من الناس : علم الظاهر وعلم الباطن وأهل الظاهر وأهل الباطن ودخل في هذه العبارات حق وباطل وقد بسط هذا في غير هذا الموضع لكن نذكر هنا جملاً من ذلك فنقول : قول الرجل : الباطن اما أن يريد علم الامور الباطنة مثل العلم بما في القلوب من المعارف والاحوال والعلم بالغيوب التي أخبرت بها الرسل واما أن يريد العلم بالباطن الذي يبطن عن فهم أكثر الناس أو عن فهم من وقف مع الظاهر ونحو ذلك فالأول فلا ريب ان العلم منه ما يتعلق بالظاهر كأعمال الجوارح ومنه ما يتعلق بالباطن كأعمال القلوب ومنه ما هو علم بالشهادة وهو ما يشهده الناس بحواسهم ومنه ما يتعلق بالغيب وهو ما غاب عن احساسهم وأصل الايمان هو الايمان بالغيب كما قال تعالى (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) والغيب الذى يؤمن به ما أخبرت به الرسل من الامور العامة ويدخل في ذلك الايمان بالله وأسمائه وصفاته وملائكته والجنة والنار فالإيمان بالله وبرسله وباليوم الآخر يتضمن الايمان بالغيب فان وصف الرسالة هو من الغيب وتفصيل ذلك هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر كما ذكر الله تعالى في قوله (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين) وقال

﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً﴾
والعلم بأصول القلوب كالعلم بالاعتقادات الصحيحة والفاسدة والارادات
الصحيحة والفاسدة والعلم بمعرفة الله ومحبهه والاخلاص له وخشيته والتوكل
عليه والرجاء له والحب فيه والبغض والرضا بحكمه والانابة اليه والعلم بما يحمد
ويذم من أخلاق النفوس كالسخاء والحياء والتواضع والكبر والعجب والفخر
والخيلاء وأمثال ذلك من العلوم المتعلقة بأمور باطلة في القلوب ونحوه قد يقال
له علم الباطن أى علم بالامر الباطن فالعلوم هو الباطن وأما العلم الظاهر فهو ظاهر
يتكلم به ويكتب وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وكلام السلف وأتباعهم
بل غالبه أى القرآن هو من هذا العلم فان الله أنزل القرآن شفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين بل هذا العلم هو العلم بأصول الدين فان اعتقاد القلب
أصل لقول اللسان وعمل القلب أصل لعمل الجوارح والقلب هو ملك البدن كما
قال ابو هريرة رضي الله عنه القلب ملك والاعضاء جنوده فاذا طاب الملك
طابت جنوده واذا خبث الملك خبثت جنوده* وفي الصحيحين عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال: «ألا وأن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد
كله واذا فسد فسد لها سائر الجسد ألا وهى القلب» ومن لم يكن له علم بما
يصلح باطنه ويفسده ولم يقصد صلاح قلبه بالايمان ودفع النفاق
كان منافقاً ان ظهر الاسلام فان الاسلام يظهره المؤمن والمنافق وهو علانية
ولكن الايمان في القلب كما في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «الاسلام
علانية والايمان في القلب» وكلام الصحابة والتابعين والاحاديث والآثار في هذا
أكثر منها في الاجارة والشفعة والحيض والطهارة بكثير كثير ولكن هذا العلم
ظاهر موجود مقول باللسان مكتوب في الكتب ولكن من كان بأمور القلب
اعلم كان أعلم به وأعلم بما في القرآن والحديث* وعامة الناس يجدون هذه الامور في
أنفسهم ذوقاً ووجدان فتكون محسوسة لهم بالحس الباطن لكن الناس في حقائق
الايمان متفاضلون تفاضلاً عظيماً فأهل الطبقة العليا يعلمون أهل السفلى من غير

عكس كما ان أهل الجنة في الجنة ينزل الاعلى الى الاسفل ولا يصعد الاسفل الى الاعلى والعالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالماً فلهذا كان في حقائق الايمان الباطنة وحقائق أبناء الغيب التي اخبرت بها الرسل مالا يعرفه الا خواص الناس فيكون هذا العلم باطناً من جهتين من جهة المعلوم باطناً ومن جهة كون العلم باطناً لا يعرفه أكثر الناس ثم ان هذا الكلام في هذا العلم يدخل فيه من الحق والباطل مالا يدخل في غيره فما وافق الكتاب والسنة فهو حق وما خالف ذلك فهو باطل كالكلام في الأمور الظاهرة

فصل

وأما اذا أريد بالعلم الباطن العلم الذي يبطن عن أكثر الناس أو عن بعضهم فهذا على نوعين أحدهما باطن يخالف العلم الظاهر والثاني لا يخالف فأما الاول فباطل فمن ادعى علماً باطناً أو علماً بباطن وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطئاً أما ملجداً زنديقاً وإما جاهلاً ضالاً وأما الثاني فهو بمنزلة العلم الظاهر قد يكون حقاً وقد يكون باطلاً فإن الباطن اذا لم يخالف الظاهر لم يعلم بطلانه من جهة مخالفته للظاهر المعلوم فان علم انه حق قبل وان علم انه باطل رد وإلا أمسك عنه وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم فمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الاسماعيلية والنصيرية وأمثالهم ومن وافقهما من الفلاسفة وغلاة المتصوفة والمتكلمين وشرهؤلاء القرامطة فانهم يدعون ان القرآن والاسلام باطنياً يخالف

فيقولون الصلاة المأمور بها ليست هذه الصلاة أو هذه الصلاة إنما يؤمر بها العامة وأما الخاصة فالصلاة في حقهم معرفة أسرارنا والصيام كتمان أسرارنا والحج السفر الى زيارة شيوخنا المقدسين ويقولون أن الجنة للخاصة هي التمتع في الدنيا بالذات والنار هي التزام الشرائع والدخول تحت أثقالها ويقولون ان الدابة التي يخرجها الله هي العالم الناطق بالعالم في كل وقت وان اسرافيل الذي ينفخ في الصور هو العالم الذي ينفخ بعلمه في القلوب حتى تحيا وجبريل هو العقل الفعال

الذى تفيض منه الموجودات والقلم هو العقل الاول الذى تزعم الفلاسفة أنه المبدع الاول وأن السكواكب والقمر والشمس التى رآها ابراهيم هي النفس والعقل وواجب الوجود وأن الانهار الاربعة التى رآها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هي العناصر الاربعة وأن الاشياء التى رآها في السماء هي السكواكب فأقدم هو القمر ويوسف هو الزهرة وادريس هو الشمس وامثال هذه الامور فقد دخل في كثير من أقوال هؤلاء كثير من المتكلمين المتصوفين لكن أوائل القرامطة ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض وعامة الصوفية والمتكلمين ليسوا رافضة يفسقون الصحابة ولا يكفرونهم ولكن فيهم من هو كالزيدية الذين يفضلون علياً على أبي بكر وفيهم من يفضل علياً في العلم الباطن كطريقة الحربي وأمثاله ويدعون أن علياً كان أعلم بالباطن وأن هذا العلم أفضل من جهة: وأبو بكر كان أعلم بالظاهر وهؤلاء عكس محققي الصوفية وأئمتهم فأنهم متفقون على أن أعلم الخلق بالعلم الباطن هو أبو بكر الصديق وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن أبا بكر أعلم الأمة بالباطن والظاهر وحكي الاجماع على ذلك غير واحد وهؤلاء الباطنية قد يفسرون (وكل شيء أحصيناه في امام مبین) أنه على ويفسرون قوله تعالى (ثبت يدا ابي لهب وتب) بأنهما ابوبكر وعمر وقوله (فقاتلوا أئمة الكفر) أنهم طلحة والزبير و(الشجرة الملعونة) في القرآن بأنها بنو أمية

وأما باطنية الصوفية فيقولون في قوله تعالى (اذهب الى فرعون) أنه القلب و(إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة) انها النفس ويقول (أوائلك) هي عائشة ويفسرون هم والفلاسفة تكليم موسى بما يفيض عليه من العقل الفعال أو غيره ويجعلون (خلع النملين) ترك الدنيا والآخرة ويفسرون الشجرة التى كلم منها موسى والوادي المقدس ونحو ذلك بأحوال تعرض للقلب عند حصول المعارف له ومن سلك ذلك صاحب مشكاة الانوار وأمثاله وهي مما أعظم المسلمون انكاره عليه وقالوا أمرضه الشقاء وقالوا دخل في بطون الفلاسفة ثم أراد أن يخرج فما قدر . ومن الناس من يطعن في هذه الكتب ويقول انها

مكذوبة عليه وآخرون يقولون بل رجع عنها وهذا أقرب الأقوال فإنه قد صرح
بكفر الفلاسفة في مسائل وتضليلهم في مسائل أكثر منها وصرح بأن طريقتهم
لا توصل إلى المطلوب

وباطنية الفلاسفة يفسرون الملائكة أو الشياطين بقوى النفس
وما وعد الناس به في الآخرة بأمثال مضروبة لتفهيم ما يقوم بالنفس بعد
الموت من اللذة والالم لا بآيات حقائق منفصلة يتنعم بها ويتألم بها وقد وقع في
هذا الباب من كلام كثير من متأخري الصوفية ما لم يوجد مثله من أئمتهم
ومتقدميهم كما وقع في كلام كثير من متأخري أهل الكلام والنظر من ذلك ما لا
يوجد من أئمتهم ومتقدميهم: وهؤلاء المتأخرون مع ضلالهم وجهلهم يدعون أنهم
أعلم وأعرف من سلف الامة ومتقدميها حتى آكل الأمر بهم إلى أن جعلوا الوجود
واحداً كما فعل ابن عربي صاحب الفصوص وأمثاله كأنهم دخلوا من هذا الباب
حتى خرجوا من كل عقل ودين وهم يدعون مع ذلك أن الشيوخ المتقدمين
كالجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري وإبراهيم الخواص وغيرهم ماتوا
وما عرفوا التوحيد وينكرون على الجنيد وأمثاله إذا ميزوا بين الرب والعبد
كقوله التوحيد أفراد الحدوث عن القوم ولعمري أن توحيدهم الذي جعلوا فيه
وجود المخلوق وجود الخالق هو من أعظم الالحاد الذي أنكره المشايخ المتقدمون
وهم عرفوا أنه باطل وأنكروه وحذروا الناس منه وأمرهم بالتمييز بين الرب
والعبد والخالق والمخلوق والقديم والحديث وأن التوحيد أن يعلم مباينة الرب
لمخلوقاته وامتيازها عنها وأنه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من
مخلوقاته ثم أنهم يدعون أنهم أعلم بالله من المرسلين وأن الرسل إنما تستفيد معرفة
الله من مشكائهم ويفسرون القرآن بما يوافق باطنهم الباطل كقولهم (ما أخطئتمهم)
فهي التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وقولهم أن العذاب مشتق من
العدوية ويقولون أن كلام نوح في حق قومه ثناء عليهم بلسان الذم ويفسرون
قوله تعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) بعلم

الظاهر بل ختم الله على قلوبهم فلا يعلمون غيره وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا يسمعون من غيره ولا يرون غيره فإنه لا غيره له فلا يرون غيره أو يقولون في قوله (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) أن معناه قدر ذلك أنه ليس موجود سواء فلا يتصور أن يعبد غيره فكل من عبد الاصنام والعجل ما عبد غيره لأنه ما ثم غير وأمثال هذه التأويلات والتفسيرات التي يعلم كل مؤمن وكل يهودي ونصراني علماً ضرورياً أنها مخالفة لما جاءت به الرسل كموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم أجمعين : وجماع القول في ذلك أن هذا الباب نوعان أحدهما أن يكون المعنى المذكور باطلاً لكونه مخالفاً لما علم فهذا هو في نفسه باطل فلا يكون الدليل عليه إلا باطلاً لأن الباطل لا يكون عليه دليل يقتضي أنه حق : والثاني ما كان في نفسه حقاً لكن يستدلون عليه من القرآن والحديث بألفاظ لم يرد بها ذلك فهذا الذي يسمونه اشارات : وحقائق التفسير لأن عبد الرحمن فيه من هذا الباب شيء كثير* وأما النوع الأول فيوجد كثيراً في كلام القرامطة والفلاسفة المخالفين للمسلمين في أصول دينهم فإن من علم أن السابقين الأولين قد رضى الله عنهم ورضوا عنه علم أن كل ما يذكرونه على خلاف ذلك فهو باطل ومن أقر بوجوب الصلوات الخمس على كل أحد ما دام عقله حاضراً علم أن من تأول نصاً على سقوط ذلك عن بعضهم فقد افترى : ومن علم أن الحجر والفواش محرمة على كل أحد ما دام عقله حاضراً علم أن من تأول نصاً يقتضي تحليل ذلك لبعض الناس أنه مفتر : وأما النوع الثاني فهو الذي يشتهه كثيراً على بعض الناس فإن المعنى يكون صحيحاً لدلالة الكتاب والسنة عليه ولكن الشأن في كون اللفظ الذي يذكرونه دل عليه وهذا قسمان أحدهما أن يقال أن ذلك المعنى مراد باللفظ فهذا افترأ على الله فمن قال المراد بقوله (تذبحوا بقرة) هي النفس وبقوله (اذهب إلى فرعون) هو القلب (والذين معه) أبو بكر (أشداء على الكفار) عمر (رحماء بينهم) عثمان (ركعاً سجداً) على فقد كذب على الله أما متعمداً وأما مخطئاً

والقسم الثاني أن يجعل ذلك من باب الاعتبار والقياس لا من باب دلالة

اللفظ فهو من نوع القياس فالذى تسميه الفقهاء قياساً هو الذى تسميه الصوفية إشارة وهذا ينقسم الى صحيح وباطل كأنقسام القياس الى ذلك فمن سمع قول الله تعالى (لا يمسه إلا المطهرون) وقال انه اللوح المحفوظ أو المصحف فقال كما أن اللوح المحفوظ الذى كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر فعانى القرآن لا يدريها إلا القلوب الطاهرة وهي قلوب المتقين كان هذا معنى صحيحاً واعتباراً صحيحاً: ولهذا يروى هذا عن طائفة من السلف قال تعالى (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) وقال (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) قال (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام) وأمثال ذلك : وكذا من قال لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا جنب فاعتبر بذلك أن القلب لا يدخله حقائق الايمان اذا كان فيه ما ينجسه من الكبر والحسد فقد أصاب قال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) وقال تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلاً) وأمثال ذلك

وكتاب حقائق التفسير لابي عبد الرحمن السلمي يتضمن ثلاثة أنواع : أحدها نقول ضعيفة عن نقلت عنه مثل أكثر ما نقله عن جعفر الصادق فان أكثره باطل عنه والائمة فيه من موقوف ابن عبد الرحمن وقد تكلم أهل المعرفة فى نفس رواية أبي عبد الرحمن حتى كان البيهقى اذا حدث عنه يقول حدثنا من أصل سماعه : والثاني أن يكون المنقول صحيحاً لكن لعل الناقل أخطأ فيما قال والثالث منقول صحيح عن قائل مصيب فشكل معنى يخالف الكتاب والسنة فهو باطل وحجته داحضة وكل ما وافق الكتاب والسنة والمراد بالخطاب غيره اذا فسر به الخطاب فهو خطأ وان ذكر على سبيل الإشارة والاعتبار والقياس فقد يكون حقاً وقد يكون باطلاً : وقد تبين بذلك أن من فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ما حدث فى آيات الله محرف للكلم عن مواضعه وهذا فتح لباب الزندقة والاتحاد وهو معلوم

البطلان بالاضطرار من دين الاسلام

وأما ما يروى عن بعضهم من الكلام المجمل مثل قول بعضهم لو شئت لأوقرت من تفسير فاتحة الكتاب الخ فهذا اذا صح عن نقل عنه كعلي وغيره لم يكن فيه دلالة على الباطن الخاف للظاهر بل يكون هذا من الباطن الصحيح الموافق للظاهر الصحيح وقد تقدم أن الباطن اذا أريد به ما لا يخالف الظاهر المعلوم فقد يكون حقاً وقد يكون باطلاً ولكن ينبغي أن يعرف أنه كذب على علي واهل بيته لا سيما على جعفر الصادق ما لم يكذب على غيره من الصحابة حتى ان الاسماعيلية والنصيرية يضيفون مذهبهم اليه وكذلك المعتزلة وكذلك خرقه التصوف يقولون ان الحسن البصري صحبه وانه دخل المسجد فرأى الحسن يقص مع القصاص فقال ما صلاح الدين قال الورع قال فما فسادك قال الطمع فأقره واخرج غيره: وقد اتفق اهل المعرفة بالمتقوليات ان الحسن لم يصحب علياً ولم يأخذ عنه شيئاً وإنما اخذ عن اصحابه كالأحنف بن قيس وقيس بن سعد ابن عباد واماثلها ولم يقص الحسن في زمن علي بل ولا في زمن معاوية وإنما قص بعد ذلك وقد كان في زمن علي يكذبون عليه حتى كان الناس يسألونه كما ثبت في الصحيحين «انه قيل له هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب يقرءونه فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا هذه الصحيفة وفيها اسنان الابل وفكاك الاسير وألا يقتل مسلم بكافر» وفي لفظ «هل عهد اليكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً لم يعهده الى الناس فقال لا» وفي لفظ «الا فهما يؤتياه الله لعبده في كتابه»

واما العلم الذي فلا ريب ان الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه واتباعهم بما يحبه ما لا يفتح به على غيرهم وهذا كما قال علي «والا فهما يؤتياه الله عبداً في كتابه: وفي الأثر (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع كقوله (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم واشد تثبيتاً واذاً لا تيناهم من لدنا

اجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً (فقد اخبر انه من فعل ما يؤمر به يهديه الله صراطاً مستقيماً وقال تعالى (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام) وقال تعالى (والذين اعتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) وقال تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) وقال تعالى (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال تعالى (هو بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) واخبر ان اتباع ما يكرهه يصرف عن العلم والهدى كقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وقوله (واقسموا بالله جهد ايمانهم انهم ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون) ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) اى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وتقلب افئدتهم اى يتركون الايمان ونحن نقلب افئدتهم لكونهم لم يؤمنوا اول مرة اى ما يدريكم انه لا يكون هذا وهذا حينئذ

ومن فهم معنى الآية عرف خطأ من قال ان بمعنى لعل واستشكل قراءة الفتح بل يعلم حينئذ انها احسن من قراءة الكسر وهذا باب واسع والناس في هذا الباب على ثلاثة اقسام طرفان ووسط فقوم يزعمون ان مجرد الزهد وتصفية القلب ورياضة النفس توجب حصول العلم بلا سبب آخر * وقوم يقولون لا اثر لذلك بل الموجب للعلم العلم بالادلة الشرعية او العقلية واما الوسط فهو ان ذلك من اعظم الاسباب معاونة على نيل العلم بل هو شرط في حصول كثير من العلم وليس هو وحده كافياً بل لابد من امر آخر اما العلم بالادلة فيما لا يعلم الا به واما التصور الصحيح لطرفي القضية بالعلوم الضرورية : واما العلم النافع الذى تحصل به النجاة من النار ويسعد به العباد فلا يحصل الا باتباع الكتب التى جاءت بها الرسل قال تعالى (فاما يا تينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل

ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن (الخ وقال تعالى) ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين (فمن ظن ان الهدى والايمان يحصل بمجرد طريق العلم مع عدم العمل به أو بمجرد العمل والزهد بدون العلم فقد ضل : واضل منهما من سلك في العلم والمعرفة طريق اهل الفلاسفة والكلام بدون اعتبار ذلك بالسكتاب والسنة ولا العمل بموجب العلم او سلك في العمل والزهد طريق اهل الفلاسفة والتصوف بدون اعتبار ذلك بالسكتاب والسنة ولا اعتبار العمل بالعلم فأعرض هؤلاء عن العلم والشرع وأعرض اولئك عن العمل والشرع فضل كل منهما من هذين الوجهين وتباينوا تبايناً عظيماً حتى أشبه هؤلاء اليهود المغضوب عليهم وأشبه هؤلاء النصارى الضالين بل صار كل منهما شراً من اليهود والنصارى كالقراطة والاتحادية وامثالهم من الملاحدة الفلاسفة .

فصل

واما قول القائل ان النبي صلى الله عليه وسلم خص كل قوم بما يصلح لهم الخ فهذا الكلام له وجهان ان اراد به ان الاعمال المشروعة يختلف الناس فيها بحسب اختلاف احوالهم فهذا لا ريب فيه فانه ليس ما يؤمر به الفقير كما يؤمر به الغنى ولا ما يؤمر به المريض كما يؤمر به الصحيح ولا ما يؤمر به عند المصائب هو ما يؤمر به عند النعم ولا ما تؤمر به الحائض كما تؤمر به الطاهرة ولا ما تؤمر به الائمة كالذى تؤمر به الرعية فأمر الله لعباده قد يتنوع بتنوع احوالهم كما قد يشتركون في اصل الايمان بالله وتوحيده والايمان بكتبه ورسوله : وان اراد به ان الشريعة في نفسها تختلف وان النبي صلى الله عليه وسلم خاطب زيدا بخطاب يناقض ما خاطب به عمراً او اظهر لهذا شيئاً يناقض ما اظهره لهذا كما يرويه الكذابون ان عائشة

سألته هل رأيت ربك فقال لا وسأله أبو بكر فقال نعم وأنه أجاب عن مسألة واحدة بجوابين متناقضين لاختلاف حال السائلين فهذا من كلام السكذابين المفترين بل من كلام الملاحدة المنافقين فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «ما ينبغي لنبي أن تكون له خاتنة الاعين» والحديث في سنن أبي داود وغيره وكان عام الفتح قد أهدر دم جماعة منهم ابن أبي سرح فجاء به عثمان ليبايع النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه مرتين أو ثلاثاً ثم بايعه ثم قال أما كان فيكم رجل رشيد ينظر إلي وقد أعرضت عن هذا فيقتله فقال بعضهم هلا أرمضت إليّ يارسول الله فقال «ما ينبغي لنبي أن تكون له خاتنة الاعين» وهذا مثاله في استواء ظاهره وباطنه وسره وعلايته وأنه لا يبطن خلاف ما يظهر على عادة المكابرين المنافقين ولا ريب أن القرامطة وأمثالهم من الفلاسفة يقولون أنه أظهر خلاف ما أبطن وأنه خاطب العامة بأمر أراد بها خلاف ما أفهمهم لاجل مصلحتهم إذا كان لا يمكنه صلاحهم إلا بهذا الطريق: وقد زعم ذلك ابن سينا وأصحاب رسائل الإخوان الصفا وأمثالهم من الفلاسفة والقرامطة الباطنية فإن ابن سينا كان هو وأهل بيته من أتباع الحاكم القرطبي العبيدي الذي كان بمصر * وقول هؤلاء كما أنه من أكفر الأقوال فجعلهم من أعظم الجهل وذلك أنه إذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يعلمه أهل العقل والذكاء من الناس وإذا علموه امتنع في العادة تواطؤهم على كتمانهم كما يمتنع تواطؤهم على الكذب فإنه كما يمتنع في العادة تواطؤ الجميع على الكذب يمتنع تواطؤهم على كتمان ما تتوفر لهم والدواعي على بيانه ألا ترى الباطنية ونحوهم أبطنوا خلاف ما أظهره للناس وسعوا في ذلك بكل طريق وتواطؤوا عليه ماشاء الله حتى التبس أمرهم على كثير من أتباعهم ثم إنهم مع ذلك اطلع على حقيقة أمرهم جميعاً إذ كيا الناس من موافقيهم ومخافقيهم وصنفوا الكتب في كشف أسرارهم ورفع أستارهم ولم يكن لهم في الباطن حرمة عند من عرف باطنهم ولا ثقة بما يخبرون به ولا التزام طاعة ما يأمرونه وكذلك من فيه نوع من هذا الجنس فمن سلك هذه السبيل لم يبق لمن علم أمره ثقة بما يخبر

به وبما يأمر به وحينئذ فينتقض عليه جميع ما خاطب به الناس فإنه مامن خطاب يخاطبهم به الا ويجوزون عليه أن يكون أراد غير ما أظهره لهم فلا يثقون بأخباره وأوامره فيختل عليه الامر كله فيكون مقصوده صلاحهم فيعود ذلك بالفساد العظيم بل كل من وافقه فلا بد أن يظهر خلاف ما أبطن كاتباع من سلك هذه السبيل من القرامطة الباطنية وغيرهم لا تجدد أحداً من موافقيهم الا ولا بد أن يبين ان ظاهره خلاف باطنه ويحصل لهم بذلك من كشف الاسرار وهتك الاستار ما يصيرون به من شرار الكفار واذا كانت الرسل تبطن خلاف ما تظهر فلما أن يكون العلم بهذا الاختلاف ممكناً لغيرهم واما أن لا يكون فان لم يكن ممكناً كان مدعي ذلك كذاباً مفترياً فبطل قول هؤلاء الملاحدة الفلاسفة والقرامطة وأمثالهم وان كان العلم بذلك ممكناً علم بعض الناس مخافة الباطن للظاهر وليس لمن يعلم ذلك حد محدود بل اذا علمه هذا علمه هذا وعلمه هذا فيشيع هذا ويظهر . ولهذا كان من اعتقد هذا في الأنبياء كهؤلاء الباطنية من الفلاسفة والقرامطة ونحوهم معرضين عن حقيقة خبره وامره لا يعتقدون باطن ما أخبر به ولا ما أمر بل يظهر عليه من مخافة أمره والاعراض عن خبره ما يظهر لكل أحد ولا تجدد في أهل الايمان من يحسن بهم الظن بل يظهر فسقهم ونفاقهم لعوام المؤمنين فضلاً عن خواصهم وأيضاً فمن كانت هذه حاله كان خواصه اعلم الناس بباطنه والعلم بذلك يوجب الانحلال في الباطن ومن علم حال خاصة النبي صلى الله عليه وسلم كابي بكر وعمر وغيرهما من السابقين الاولين علم انهم كانوا اعظم الناس تصديقاً لباطن امر خبره وظاهره وطاعتهم له في سرهم وعلايتهم ولم يكن احد منهم يعتقد في خبره وامره ما يناقض ظاهر ما بينه لهم ودلهم عليه وارشدهم اليه ولهذا لم يكن في الصحابة من تأول شيئاً من نصوصه على خلاف ما دل عليه لا فيما أخبر به الله عن اسمائه وصفاته ولا فيما أخبر به عما بعد الموت وان ما ظهر من هذا ما ظهر الا ممن هو عند الأمة من أهل النفاق والاتحاد كالقرامطة والفلاسفة والجمعية نفاة حقائق الاسماء والصفات ومن تمام

هذا ان تعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخص احداً من اصحابه بخطاب في علم الدين قصد كتمانهم عن غيره ولكن كان قد يسأل الرجل عن المسألة التي لا يمكن جوابها فيجيب بما ينفعه كالاعرابي الذي سأل عن الساعة والساعة لا يعلم متى هي فقال « ما اعددت لها ؟ فقال ما اعددت لها من كثير عمل ولكني أحب الله ورسوله فقال المرء مع من أحب » فأجابه بالمقصود من علمه بالساعة ولم يكن يخاطب اصحابه بخطاب لا يفهمونه بل كان بعضهم اكمل فهماً لكلامه من بعض كما في الصحيحين عن ابي سعيد ان رسول الله قال « ان عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختر ذلك العبد ما عند الله فبكي ابو بكر وقال بل نفسيك بأنفسنا واموالنا يا رسول الله فجعل الناس يعجبون أن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الخير وابو بكر أعلمنا به » فالنبي صلى الله عليه وسلم ذكر عبداً مطلقاً لم يعينه ولا في لفظه ما يدل عليه لكن ابو بكر لكمال معرفته بمقاصد الرسول علم انه هو ذلك العبد فلم يخص عنهم بباطن يخالف الظاهر بل يوافقه ولا يخفي مفهوم لفظه ومعناه:

وأما ما يرويه بعض الكذابين عن عمر أنه قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما » فهذا من أظهر الأكاذيب المختلقة لم يروه أحد من علماء المسلمين في شيء من كتب أهل العلم وهو من أظهر الكذب فان عمر أفضل الأمة بعد أبي بكر وهو المحدث الملهم الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه وهو أفضل المخاطبين المحدثين من هذه الأمة فاذا كان هو حاضراً يسمع الألفاظ ولم يفهم الكلام كالزنجي فهل يتصور ان يكون غيره افهم منه لذلك فكيف من لم يسمع ألفاظ الرسول بل يزعم ان ما يدعيه من المعاني هي تلك المعاني بمجرد الدعوى التي لو كانت مجردة لم تقبل فكيف اذا قامت البيئة على كذب مدعيها

وأما حديث حذيفة فقد ثبت في الصحيح ان حذيفة كان يعلم السر الذي

لا يعلمه غيره وكان ذلك ما أسره اليه النبي صلى الله عليه وسلم عام تبوك من أعيان المنافقين فانه روى أن جماعة من المنافقين أرادوا أن يحلوا حزام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل ليستقط عن بعيره فيموت وانه أوحى اليه بذلك وكان حذيفة قريباً منه فأسر اليه أسماءهم : ويقال ان عمر لم يكن يصلى على أحد حتى يصلى عليه حذيفة وهذا ليس فيه شيء من حقائق الدين ولا من الباطن الذي يخالف الظاهر فان الله قد ذكر في كتابه من صفات المنافقين وأخبارهم ما ذكره حتى ان سورة «براءة» سميت الفاضحة لكونها فضحت المنافقين وسميت الممتمة وغير ذلك من الاسماء لكن القرآن لم يذكر فلاناً وفلاناً فاذا عرف بعض الناس ان فلاناً وفلاناً من هؤلاء المنافقين الموصوفين كان ذلك بمنزلة تعريفه ان فلاناً وفلاناً من المؤمنين الموعودين بالجنة فاخبره صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر وعمر وغيرهما في الجنة كما أخبره ان أولئك منافقون وهذا اذا كان من العلم الباطن فهو من الباطن الموافق للظاهر المحقق له المطابق له ونظيره في الامر ما يسمى بتحقيق المناط وهو ان يكون الشارع قد علق الحكم بوصف فنعلم ثبوته في حق المعين كأمره باستشهاد ذوى عدل ولم يعين فلاناً وفلاناً فاذا علمنا ان هذا ذو عدل كنا قد علمنا ان هذا المعين موصوف بالعدل المذكور في القرآن وكذلك ما حرم الله الخمر والميسر فاذا علمنا ان هذا الشراب المصنوع من الذرة والعسل خمرأ علمنا انه داخل في هذا النص فعلمنا بأعيان المؤمنين وأعيان المنافقين هو من هذا الباب وهذا هو من تأويل القرآن وهذا على الاطلاق لا يعلمه إلا الله فان الله يعلم كل مؤمن وكل منافق ومقادير ايمانهم ونفاقهم وما يختم لهم وأما الرسول فقد قال تعالى (ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم) والله يطلع رسوله ومن شاء من عباده على ما يشاء من ذلك

وأما حديث أبي هريرة فهو صحيح قال «حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين فأما أحدهما فبشئته فيكم وأما الآخر فلو بشئته لقطعتم هذا الباعوم»

ولكن ليس في هذا من الباطن الذي يخاف الظاهر شيء بل ولا فيه من حقائق الدين وإنما كان في ذلك الجراب الخبر عما سيكون من الملاحم والفتن فالملاحم الحروب التي بين المسلمين والكفار والفتن ما يكون بين المسلمين ولهذا قال عبد الله بن عمر لو أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتم وتغفلون كذا وكذا لقائم كذب أبو هريرة وأظهر مثل هذا مما تسكره الملوك وأعوانهم لما فيه من الاخبار بتغير دولهم: ومما يبين هذا أن أبا هريرة إنما أسلم عام خيبر فليس هو من السابقين الأولين ولا من أهل بيعة الرضوان وغيره من الصحابة أعلم بحقائق الدين منه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحدثه وغيره بالحديث فيسمعونه كلهم ولكن أبو هريرة أحفظهم للحديث ببركة حصلت له من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم ذات يوم حديث «أيكم يبسط ثوبه فلا ينسى شيئاً سمعه ففعل ذلك أبو هريرة» وقد روى أنه كان يجزى الليل ثلاثة أجزاء ثلثاً يصلي وثلثاً ينام وثلثاً يدرس الحديث ولم ينقل أحد قط عن أبي هريرة حديثاً يوافق الباطنية ولا حديثاً يخالف الظاهر المعلوم من الدين ومن المعلوم أنه لو كان عنده شيء من هذا لم يكن بد أن ينقل عنه أحد شيئاً منه بل النقول المتواترة عنه كلها تصدق ما ظهر من الدين وقد روى من احاديث صفات الله وصفات اليوم الآخر وتحقيق العبادات ما يوافق اصول أهل الايمان ويخالف قول أهل البهتان .

وأما ما يروى عن أبي سعيد الخراز وأمثاله في هذا الباب ما يذكره أبو طالب في كتابه وغيره وكلام بعض المشايخ الذي يظن أنه يقول بباطن يخالف الظاهر وما يوجد من ذلك في كلام أبي حامد الغزالي أو غيره فالجواب عن هذا كله أن يقال ما علم من جهة الرسول فهو نقل مصدق عن قائل معصوم وما عارض ذلك فاما أن يكون نقلاً عن غير صدق أو قولاً لغير معصوم فإن كثيراً ممن ينقل عن هؤلاء كذب عليهم والصدق من ذلك فيه ما أصابوا فيه تارة وأخطأوا فيه أخرى وأكثر عباراتهم الثابتة ألفاظاً مجعلة متشابهة لو كانت من الفاظ المعصوم

لم تعارض الحكم المعلوم فكيف اذا كانت من قول غير المعصوم — وقد جمع أبو الفضل السهلي كتاباً من كلام أبي يزيد البسطامي سماه النور من كلام طيفور فيه شيء لا ريب انه كذب على أبي يزيد البسطامي وفيه اشياء من غلط أبي يزيد رحمة الله عليه وفيه اشياء حسنة من كلام أبي يزيد وكل أحدهم الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قيل له عن أبي يزيد أو غيره من المشايخ انه قال لمريديه ان تركتم احداً من امة محمد يدخل النار فانا منكم برى، فعارضه الآخر^(١) وقال قلت لمريدى ان تركتم احداً من امة محمد يدخل النار فانا منكم برى، فصدق هذا النقل عنه ثم جعل هذا المصدق لهذا عن أبي يزيد أو غيره يستحسنه ويستعظم حاله فقد دل على عظيم جهله أو نفاقه فانه ان كان قد علم ما اخبر به الرسول من دخول من يدخل النار من أهل الكبار وان النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من يشفع فيهم بعد ان تطلب الشفاعة من الرسل الكبار كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى فيمتنعون ويعتذرون ثم صدق ان مريدى أبي يزيد أو غيره يمتنعون أحداً من الامة من دخول النار أو يخرجون هم كل من دخلها كان ذلك كفراً منه بما اخبر به الصادق المصدق بحكاية منقولة كذب ناقلها أو اخطأ قائلها ان لم يكن تعمد الكذب وان كان لا يعلم ما اخبر به الرسول كان من اجهل الناس بأصول الايمان — فعلى المسلم الاعتصام بالكتاب والسنة وان يجتهد في ان يعرف ما اخبر به الرسول وامر به علماً يقيناً وحيث فلا يدع الحكم المعلوم للمشتبه المجهول فان مثال ذلك مثل من كان سائراً الى مكة في طريق معروفة لاشك انها توصله الى مكة اذا سلكها فعدل عنها الى طريق مجهولة لا يعرفها ولا يعرف منتهاها وهذا مثال من عدل عن الكتاب والسنة الى كلام من لا يدري هل يوافق الكتاب والسنة أو يخالف ذلك: واما من عارض الكتاب والسنة بما يخالف ذلك فهو بمنزلة من كان يسير على الطريق المعروفة الى مكة فذهب الى طريق قبرص يطلب الوصول منها الى مكة فان هذا حال من ترك

(١) هكذا الاصل فليراجع فان المعارضة غير ظاهرة

المعلوم من الكتاب والسنة الى ما يخالف ذلك من كلام زيد وعمر و كائن من كان فان كل احد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأيت في هذا الباب من عجائب الامور ما لا يحصىه إلا العليم بذات الصدور

وأما الحديث المأثور «ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل العلم بالله فاذا ذكره لم ينكره إلا أهل الغرة بالله» فهذا قد رواه أبو اسماعيل الانصاري شيخ الاسلام في كتابه الذي سماه الفاروق بين المثبتة والمعطلة وذكر فيه احاديث الصفات صحيحها و غريبها ومسندها ومرسلها وموقوفها وذكره أيضاً أبو حامد الغزالي في كتبه : ثم هذا يفسره بما يناسب أقواله التي يميل فيها الى ما يشبه أقوال نفاة الصفات من الفلاسفة ونحوهم

وذكر شيخ الاسلام عن شيخه يحيى بن عمار انه كان يقول المراد بذلك احاديث الصفات فيكون يفسر ذلك بما يناقض قول أبي حامد من اقوال اهل الاثبات : والحديث ليس اسناده ثابتاً باتفاق أهل المعرفة ولم يرو في أمهات كتب الحديث المعتمدة فلا يحتاج الى الكلام في تفسيره واذا قدر ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو كلام مجمل ليس فيه تعيين لقول معين فحينئذ فما من مدع يدعي ان المراد قوله الا كان لخصمه أن يقول نظير ذلك : ولا ريب ان قول يحيى ابن عمار وأبي اسماعيل الانصاري ونحوهما أقرب من قول النفاة ان هذا العلم هو من علم النبي صلى الله عليه وسلم بالاتفاق وعلم الصحابة : ومن المعلوم ان قول النفاة لا ينقله أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه لا باسناد صحيح ولا ضعيف بخلاف مذهب المثبتة فان القرآن والحديث والآثار عن الصحابة مملوءة به فكيف يحمل كلام النبي صلى الله عليه وسلم على علم لم ينقله عنه احد ويترك حمله على العلم المنقول عنه وعن اصحابه وكذلك ما ذكره البخاري عن علي رضي الله عنه انه قال «حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما يكرهون أن يخبرون أن يكذب الله ورسوله» قد حمله أبو الوليد بن رشد الحفيسد الفيلسوف وأمثلة

على علوم الباطنية الفلاسفة نفاة الصفات وهذا تحريف ظاهر فان قول علي
 أنحبون أن يكذب الله ورسوله دليل على أن ذلك ما أخبر به النبي صلى الله
 عليه وسلم وأقوال النفاة من الفلاسفة والجهمية والقرامطة والمعتزلة لم ينقل فيها
 مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً لا صحيحاً ولا ضعيفاً فكيف يكذب
 الله ورسوله في شيء لم ينقله أحد عن الله ورسوله بخلاف ما رواه أهل الاثبات
 من أحاديث صفات الرب وملائكته وجنته وناره فان هذا كثير مشهور قد
 لا تحتمله عقول بعض الناس فاذا حدث به خيف أن يكذب الله ورسوله: ومن
 هذا الباب قول عبد الله بن مسعود «ما من رجل يحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم
 الا كان فتنة لبعضهم» وابن مسعود فيما يقول ذا كراً أو أمراً من أعظم الناس اثباتاً
 للصفات وأرواهم لاحاديثها واصحابه من اجل التابعين وابلغهم في هذا الباب
 وكذلك اصحاب ابن عباس فكل من كان من الصحابة اعلم كان اثباته واثبات
 اصحابه ابلغ: فعلم ان الصحابة لم يكونوا يبطنون خلاف ما يظهرون ولا يظهرون
 الاثبات ويبطنون النفي ولا يظهرون الامر ويبطنون امتناعه بل هم اقوم الناس
 في تصديق الرسول فيما أخبر وطاعته فيما امره وهذا باب واسع دخل فيه من
 الامور ما لا يتسع الموضع لتفصيله ولكن نعلم جماع الامر ان كل قول وعمل
 فلا بد له من ظاهر وباطن فظاهر القول لفظ اللسان وباطنه ما يقوم من حقائقه
 ومعانيه بالجنان وظاهر العمل حركات الابدان وباطنه ما يقوم بالقلب من حقائقه
 ومقاصد الانسان

فالمنافق لما أتى بظاهر الاسلام دون حقائق الايمان لم ينفعه ذلك وكان من اهل
 الخسران بل كان في الدرك الاسفل من النار قال تعالى (ومن الناس من يقول
 آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون
 إلا انفسهم وما يشعرون) الآيات فان الله انزل في اول سورة البقرة اربع آيات
 في صفة المؤمنين وآيتين في صفة الكافرين وبضع عشرة آية في صفة المنافقين
 وقال تعالى (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك

لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) وقال تعالى (لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) الآية : والملاحظة يظهر من موافقة المسلمين ويبطنون خلاف ذلك وهم شر من المنافقين فان المنافقين نوعان نوع يظهر الايمان ويبطن الكفر ولا يدعى ان الباطن الذي يبطنه من الكفر هو حقيقة الايمان والملاحظة تدعى ان ما تبطنه من الكفر هو حقيقة الايمان وان الانبياء والاولياء هم من جنسهم يبطنون ما يبطنون مما هو كفر وتعطيل فهم يجمعون بين ابطان الكفر وبين دعواهم ان ذلك الباطن هو الايمان عند اهل العرفان فلا يظهرون للمستجيب لهم ان باطنه طعن في الرسول والمؤمنين وتكذيب له بل يجعلون ذلك من كمال الرسول ونعام حاله وان الذي فعله هو الغاية في السكال وانه لا يفعله إلا اكمل الرجال من سياسته الناس على السيرة العادلة وعمارة العالم على الطريقة الفاضلة وهذا قد يظنه طوائف حقاً باطناً وظاهراً فيؤول امرهم الى ان يكون النفاق عندهم هو حقيقة الايمان : وقد علم بالاضطرار ان النفاق ضد الايمان ولهذا كان اعظم الابواب التي يدخلون منها باب التشيع والرفض لان الرافضة اجهل الطوائف واكذبها وابعدها عن معرفة المنقول والمعقول وهم يجعلون التقية من اصول دينهم ويكذبون على اهل البيت كذباً لا يحصىه إلا الله حتى يرووا عن جعفر الصادق انه قال : التقية ديني ودين آبائي . والتقية هي شعار النفاق فان حقيقةها عندهم ان يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وهذا حقيقة النفاق ثم اذا كان هذا من اصول دينهم صار كل ما ينقله الناقلون عن علي أو غيره من اهل البيت مما فيه موافقة اهل السنة والجماعة يقولون هذا قالوه على سبيل التقية ثم فتحوا باب النفاق للقرامطة الباطنية الفلاسفة من الاسماعيلية والنصيرية ونحوهم فجعلوا ما يقوله الرسول هو من هذا الباب أظهر به خلاف ما أبطن وأمر به خلاف ما أعان فكأن حقيقة قولهم ان الرسول هو امام المنافقين وهو صلى الله عليه وسلم الصادق المبين للناس منازل اليهم المبلغ لرسالة ربه المخاطب لهم بلسان عربي مبين قال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان

قومه ليبين لهم) وقال تعالى (انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) وقال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (فانما يسرناه بلسانك لتبشربه المتقين وتنذر به قوماً لداً) وقال تعالى (لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وقال تعالى (وأنزلنا الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) وقال تعالى (أن علينا جمعه وقرآنه فاذا قرآنه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه) وقال تعالى (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقال تعالى (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) وقالت الرسل (ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وماعلينا الا البلاغ المبين) وقال (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسل فان تولوا فأنما عليه ما حمل وعليكم ما حلتهم وإن تطيعوه تهتدوا وماعلى الرسول إلا البلاغ المبين) وقال تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسل فان توليتم فأنما على رسولنا البلاغ المبين) وقال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) فهذا ونحوه مما يبين ان الرسل عليهم أن يبلغوا البلاغ المبين — يقال بان الشيء وأبان واستبان وتبين وبين كلها أفعال لازمة : وقد يقال أبان غيره وبينه وتبينه واستبانه —

ومعلوم ان الرسل فعلوا ما عليهم بل أخذ الله على أهل العلم الميثاق بأن يبينوا العلم ولا يكتموا وذم كاتميه فقال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وقال تعالى (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) وقال تعالى (ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) فقد لعن كاتميه وأخبر أنه بينه للناس في الكتاب فكيف يكون قد بينه للناس وهو قد كتم الحق وأخفاه وأظهر خلاف ما أبطن فلو سكت عن بيان الحق كان كاتمياً ومن نسب الانبياء الى الكذب والسكران مع كونه يقول أنبياء فهو من أشر المنافقين وأخبثهم وأبينهم تناقضاً وكثير من أهل النسك والعبادة والعلم والنظر

ممن سلك طريق بعض الصوفية والفقراء وبعض أهل الكلام والفلسفة يسلك
 مسلك الباطنية في بعض الامور لاني جميعها حتى يرى بعضهم سقوط الصلاة
 عن بعض الخواص أو حل الحُر وغيرها من المحرمات لهم أو ان لبعضهم طريقاً
 الى الله عز وجل غير متابعة الرسول وقد يحتج بعضهم بقصة موسى والخضر
 ويظنون ان الخضر خرج عن الشريعة فيجوز لغيره من الاولياء ما جاز له من
 الخروج عن الشريعة وهم في هذا ضالون من وجهين : أحدهما ان الخضر لم يخرج
 عن الشريعة بل الذي فعله كان جائزاً في شريعة موسى ولهذا لما بين له الاسباب
 أقره على ذلك ولو لم يكن جائزاً لما أقره ولكن لم يكن موسى يعلم الاسباب التي
 بها أبيحت تلك كملك الظالم فذكر ذلك له الخضر . والثاني ان الخضر لم يكن
 من أمة موسى ولا كان يحب متابعتة بل قال له اني على علم من علم الله علمنيه
 الله لاتعلمه وانت على علم من علم الله علمك الله لأعلمه وذلك ان دعوة
 موسى لم تكن عامة فان النبي كان يبعث الى قومه خاصة ومحمد صلى الله عليه
 وسلم بعث الى الناس كافة بل بعث الى الانس والجن باطناً وظاهراً فليس
 لأحد أن يخرج عن طاعته ومتابعتة لاني الباطن ولاني الظاهر لامن الخواص
 ولامن العوام ومن هؤلاء من يفضل بعض الاولياء على الانبياء وقد يجعلون
 الخضر من هؤلاء وهذا خلاف ما أجمع عليه أهل الطريق المقتدى بهم دع عنك
 سائر أئمة الدين وعلماء المسلمين بل لما تكلم الحكيم الترمذي في كتاب ختم
 الاولياء بكلام ذكر انه يكون في آخر الاولياء من هو أفضل من الصحابة
 وربما لوح بشيء من ذكر الانبياء قام عليه المسلمون وأنكروا ذلك عليه ونفوه
 من البلد بسبب ذلك ولا ريب انه تكلم في ذلك بكلام فاسد باطل لا ريب فيه
 ومن هناك ضل من اتبعه في ذلك حتى صار جماعة يدعي كل واحد انه خاتم
 الاولياء كابن عربي صاحب الفصوص وسعد الدين بن حمويه وغيرهما وصار
 بعض الناس يدعي ان في المتأخرين من يكون أفضل في العلم بالله من أبي بكر
 وعمر والمهاجرين والانصار الى امثال هذه المقالات التي يطول وصفها مما هو

باطل بالكتاب والسنة والاجماع بل طوائف كثيرة من آل الامر بهم الى مشاهدة الحقيقة الكونية القدسية وظنوا ان من شهدها سقط عنه الامر والنهي والوعد والوعيد وهذا هو دين المشركين الذين قالوا (لو شاء الله ما اشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من دونه من شيء) وهؤلاء شر من القدرية المعتزلة الذين يقولون بالأمر والنهي والوعد والوعيد ويكذبون بالقدر فان اولئك يشبهون الجحوش وهؤلاء يشبهون المشركين المكذبين بالانبياء والشرائع فهم من شر الناس: وقد بسط الكلام على هذه الامور في غير هذا الموضع والمقصود هنا ان الظاهر لا بد له من باطن بحقيقته ويصدق به ويوافقه فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق ومن ادعى باطناً يخالف ظاهراً فهو كافر منافق بل باطن الدين يحقق ظاهره ويصدق به ويوافقه وظاهره يوافق باطنه ويصدق به وبحقيقته فكما ان الانسان لا بد له من روح وبدن وهما متفقان فلا بد للدين الانسان من ظاهر وباطن يتفقان فالباطن للباطن من الانسان والظاهر للظاهر منه والقرآن مملوء من ذكر احكام الباطن والظاهر والباطن أصل الظاهر كما قال أبوهريرة القلب ملك والاعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبث الملك خبثت جنوده وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب » وفي المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « الاسلام علانية والايمان في القلب » وقد قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأمدهم بروح منه) وقال تعالى (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم) وقال تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد الى السماء) وقال تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقال تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون) وقال تعالى (الذين آمنوا وتطمئن

قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وأمثال هذا كثير في القرآن
وقال في حق الكفار (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) وقال (ختم
الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وأمثال ذلك فنسأل الله
العظيم أن يصلح بواطننا وظواهرنا ويوفقنا لما يحبه ويرضاه من جميع أمورنا بمنه
وكرمه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
تسليماً كثيراً

﴿ نمت الرسالة ﴾



وقد طبعت هذه الرسالة على نسخة بخط الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة
بعد مراجعتها على نسخة موجودة في المكتبة الخانة الاهلية المصرية نمرتها ٢٤٣٦
فن التصوف .

رسالة

في رفع اليدين في الصلاة

« للشيخ الامام »

تقي الدين السبكي • المتوفى سنة ٧٥٦هـ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه الاحاديث الواردة في رفع اليدين عند الركوع والرفع منه مخصصة لخصها
الشيخ الامام العالم مفتي المسلمين قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن
عبد الكافي بن تمام السبكي الشافعي أحسن الله توفيقه آمين
عن ابن عمر رضي الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يرفع
يديه حذو منكبيه إذا افتتح الصلاة وإذا كبر للركوع وإذا رفع رأسه من الركوع
رفعهما كذلك » رواه البخاري ومسلم * وفي رواية البيهقي « فما زالت تلك
صلاته حتى لقي الله تعالى » * عن أبي قلابة أنه رأى مالك بن الحويرث « إذا
صلى كبر ورفع يديه إذا أراد أن يركع رفع يديه وإذا أراد رفع رأسه من الركوع
رفع يديه وحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع هكذا » رواه البخاري
ومسلم * وفيه في سنن أبي داود عن مالك بن الحويرث قال « رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرفع يديه إذا كبر وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع » *
عن وائل بن حجر رضي الله عنه وهو من أولاد الملوك « أنه رأى رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم رفع يديه حين دخل في الصلاة كبر وصفهما حيال أذنيه ثم

(١) عدهذه الرسالة من مصنفات والده تاج الدين السبكي في طبقات الشفعية

التحف بثوبه ثم وضع يده اليمنى على اليسرى فلما أراد أن يركع أخرج يديه من الثوب ثم رفعهما ثم كبر فركع فلما قال سمع الله لمن حمده رفع يديه « رواه مسلم في صحيحه ورواه البخاري في كتاب رفع اليدين » وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه في عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم قتادة وأبو أسيد وسهل بن سعد ومحمد بن مسلمة « قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قام إلى الصلاة استقبل القبلة ورفع يديه ثم رفع رأسه ورفع يديه ثم رفع رأسه ورفع يديه » رواه جماعة منهم أبو داود والبخاري في كتاب رفع اليدين وغيرهما بأسانيد صحيحة وأصله في البخاري « عن أنس رضي الله عنه » أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يرفع يديه إذا دخل في الصلاة وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع « رواه ابن ماجه مرفوعا والبخاري في كتاب رفع اليدين موقوفا والبيهقي مرفوعا بعضهم يزيد على بعض وسنده صحيح » عن أبي هريرة رضي الله عنه « قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرفع يديه في الصلاة حذو منكبيه حين يفتتح الصلاة وحين يركع وإذا رفع للسجود » رواه أبو داود والبخاري في كتاب رفع اليدين « عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صلاة الظهر يرفع يديه إذا كبر وإذا رفع رأسه من الركوع » رواه ابن ماجه والبيهقي واللفظ له « عن أبي موسى رضي الله عنه « قال هل أريكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكبر ورفع يديه للركوع ثم قال سمع الله لمن حمده ورفع يديه ثم قال هكذا فاصنعوا » رواه الدارمي » عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما « أنه صلى بهم يشير بكفيه حين يقوم وحين يركع وحين يسجد وحين ينهض قال ميمون فأنطلقت إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال إن أحببت أن تنظر إلى صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاقتدوا بصلاة ابن الزبير » رواه أبو داود « عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يصلي هكذا « يرفع يديه إذا افتتح الصلاة وإذا رفع رأسه من الركوع وقال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان يفعل مثل ذلك »

رواه البيهقي وقال رواه ثقات* عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرفع يديه إذا كبر وإذا رفع رأسه من الركوع »
 رواه الدارقطني* عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه « أنه كان إذا قام إلى الصلاة المكتوبة كبر ورفع يديه حذو منكبيه ويصنع مثل ذلك إذا قضى قراءته وأراد أن يركع ويصنعه إذا رفع من الركوع » رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارقطني والطحاوى والبخاري في كتاب رفع اليدين وقال الترمذي حسن صحيح*
 وسئل أحمد عنه فقال صحيح* عن عمر الليثي قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه مع كل تكبيرة في الصلاة المكتوبة » رواه ابن ماجه* عن البراء بن عازب رضى الله عنه « قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا افتتح الصلاة رفع يديه وإذا أراد أن يركع وإذا رفع رأسه من الركوع » رواه الحاكم ثم البيهقي* عن النضر بن كثير « قال صلى إلى جنبي ابن طاووس فكان إذا سجد السجدة الأولى فرفع رأسه منه رفع يديه تلقاء وجهه فقال ابن طاووس رأيت أبي يصنعه وقال اني رأيت ابن عباس رضى الله عنهما يصنعه ولا أعلم إلا أنه قال كان النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يصنعه » رواه أبو داود والنسائي* عن حميد بن هلال قال حدثني من سمع العرابي يقول « رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وهو يصلي يرفع » رواه أبو نعيم الفضل بن دكين*
 حديث مرسل* عن قتادة « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كان يرفع يديه إذا ركع وإذا رفع » رواه عبد الرزاق في جامعه* حديث آخر مرسل عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أراد أن يكبر رفع يديه لا يتجاوز أذنيه وإذا رفع رأسه من الركوع رفع يديه لا يتجاوز أذنيه » رواه أبو نعيم الفضل بن دكين في كتاب الصلاة: حديث عن سليمان « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كان يرفع يديه في الصلاة » رواه مالك في الموطأ
 عدة الصحابة الذين نقل عنهم رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن

ابن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ومالك بن الحويرث وزيد بن ثابت وإبى بن كعب وابن مسعود وأبو موسى وابن عباس والحسين بن علي والبراء بن عازب وزيد بن الحارث وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وأبو قتادة وسليمان وعمرو بن العاص وعقبة بن عامر وبريرة وأبو هريرة وعمار بن ياسر وعدى ابن عجلان وعمير الليثي وأبو مسعود الانصاري وعائشة وأبو الدرداء وابن عمر وابن الزبير وأنس ووائل بن حجر وأبو حميد وأبو أسيد ومحمد بن سلمة وجابر وعبد الله بن جابر البياضي واعرابي صحابي فهو لا، ثلثة وأربعون صحابيا رضى الله عنهم رواه منهم الخلفاء الراشدون والعشرة المبشرة المشهود لهم بالجنة: العلماء القائلون برفع اليدين الصحابة لم يستثن منهم واحد ولم يصح عن أحد منهم تركه: ومن التابعين فمن بعدهم علماء أهل مكة والمدينة والحجاز واليمن والشام وأكثر أهل العراق والبصرة وأكثر أهل خراسان منهم سعيد بن جبير وعطاء ابن رياح ومجاهد والقاسم بن محمد وسالم بن عبد العزيز والنعمان بن أبي عباس والحسن البصري وابن سيرين وطاوس ومكحول وعبد الله بن دينار ونافع والحسن بن مسلم وقيس بن سعد وابن المبارك وعامة أصحابه: ومحدثو أهل بخارى منهم عيسى بن موسى وكعب بن سعيد ومحمد بن سلام وعبد الله ابن محمد المسندي والاوزاعي ومالك بن أنس في مشهور قوله والشافعي واحمد واسحق ويعقوب والحيدى وابن المديني وابن معين وأهل الظاهر: وذهب الاوزاعي والحيدى وجماعة غيرهما الى أنه واجب وأنه يفسد الصلاة بتركه. ومن الدليل لوجوبه أن مالك بن الحويرث رضى الله عنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يفعل في الصلاة وقال له ولاصحابه «صلوا كما رأيتموني أصلي» والامر للوجوب وكان ابن عمر رضى الله عنهما اذا رأى رجلا لا يرفع يديه رماه بالحصى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿ تمت الرسالة والحمد لله ﴾

رسالة التوبة

في الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة

تأليف

« شيخ الاسلام »

الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

المتوفى سنة ٨٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله غافر الذنوب وان عظمت كاشف الكرب ولو استحكمت احمده
والحمد له من أوثق عرى الإيمان واشكره واشكر له سبب مزيد الامتنان وأشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ارسله الى
الناس رحمة شاملة وبركة كاملة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هاجروا معه
والذين نصروه والذين اتبعوا ما أنزل اليه من ربه فوازره ووافدوه وعلى
الذين اتبعوهم باحسان والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان صلاة وسلاماً دائمين ما تعاقب الملوان ونجدد الجديدان:

وبعد فهذه أحاديث نبوية تتبعتها من كتب غريبة ومشهورة وكلها داخلة
تحت معنى واحد رائق وهو العمل بما ورد الوعد فيه بغفران ما تقدم من الذنوب
وما تأخر على لسان المصدق الصادق وقد رتبها على الابواب ليسهل كشفها

على الطلاب وسميتها بالحصل المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة: وقبل الشروع في إيراد الأحاديث فقد أردت أن أذكر شيئاً من كلام الأئمة هنالك في جواز وقوع ذلك فمن ذلك أن الأئمة رضى الله عنهم تكلموا على قوله صلى الله عليه وسلم في أهل بدر «ان الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» بالجزم والرواية الأخرى «لعل الله» وقوله اعملوا للتكريم والمراد ان كل عمل عمله البدرى لا يؤاخذ به وقيل ان اعمالهم السيئة تقع مغفورة كأنها لم تقع وقيل انهم حفظوا فلا تقع منهم سيئة : ومما يدخل في هذا المعنى ما ورد في صوم يوم عرفة وانه يكفر ذنوب سنتين الماضية والمستقبلة وهو دال على وجود التكفير قبل وقوع الذنب

ومن ذلك ما أخرجه ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوماً طيب النفس فقلت يا رسول الله ادع الله لى فقال : اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر وما أسرت وما أعلنت » الحديث * وقال لعمر رضى الله عنه « غفر الله لك ما قدمت وما أخرت وما هو كائن الى يوم القيامة » فدعاء المعصوم بذلك لبعض امته دال على جواز وقوع ذلك واذا علم انه تعالى مالك كل شيء له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى لم يمتنع ان يعطى من شاء ما شاء (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) فلنشرع في إيراد ما وعدنا به والله سبحانه أسأل ان ينفع به انه قريب مجيب لا إله الا هو عليه توكلت واليه أنيب

﴿ من كتاب الطهارة ﴾ قال ابو بكر بن أبى شيبة في مصنفه ومسنده معاً من رواية حمران بن ابان مولى عثمان بن عفان قال « دعا عثمان رضى الله عنه بوضوء في ليلة باردة وهو يريد الخروج الى الصلاة فجمته بماء فاكتر تردد الماء على وجهه ويديه فقلت له حسبك قد أسبغت الوضوء والليلة شديدة البرد فقال صب فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسبغ الوضوء عبد إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وأخرجه ايضاً ابو بكر احمد بن على

المروزي شيخ النسائي والبزار في مسنده وأصل الحديث في الصحيحين لكن ليس فيهما « وما تأخر »

﴿ من كتاب الصلاة ﴾ قال أبو عوانة الاسفرائيني في مستخرجه الصحيح على مسلم من رواية سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع المؤذن فقال « وفي رواية محمد بن عامر » من قال حين يسمع المؤذن يقول أشهد ان لا اله الا الله قال أشهد أن لا إله إلا الله رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً » وفي رواية محمد بن عامر « رسولاً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال رجل يا سعد ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهذا الحديث أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وأبو عدى « وما تأخر »

﴿ حديث صلاة التسبيح ﴾ قال أبو داود من رواية ابن عباس رضى الله عنهما « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب يا عمه ألا أعطيك الا امنحك الا احبوك الا افعل بك عشر خصال اذا انت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك اوله وآخره قديمه وحديثه خطاه وعمده صغيره وكبيره سره وعلايته ان تصلى اربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركعت فتقولها وانت راكع عشراً ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً ثم تهوى ساجدا فتقولها وانت ساجد عشراً ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً ثم تسجد فتقولها عشراً ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات ان استطعت ان تصلها في كل يوم مرة فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة فان لم تفعل ففي كل سنة مرة فان لم تفعل ففي عرك » هكذا أورده أبو داود والترمذى وأورده ابن خزيمة وله شواهد آخر

(حديث في التأمين في الصلاة) قال ابن وهب في مصنفه ان أباه ريرة رضى الله عنه « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أمن الامام فأمنوا فان الملائكة تؤمن فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » هكذا روينا في المجلس الثاني من أمالى عبد الله الجرجاني وهذا الحديث أخرجه مسلم وابن ماجه وليس فيه « ماتأخر »

(حديث في فضل الضحى) قال آدم بن اياس في كتاب الثواب عن على كرم الله وجهه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى سبعة الضحى ركعتين إيماناً واحتساباً كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ورفع له مائتي درجة وغفر له ذنوبه كلها ماتقدم منها وماتأخر الا القصاص » لكن اسناده ضعيف جداً

(حديث في فضل القراءة بعد الجمعة) قال أبو عبد الرحمن السلمي عن أنس رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا سلم الامام من صلاة الجمعة قبل أن يثنى رجله فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبعاً سبعاً غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وأعطى من الاجر بعدد من آمن بالله واليوم الآخر » هكذا رواه أبو الاسعد القشيري وفي اسناده ضعف شديد جداً وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما « من قرأ بعد صلاة الجمعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس حفظ ما بينه وبين الجمعة الاخرى » وذكر أبو عبيد مثله من غير ذكر فاتحة الكتاب وقال « حفظ وكفي من مجلسه ذلك الى مثله »

(حديث في فضل الصيام) قال الامام احمد في مسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بقيام رمضان من غير أن يأمرنا فيه بعزيمة ويقول من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » هكذا أخرجه الامام احمد في مسنده : ورواه مسلم وغيره من طرق كثيرة من غير « وماتأخر » : وقال النسائي في السنن الكبرى له عن أبي هريرة

رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وفي رواية أبي قتيبة « غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وفي حديث قتيبة « وما تأخر » كذا رواه النسائي عن قتيبة وتابعه حامد بن يحيى رضى الله عنه

(حديث في فضل قيام ليلة القدر) قال الامام احمد في مسنده عن عبادة ابن الصامت رضى الله عنه « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر في العشر البواقي من قامهن ابتغاء حسبتهن فان الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهي ليلة وتر تسع أو سبع أو خامسة أو ثالثة أو آخر ليلة » هذا حديث رجاله ثقات : وفي طريق أخرى عن عبادة رضى الله عنه أيضاً « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في رمضان فالتمسوها في العشر الأواخر فانها في وتر احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة فمن قامها إيماناً واحتساباً ثم وقعت له غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وذكر الطبراني في المعجم نحوه

(حديث في صيام يوم عرفة) قال ابو سعيد النقاش الحافظ في أماليه عن ابن عمر رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم عرفة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وقد ثبت في صحيح مسلم انه يكفر ذنوب السنة الماضية والمستقبلة فاعل ذلك المراد من قوله « ما تقدم من ذنبه وما تأخر » (من كتاب الحج : حديث في فضل الاهلل من المسجد الاقصى) قال ابو داود في كتاب السنن له عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم « انهى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الاقصا الى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أو وجبت له الجنة » شك عبد الله ورواه البيهقي في شعب الايمان وقال « فيه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة » هكذا نسخته بوار وليس قبلها الف : ورواه البخاري

في تاريخه الكبير ولم يذكر فيه « وما تأخر »

(حديث في فضل الحج الخالص) قال ابو نعيم في الحلية من رواية عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه « قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من جاء حاجاً يريد وجه الله فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع في من دعا له » : (حديث في ذلك) قال ابو عبد الله بن مندة في أماليه عن عائشة رضي الله عنها قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله فان مات قبل أن يقضى نسكه وقع أجره على الله وان بقى حتى يقضى نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانفاق درهم في ذلك الوجه يعدل الف الف في ما سواه في سبيل الله » ورويناه في الجزء السابع من كتاب الترغيب لابن حفص عمر بن شاهين (حديث آخر في ذلك) أخرج احمد بن منيع في مسنده عن جابر رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وأخرجه أبو يعلى في مسنده الكبير * كذلك حديث آخر ذكر القاضي عياض في الشفا « ان من صلى خلف مقام ابراهيم ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمين »

(حديث في فضل قراءة آخر سورة الحشر) قال أبو اسحق الثعلبي في تفسيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر »

(حديث في فضل تعليم الولد القرآن) قال أبو بكر بن لال في كتاب مكارم الاخلاق عن أنس رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم ابنه القرآن نظراً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن علم ابنه قرآناً فكلما قرأ آية رفع الله بها للاب درجة حتى ينتهي الى آخر ما معه من القرآن »

(حديث في فضل التسبيح والتهليل والتكبير) قال أبو عبد الله محمد بن حيان في فوائد الاصفهانيين « عن أم هانئ رضي الله عنها وكانت تكثر الصيام

والصلاة والصدقة فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه ضعفها فقال سأخبرك بما هو عوض عن ذلك تسبحين الله مائة مرة فتلك مائة رقبة تعتقها متقبلة وتحمدين الله مائة مرة فذلك مائة بدنة تهديها متقبلة وتكبرين الله مائة مرة وهناك يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر» قال وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «من عد في البحر أربعين موجة وهو يكبر الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وان الامواج لتحت الذنوب حثا» (من كتاب الجهاد: حديث في فضل الرباط بعكا) قال أبو الحسن الربيعي في كتاب فضائل الشام عن أنس رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مدينة بين الجبلين يقال لها عكا من دخلها رغبة فيها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن خرج منها رغبة عنها لم يبارك له في خروجه وبها عين تسمى عين البقر من شرب منها ملاً الله بطنه نوراً ومن أفاض منها كان طاهراً الى يوم القيامة » اسناده مجهول

(حديث في فضل قود الاعمى) خرج أبو عبد الله بن مندة في أماليه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاد مكفوفاً أربعين خطوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » قال عبد الله هو غريب وقال الامام احمد وابن معين وأبو داود واثبت

(حديث في فضل السعي في حاجة المسلم) أخرج أبو احمد عبد الله بن محمد والمفسر الناصح عن أنس رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لآخيه المسلم في حاجته قضيت له أو لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءة من النار وبراءة من النفاق »

(حديث في فضل المصافحة) قال الحسن بن سفيان وأبو يعلى الموصلي في مسنديهما عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال ما من عبد من متحابين في الله » وفي رواية « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان ويصليان على النبي صلى الله عليه وسلم إلا لم يتفرقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر » أخرجه ابن حبان

(حديث في فضل الحمد عقيب الاكل) قال أبو داود في السنن عن سهل ابن معاذ بن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أكل طعاماً ثم قال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » استاده حسن وسهل بن معاذ بن أنس هو الجهني المصري تابعي مشهور بالصدق

(حديث في فضل التعمير في الاسلام) وقع لنا من حديث عبد الله بن أبي بكر الصديق ومن حديث عثمان بن عفان ومن حديث شداد بن أوس ومن حديث أبي هريرة ومن حديث ابن عباس ومن حديث عبد الله بن عمر ومن حديث أنس رضي الله عنهم أجمعين أما حديث عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فقال أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة عن عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغ المرء المسلم أربعين سنة صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء الجنون والجذام والبرص فإذا بلغ خمسين سنة خفف الله عنه ذنوبه فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الانابة اليه فإذا أبلغ سبعين سنة أحبته الملائكة » وفي رواية « أهل السماء فإذا بلغ ثمانين سنة أثبتت حسناته ومحيت سيئاته فإذا بلغ تسعين سنة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله في أرضه وشفع لأهل بيته » وفي رواية غير البغوي « شفعه الله في أهل بيته يوم القيامة » وأما حديث عثمان ابن عفان رضي الله عنه فروى الترمذي عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله جل ذكره إذا بلغ عبدى أربعين سنة عافيته من البلاء الثلاث من الجنون والجذام والبرص فإذا أبلغ خمسين سنة حاسبته حساباً يسيراً فإذا بلغ ستين سنة حببت اليه الانابة فإذا بلغ سبعين سنة أحبته الملائكة فإذا بلغ ثمانين سنة كتبت حسناته والقيت سيئاته فإذا بلغ تسعين سنة قالت الملائكة أسير الله في أرضه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع في أهل بيته » وأما حديث شداد بن أوس رضي الله عنه فقد أخرجه ابن حبان من طريق زيد بن

الحباب فذكر نحو ماتقدم : وأما حديث أبي هريرة رضى الله عنه فقال الترمذى الحكيم في نواذر الاصول عن أبي هريرة رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا بلغ أربعين سنة وهو العمر آمنه الله من الخصال الثلاث من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة وهو الدهر خفف الله عنه الحساب فاذا بلغ ستين سنة وهو في ادبار من قوته رزقه الله الانابة اليه فيما يحبه فاذا بلغ سبعين سنة وهو الحقب أحبه أهل السماء فاذا بلغ ثمانين سنة وهو الخرف أثبتت حسناته ومحيت سيئاته فاذا بلغ تسعين سنة وهو الفقد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وشفع في أهل بيته وسماه أهل السماء أسير الله فاذا بلغ مائة سنة سمي حبيب الله في الارض وحق على الله أن لا يعذب حبيبه » وأما حديث ابن عباس رضى الله عنهما فقال الحاكم في تاريخ نيسابور عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال يشغر الغلام لتسع سنين ويحتلم في أربع عشرة سنة ويتم طوله لاحدى وعشرين سنة ويجتمع له عقله لثمان وعشرين سنة ثم لا يزداد بعد ذلك عقلا إلا بالتجارب فاذا بلغ أربعين سنة عافاه الله من أنواع البلاء من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة رزقه الله الانابة اليه فاذا بلغ ستين سنة حبيه الله الى أهل سماه وأهل أرضه فاذا بلغ سبعين سنة أثبتت حسناته ومحيت سيئاته فاذا بلغ ثمانين سنة استحيى الله تعالى منه أن يعذبه فاذا بلغ تسعين سنة كان أسير الله في أرضه فلم يخط عليه القلم بحرف » وأما حديث أنس بن مالك رضى الله عنه فله طرق كثيرة فمن أصحابها ما ذكره البيهقي في كتاب الزهد له عن أنس رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من معمر يعمر في الاسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ الخمسين أين الله حسابه فاذا بلغ الستين رزقه الله الانابة اليه فاذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء فاذا بلغ الثمانين قبل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ التسعين غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وسمي أسير الله في الارض وشفع في أهل بيته »

وقال ابو يعلى في مسنده يرفع الحديث قال « المولود اذا لم يبلغ الحنث فما عمل من حسناته كتبت لوالده أو لوالديه وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا علي والديه فاذا بلغ الحنث جرى عليه القلم وأمر المملكان اللذان معه أن يحفظاه ويسداه أفاذا بلغ أربعين سنة فكما تقدم » ومن شواهد هذا ما أخرجه ابن حبان عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من بلغ الثمانين من هذه الامة يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة » ومن شواهد أيضاً ما أخرجه ابن مردويه في تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (في أحسن تقويم) أي في أعدل خالق (ثم رددناه أسفل سافلين) يعنى أرذل العمر (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) يعنى غير منقوص يقول فاذا بلغ المؤمن أرذل العمر وكان يعمل في شبابه عملاً صالحاً كتب له من الاجر مثل ما كان يعمل في صحته وشبابه ولم يضربه ما عمل في كبره ولم تكتب عليه الخطايا واسناده صحيح : ومما يدل على شهرة هذا الحديث في المتقدمين ما قاله الحسن بن الضحاك في أبيات

أنا في الثمانين وفيتها	وعندي قبول ولم أعتذر
وقد رفع الله أقلامه	عن ابن ثمانين دون البشر
وانى لمن أسراء الله في الا	رض نصيب صروف القدر
فان يقض لي عملاً صالحاً	أثاب وان يقض شرّاً غفر

وله أيضاً

أصبحت من أسراء الله محتسباً	في الارض تحت قضاء الله والقدر
ان الثمانين إذ أوفيت عدتها	لم تبق باقية منى ولم تنذر

قال المصنف :

يارب أعضاء السجود عتقتها	من فضلك الوافي وأنت الواقى
والعتق يسرى بالغنى اذا الغنى	فأمنن على الفاني بعتق الباقي

تمت الرسالة وتم بها المجلد الاول من المجموعة المنيرية والحمد لله أولاً وآخراً

فهرست

المجلد الاول من المجموعة المنيرية

صفحة	صفحة
١٠ فصل - سهولة الاطلاع والتصحيح	١ الرسالة الاولى - ارشاد النقاد
١١ » - « الاجتهاد اليوم عنه فيما سبق	الى تيسير الاجتهاد للعلامة الصنعاني
١٢ » - تصحيح الشافعي والبخاري	٢ عمل المتأخر بتصحيح المتقدم الحديث
١٣ رد على من نفى الاجتهاد المطلق	تقليد أم اجتهاد والخلاف فيه
١٤ اختلاف الراي في التصحيح دليل على	٣ تعريف الحديث الصحيح - الواجب
انه اجتهاد - التصحيح عمل بالرواية	أو الراجح العمل بخبر العدل وقبوله
١٥ و ١٤ التوفيق بين رأي مالك	ليس من التقليد
وشعبة في ابن اسحاق	٤ اشتراط السلامة من الشذوذ والعلة
١٦ اختلاف العلماء في تصحيح الاخبار	لا يمنع انه اجتهاد
ناشيء عن الرواة	٥ تصحيح البخاري تقليد أو اجتهاد
١٧ فصل مصحح الحديث راو فيجب	٦ فصل - جواز التصحيح للمتأخر -
معرفة حاله أيضاً	كونه مجتهداً فيه
١٧ فصل ما يجب في الخبرين بالصحة	٧ رد القول باحالة الاجتهاد
١٨ مزية الصحيحين	٨ ضرورة علم اللغة للحديث
١٩ معرفة الحق من أقوال أئمة الجرح	٩ فضل علماء الحديث

صفحة

صفحة

- والتعديل ٢٠
القوادح المذهبية لا يلتفت اليها ٢١
الاجتهاد موهبة من الله ٢١
بيان ما سهل الاجتهاد ٢٢
شروط الاجتهاد ٢٤
المتعة وما جاء فيها ٢٥
قول الشافعي واحمد وابي حنيفة في أنه لا يقدم على السنة قول أحد ٢٨
ما التقليد . حقيقته ٢٩
القول بجوازه ٣٠
التوقف بتصديق الخبر حتى تقوم البينة ٣١
اقامة البينة على المدعي ٣٢
مكابرة المكابرين وتعتهم ٣٤
قبول خبر الآحاد مشروط ٣٥
سؤال أهل العلم ٣٦
تأثير كلام الله ورسوله في العمامة ٣٧
حديث اجتهاد الحاكم ٣٨
كلام الله ورسوله أقرب الى الافهام ٣٩
ما جاء في صيام الشك ٤٠
رد الائمة لأدلة جواز التقليد ٤١
سؤال الصحابة لنسائه صلى الله عليه وسلم ٤٢
رد أدلة المقلدين
- ٤٦ الواجب على كل عبد ما يخصه من الأحكام - الأحكام ٤٨
الرسالة المائنة - رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة للشوكانى ٤٩
جواز الغيبة في ستة مواضع ٥٠
تحريمها ثابت بالكتاب والسنة والاجماع ٥١
لا يحب الله الجهر بالسوء ٥٢
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ٥٣
ذهاب الدين بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ٥٤
ترجيح أدلة تحريم الغيبة ٥٥
ما جاء في اغتيال هند لأبي سفيان ٥٦
حديث خير القرون قرنه ٥٧
الاخبار بالغيبة عند المشاورة ٥٨
ذكر المجاهر بالفسق ماجاهر به ٥٩
حديث « بنس أخو العشيرة » ٦٠
الغيبة ذكر ك أخاك بما يكره ٦٢
الرسالة المائنة - شرح الصدور في تحريم رفع القبور للعلامة الشوكانى ٦٣
العالم كالجاهل في التكليف والتعبد ٦٦
رفع القبور والبناء عليها بدعة منهية عنها

صفحة	صفحة
٦٧ قول الامام يحيى لا باس بالقباب الخ	عصر على حكم نص لا يقطع فيه
٦٨ طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام	باجماع الصحابة يوجب القطع بأنه
طاعة لله	حق وحجة ولا يكون اجماعا
٧٠ النهي عن اتخاذ القبور مساجد	٨٣ وجوب الرجوع الى القرآن والسنة
٧١ حديث لا تتخذوا قبوري وثنا	٨٤ لا يحل القول في الدين بالقياس
٧٢ حديث يا فاطمة بنت محمد لا أغنى	٨٥ الاعتبار معناه التعجب لا القياس
عنك من الله شيئا	٨٦ الحجة على ابطال القياس
٧٣ لا نذر في معصية	٨٧ ما يضاف على النص للقول بالقياس باطل
٧٤ النحر من أنواع العبادة	٨٩ حديث افتراق الأمة على بضعة
٧٥ لا يقتدي بالعالم اذا خالف الكتاب	وسبعين فرقة
أو السنة	٩٠ حديث أيها الناس ان الله فرض
٧٧ الرسالة الرابعة - مسائل من علم	عليكم الحج فخرجوا
الأصول للامام ابن حزم	٩١ الفرض من أفعال النبي ما كان بياناً
٧٨ الموقوف والمرسل لا تقوم بهما حجة	لأمر - لا يحل اتباع شريعة نبي
برهان البطلان	قبل نبينا صلى الله عليه وسلم
٧٩ رواية المجهول - القرآن ينسخ القرآن	٩٢ حديث أعطيت خمسا لم يعطهن
والسنة، والسنة تنسخ القرآن والسنة	أحد قبلي
٨٠ ما لا يحل قوله في الآية أوفي الحديث	٩٣ من قلد عالماً لم يطع الله ولا رسوله
٨١ الاجماع اليقين بأن جميع الصحابة	٩٤ الرأي والقياس ظن والظن باطل
عرفوا به وقالوا به	٩٥ ضعيف الحديث أقوم من الرأي
٨٢ ماصح فيه خلاف آخر من الصحابة لم	٩٦ «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»
يكن اجماعا - يتعين اجماع أهل	٩٧ « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر »
	٩٨ الحكم بالظن وتعليق الامير الصنعاني

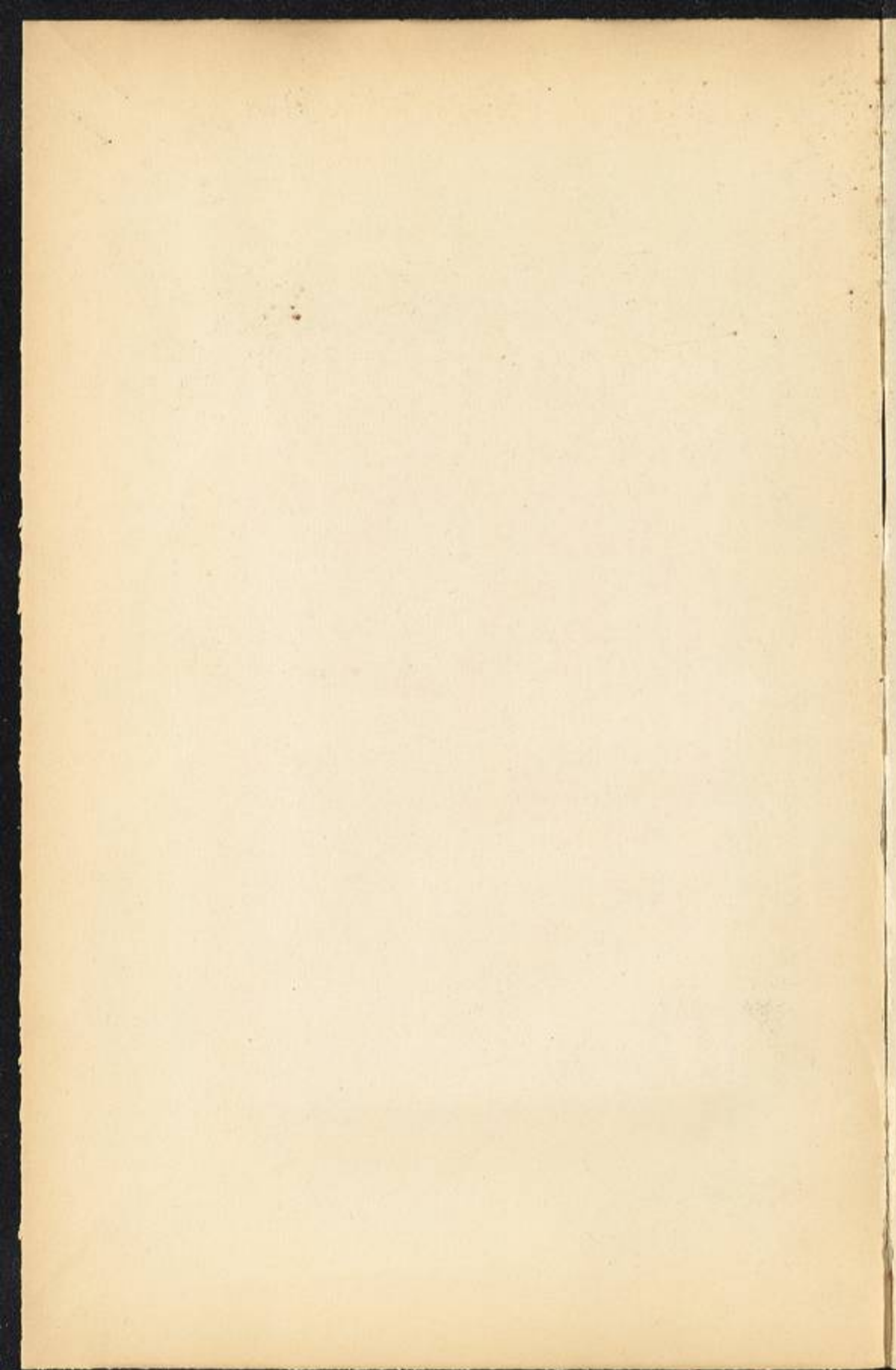
صحيفة	صحيفة
١٢١ الحديث الطويل « لكل شيء شرف وأشرف المجالس ما استقبل به القبلة الخ »	١٠٠ الرسالة الخامسة - مسألة القدر للامام ابن تيمية
١٢٢ الايمان بالحوض والكوثر والرؤية	١٠٥ الرسالة السادسة - عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني
١٢٣ الايمان قول وعمل ومعرفة	١٠٦ عقيدة أصحاب الحديث
١٢٤ الايمان يزيد وينقص	١٠٧ قول أهل الحديث في صفات الله عز وجل - عقيدتهم في القرآن
١٢٦ تكفير تارك الصلاة عمداً	١٠٩ تكفيرهم من ذال بخلق القرآن
١٢٧ اعتقاد ان الخير والشر بقضاء الله وقدره	١١٠ قولهم في آية « الرحمن على العرش استوى »
١٢٧ عواقب العباد مبهمة	١١١ ما جاء في تفسير الاستواء
١٢٨ العشرة المبشرون بالجنة	١١٣ حديث ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة الخ
١٢٩ الصلاة خلف البر والفاجر	١١٥ النزول بلا كيف - « ان الله يمهل حتى اذا كان ثلث الليل الخ »
١٣٠ لكل مخلوق أجل - وسوسة الشيطان للآدميين	١١٦ ذكر أخبار ثابتة في نزول الرب من غير صفة كيفية النزول مع اثبات النزول
١٣٢ من علامات أهل البدع تجنبهم سماع الحديث	١١٨ حديث « انكم تنظرون الى ربكم الخ »
١٣٥ قلة العلم من علامات الساعة	١١٩ قصة صبيغ بن عثل مع عمر بن الخطاب « رض »
١٣٦ الرسالة السابعة - تحذير أهل الايمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن	١٢٠ أحاديث الصفات والروية
١٣٧ بيان أعظم أسباب التأخر	
١٣٨ ترك الوحي السماوى والتمسك	

صفحة	صفحة
بهم بلاء»	بالقوانين
١٥٥ حديث «خمس بخمس الخ	١٤١ الحاجة الى الشريعة ضرورية جداً
١٥٦ «يوشك أن تداعى عليكم الامم»	١٤٢ الشرع المنزل والشرع المؤول
- «حكاية لطيفة»	والشرع المبدل
١٥٨ أمر الله بطاعة رسوله عليه الصلاة	١٤٣ دين الانبياء كلهم الاسلام
والسلام	١٤٤ ماجاء في معنى «وما كنا معذبين»
١٥٩ محبة الله بموافقة ما أمر به	الآية
١٦٠ القضاء ما قضى به الله ورسوله	١٤٥ لا يدخل النار من لا ذنب له -
١٦١ احباط اتباع القوانين للاعمال	لا يدخلها الامن قامت عليه الحجة
١٦٣ زعم أن اتباع الشريعة مانع من	بالرسل - الاعتياض عن القانون
الترقية	السماءى بالقانون الارضى
١٦٥ أدلة من الكتاب على تمام كفايته	١٤٦ الدعوة الى القانون الموضوع
دينا ودنيا	خروج عن طاعة الله عز وجل -
١٦٦ أمر الله بالرد اليه والى الرسول	لا عذر لمن ضل وحسب نفسه مهتديا
ورأى المفسرين في ذلك	١٤٧ وجوب التقييد بالاحكام المنزلة
١٦٧ تفسير سورة والعصر	١٤٨ تفسير «الطاغوت» - «لا يجمع
١٦٨ «أحاديث في النهى عن ابتغاء	أمتى على ضلالة»
غير الكتاب	١٤٩ حال الصحابة وحالنا - «إن
١٦٩ حديث «هلم اكتب لكم كتابا	تنصروا الله ينصركم»
لن تضلوا بعده» وقول عمر إن	١٥٢ التحذير عن اتباع غير ما أنزل الله
في الكتاب غنية	١٥٣ اتباع الاهواء منهي عنه -
١٧٠ حسن فهم عمر (رض) وتيقظه	وسبب للاصابة بالشدائد والبلاء
١٧٣ ختام الرسالة	١٥٤ «إذا ضل الناس . الخ أنزل الله

صفحة	صفحة
١٧٤ الرسالة الثامنة في اثبات	١٩٣ الخصوصية ١٨٤١٧٤١٦ الكفارة
الاستواء والفوقية - ومسألة الحرف	والخطبة والانصات
والصوت في القرآن المجيد وتنزيه الباري	١٩٤ الخصوصية ٢٠٤١٩ تحريم الصلاة
عن الحصر والتمثيل والكمية للجويني	عند جلوس الامام على المنبر والنهي
١٧٥ سبب انشاء الرسالة «الدين النصيحة»	عن الاحتباء وقت الخطبة
١٧٧ عدم تحذير الرسول من الايمان	١٩٥ الخصوصية ٢٤٤٢٣ استحباب
بظاهر الصفات	الفعل - للجماع أجران -
١٨١ وصف الله نفسه بهذه الاوصاف	الخصوصيات من ٢٤ الى ٢٩
١٨٢ الفوقية والاستواء والنزول	استحباب السواك والطيب والدهن
١٨٣ ثبوت صفة الوجه	وازالة الظفر والشعر
١٨٤ مسألة الحرف والصوت	١٩٦ استحباب لبس أحسن الثياب
١٨٥ علوه تعالى على عرشه بلا كيف	١٩٧ تبخير المسجد - التبكير
ولا انحصار	١٩٨ لا يستحب الابراد بها - تأخير
١٨٦ تقريب مسألة الفوقية	الغداء والقبولة عنها
١٨٧ ختام الرسالة	١٩٩ تضعيف أجر الذهاب - لها
١٨٨ الرسالة التاسعة نور اللمعة في	أذانان - قراءة الكهف
خصائص الجمعة للسيوطي	٢٠٠ قراءة الاخلاص والمعوذتين
١٨٩ كراهة صوم يوم الجمعة منفرداً	والفائحة بعدها
١٩٠ كراهة تخصيص ليلته بالقيام	قراءة الكافرين والاخلاص من
١٩١ صبحها أفضل الصلوات اختصاصها	مغرب ليلتها
بركعتين - انها تعدل حجة	٢٠١ قراءة الجمعة والمنافقين في عشاء
١٩٢ الطبع على قلب من ترك الجماعة	ليلتها - منع التحلق قبل الصلاة -
	تحريم السفر فيه قبل الصلاة

صفحة	صفحة
٢١٧ علم الموتى بزيارة الاحياء - عرض أعمال الاحياء على أقاربهم من الموتى - صيام الأربعاء والخميس والجمعة - صلاة ركعتين بعد مغرب ليلتها بالفاتحة والزلزلة	٢٠٢ فيه تكفير الآثام - الامان من فتنة القبر لمن مات يومها أو ليلتها - ولا يسأل في قبره
٢١٩ حصول الشهادة لمن مات فيه	٢٠٣ اجتماع الارواح فيه - هو سيد الايام
٢٢٠ فضل وقفة الجمعة	٢٠٤ هو يوم المزيّد
٢٢١ تسجّر فيه جهنم	٢٠٥ هو الشاهد والمشهد - أقسم الله به .
٢٢٤ الرسالة العاشرة - في تفسير سورة الكوثر للامام ابن تيمية	٢٠٦ هو المدخر لهذه الامة - يوم المغفرة يوم العتق - فيه ساعة الاجابة
٢٢٥ معنى الشافى لغة واصطلاحاً	٢٠٧ الاختلاف في تعييدها
٢٢٦ معنى الكوثر	٢١٠ رأى المصنف في ذلك - تضاعف الحسنة والسيئة
٢٢٨ ما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها وبه تنتهى الرسالة	٢١٢ قراءة الدخان يومها وليلتها ويس ليلتها وآل عمران وهود
٢٢٩ الرسالة الحادية عشرة - في علم الباطن والظاهر للامام العلامة تقي الدين بن تيمية	٢١٣ جاب الذكر للمغفرة قبل صبح يومها ما يقال ليلة الجمعة - الاكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يومها وليلتها
٢٣٠ أصل الايمان هو الايمان بالغيب	٢١٤ عيادة المريض وشهود الجنائز والنكاح والعتق فيه
٢٣١ بيان علم الظاهر وعلم الباطن	٢١٥ صلاة حفظ القرآن في ليلتها
٢٣٢ بيان غلاة المتصوفة والمتكلمين	٢١٦ زيارة القبور يومها وليلتها
٢٣٣ تفسير باطنية الصوفية للقرآن	
٢٣٤ تفسير باطنية الفلاسفة للقرآن	

صفحة	صفحة
٢٣٥	الدليل على بطلان كلام القرامطة
٢٣٦	كتاب حقائق التفسير لابي
٢٣٧	عبد الرحمن السلمي وتقسيمه الى ثلاثة أنواع
٢٣٨	نفى قولهم ان حسنا البصرى
٢٣٩	صحب عليا
٢٤٠	الناس في هذا الباب على ثلاثة أقسام طرفان ووسط الخ
٢٤١	ادعاء قوم ان النبي صلى الله عليه وسلم خص كل قوم بما يصلح لهم
٢٤٢	جهل الفلاسفة كابن سينا وأمثاله من أعظم الجهل
٢٤٣	بطلان ما يعتقده الباطنية
٢٤٤	بحث حديث أبي هريرة «حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جرائين» الخ
٢٤٥	بيان عن أبي سعيد الخراز وأبي طالب المكي وأبي حامد
٢٤٦	الغزالي ممن يظن أنهم يقولون بباطن يخالف الظاهر والجواب عنه
٢٤٧	ما ينقل عن أبي يزيد البسطامي
٢٤٨	رد حديث قولهم «ان من العلم
٢٤٩	كهيئة المكنون» الخ
٢٥٠	أحاديث الصفات وأقوال النفاة
٢٥١	النفاق والتقية
٢٥٢	بيان خطأ الاحتجاج بقصة موسى والخضر فحكمها بخلاف الظاهر
٢٥٣	الظاهر لا بد له من باطن يحققه والعكس كذلك وفيه خاتمة الرسالة
٢٥٤	الرسالة المائة عشرة - في رفع اليدين في الصلاة للامام السبكي
٢٥٥	عدة الصحابة الذين نقل عنهم الرفع رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم
٢٥٦	الرسالة المائة عشرة - في الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة للحافظ ابن حجر
٢٥٧	العسقلاني شارح صحيح البخاري
٢٥٨	حديث الغفران لأهل بدر
٢٥٩	حديث صلاة التسبيح
٢٦٠	القراءة بعد الجمعة
٢٦١	صيام يوم عرفة
٢٦٢	فضل تعليم الولد القرآن
٢٦٣	قيادة الأعمى
٢٦٤	التعمير في الاسلام
٢٦٥	ختم الرسالة



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0315334732

893.78

M282

FEB 26 1976

